

# مختارات من أدب العرب

قسم النثر

مجموعة تمثل الأدب العربي الإسلامي في جميع مظاهره ومناجيه الأدبية والمأرخية والتهذيبية  
من العصر الإسلامي الأول إلى القرن الرابع عشر الهجري

للعلامة الاستاذ أبي احسن علي احسني الندوبي  
رئيس جامعة دارالعلوم-ندوة العلماء-بلكمهون

الجزء الثاني

تَقْلِيق  
أبي لفضل عبد الخفيف البلياوي  
أستاذ الأدب في دارالعلوم-ندوة العلماء سابقًا

دار ابن حثيم  
دمشق - بيروت



مختارات  
**من إدب العربي**  
(٢)

# مَقْرُوْبُ الطَّبِيعِ مُحْفَظَةُ الْمَرْلَف

الطبعة الأولى

المَخَاصَّةُ بِدارِ ابنِ كَثِير

١٤٢٠ - ١٩٩٩ م

وزارة الاعلام - مديرية الرقابة

رقم الموافقة: ٤٣٤٠٧ تاريخ ١١/٢/١٩٩٩.

دمشق - حلب - جادة ابن سينا - بناء الجابي

ص.ب: ٣١١ - تلفون: ٩٩٥٨٧٧ - ٩٩٤٣٥٩

بيروت - برج أبي حيدر - خلف دبوس الأصلي

ص.ب: ٦٣١٨ - ١١٣/٢ - تلفون: ٨١٧٨٥٧ - ٢٠٤٤٥٩





## مُقْدِّمة الْجُزْء الثَّانِي

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله.

أما بعد! فقد ظهر كتاب «مختارات من أدب العرب» عام ١٣٥٩ هـ في جزء واحد ، وكانت الفكرة التي تسيطر على الكتاب عند تأليفه هي أن نختار أجمل النصوص وأكثرها حيوية في أدبنا العربي الإسلامي ، بصرف النظر عن مستوى اللغة ، فكانت المختارات من درجات مختلفة في المادة اللغوية والمستوى الأدبي ، كان الطالب يتارجح بين السهولة والصعوبة ، وربما كان في ذلك ترويج لنفسه ، إلا أنها رأينا في الزمن الأخير ، وأشار به علينا بعض رجال التعليم ، أن نقسم هذه المختارات في قسمين باعتبار درجاتها اللغوية ومستواها الأدبي ، ليسهل تطبيق هذا الكتاب والانتفاع به في مناهج التعليم العربية ، وليوافق مستوى الطلبة من طبقتين مختلفتين ، وقد اضطررنا بعض الأحيان ملاحظة الناحية التاريخية والحرص على استعراض الأدب العربي في تقدمه وتطوره وفي مراحله التاريخية المختلفة ، إلى عرض نماذج للنشر الفني ، لا يرتضيها الذوق العربي السليم ، ويرى فيها الناقد انحرافاً عن السلقة العربية الأولى وخصوصاً للآداب العجمية ، وعوامل اجتماعية ، ولكنه واقع تاريخي وثروة لغوية أدبية وأسلوب من أساليب الكتابة ، لم يسع المؤلف الإعراض عنها فأدخلها في الكتاب تقريراً للحقيقة ووفاء للتاريخ.

وهكذا جاء الكتاب في جزأين ، الجزء الأول والثاني ، بعد ما كان جزءاً واحداً وانهزا فرصة إعادة الطبع ، فأضفنا إلى الكتاب بعض نصوص أخرى لرجال لا يعدون من الأدباء المحترفين المنقطعين إلى

الأدب والكتابة ، على أنها لا تقل في جمالها الأدبي وحسن التعبير وصدق التصوير عن النصوص الأدبية التي يقع عليها الاتفاق ، بل تفوق كثيراً منها .

وقد ساعدني في إعداد الطبعة الثانية الأستاذ محمد الرابع الحسني أستاذ الأدب في دار العلوم وكان له فضل في اختيار بعض القطع الجديدة .

وكان الاستعجال في الطبعة الأولى قد حال دون الشرح الوافي والحل الكافي للمفردات الغريبة وإيضاح المقصود ، وكان زمن المؤلف يضيق عن إتمام هذه الناحية لأشغاله الكثيرة المتنوعة ، فقيض الله لهذا الغرض الأستاذ أبا الفضل عبد الحفيظ البلياوي (رحمه الله) مدرس الأدب العربي في دار العلوم ، وعنده الخبرة التامة بمدارك الطلبة وما يحتاجون إليه من الشرح وحل الكلمات الغريبة وما يشكل عليهم ، فتناول الكتاب واعتنى بحل الغريب وإيضاح الغامض وكشف القناع عن مقاصد الكتاب ، وبذل في ذلك وقتاً طويلاً وتحمل عناء كبيراً ، وانتسخ الكتاب بقلمه ، ومثله للطبع ، فللأستاذ الفاضل شكر المؤلف وتقدير المعلمين وثناء الطلبة ، وفوق كل ذلك ثواب المحسنين وأجر العاملين .

وقد حَلَّينا جيداً هذا الكتاب - كما فعلنا في الجزء الأول - بقطع مقتبسة من القرآن الحكيم ، وهذا الذي شرف قدر الأدب العربي - إذ نزل بلغته - وجعله أدباً عالياً وأدباً خالداً ، ليعلم الطلبة أنه من نوع آخر . وأنه ليس من مدارك البشر ، إن هو إلا وحي يوحى ، وأتبعنا ذلك مختارات من الحديث النبوي الشريف ، ليعلموا أنه في الطبقة الأولى من البلاغة البشرية والحكمة النبوية .

ولله الحمد في الأولى والآخرة .

أبو الحسن علي الحسني الندوبي

لكهؤ الهند      لعشرين من ربيع الأول ١٣٩١ هـ

٦ مايو ١٩٧١ م

## الآيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْمَرْ تِلْكَ مَا يَنْهَا الْكِتَابُ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكُنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ أَللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْهُنَا مُمَّا أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرِي لِأَجْلٍ مُسَمٍّ يَدِيرُ الْأَمْرَ يُفْصِلُ الْآيَاتِ لِعَلَّكُمْ بِلِقَاءَ رَبِّكُمْ تُوقَنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًّا ﴿٣﴾ وَأَنْهَرَأَ وَمِنْ كُلِّ الْثَمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَرْجِينَ أَثْنَيْنِ يُغْشِي أَيْلَلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّرٌ ﴿٥﴾ وَجَنَّتِ مِنْ أَعْنَبٍ وَزَرْعٍ وَنَخِيلٍ صَنَوْا ﴿٦﴾ وَغَيْرُ صَنَوْا يُسْقَى بِمَاءٍ وَجِدْرٌ وَنَفَضَّلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٧﴾ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبْ قَوْلُهُمْ أَءَ ذَا كَمَا تَرَبَّى أَءَنَا لِفِي خَلْقٍ جَدِيدٌ أَوْ لِتَكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرِبِّهِمْ وَأَوْلَئِكَ الْأَغْلَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأَوْلَئِكَ أَصْحَبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا

(١) أي العجال الثواب الرواسخ.

(٢) التي جاورت بعضها بعضاً.

(٣) إذا خرج نخلتان أو أكثر من أصل واحد فكل واحدة منها صنو.

خَلِدُونَ ⑥ وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ  
 الْمُثْكَنَتُ ①) وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ②  
 وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ③  
 اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغْيِضُ ④ الْأَرْحَامُ وَمَا تَرْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ  
 يِمْقَدَارٍ ⑤ عَلَمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَدَةَ الْكَبِيرَ الْمُتَعَالَ ⑥ سَوَاءٌ مَنْ كُمْ مِنْ أَسْرَ الْقَوْلِ  
 وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفَفٌ بِالْأَيْلَلِ وَسَارِبٌ ⑦ يَا النَّهَارَ ⑧ لَمْ يَعْقِبْتُ مِنْ بَيْنِ  
 يَدِيهِ وَمَنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ بِهِ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ  
 وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالِّيٰ ⑨ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ  
 الْبَرَقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الْثَّقَالَ ⑩ وَيُسْتَحِيْ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ  
 وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ حِيقَتِهِ وَيُرِسِّلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصَيِّبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَدِّلُونَ كَفَرَ  
 اللَّهُ وَهُوَ شَدِيدُ الْمُحَالِ ⑪ لَمْ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْءٌ إِلَّا  
 كَبَسِطَ كَهْتَهُ إِلَى الْمَاءِ لِيَتَلَعَّ فَاهُ وَمَا هُوَ بِيَنْغِيْهِ وَمَا دُعَاءُ الْكُفَّارِ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ⑫ وَإِلَهٖ يَسْجُدُ  
 مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظَلَّلُهُمْ بِالْغَدْرِ وَالْأَصَالِ ⑬ قُلْ مَنْ رَبُّ  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَلَا تَخْذَلُنَّ مِنْ دُونِنِيْهِ أَوْ لَيَأْتِيَهُمْ لَا يَمْلَكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ

(١) جمع مثلة وهي نسمة تنزل بالإنسان فيجعل مثالاً يرتدع به غيره.

(٢) أي تفسده فتجعله كالماء الذي تتبلعه الأرض.

(٣) أي الذاهب في سربه أي طريق كان.

(٤) أي الأخذ بالعقوبة.

(٥) جمع أصيل وهو ما بين العصر والمغرب.

يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هُنْ سَتَوْيَ الظَّمَنْتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لَهُ شَرَكَةً خَلَقُوا كَخَلْفِهِ  
فَتَشَبَّهَ الْحَلَقُ عَلَيْهِمْ قُلْ أَللهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ [١] أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ  
أَوْدِيَةً يَقْدِرُهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زِيدًا [٢] رَابِيًّا وَمِمَّا يُوَقْدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ أَبْغَاهُ حَلِيلَةً أَوْ مَنْعَ  
زِيدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَطْلُ فَمَا زِيدَ فِي ذَهَبٍ جَفَاءً [٣] وَمَا مَانَ مَا يَنْفَعُ النَّاسَ  
فَيَنْتَكُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ [٤] لِلَّذِينَ أَسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ  
لَمْ يَسْتَجِبُوا لِهِ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلُهُ مَعَهُ لَاقْتَدَوْا بِهِ [٥] أُولَئِكَ لَهُمْ  
سُوءُ الْحِسَابِ وَمَا وَيْهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسْرَ الْمَهَادُ [٦] أَفَنَ يَعْلَمُ أَنَّمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحُقْقُ كُنْ  
هُوَ أَعْلَمُ إِنَّمَا يَنْذَكُ أُولُوا الْأَيْمَنِ [٧] الَّذِينَ يُوْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ [٨] وَالَّذِينَ  
يَصْلُوْنَ مَا أَمْرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوَصِّلَ وَيَخْسُوْنَ رَبِّهِمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ [٩] وَالَّذِينَ صَرَبُوا  
أَبْغَاهَ وَجْهَ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الْأَصْلَوَةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَنَهُمْ سِرًا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُوْنَ كَإِلْحَسَةٍ  
الْسَّيِّئَةُ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ [١٠] (صدق الله العظيم) [سورة الرعد: ١ - ٢٢]

\* \* \*

(١) ما يعلو الماء ونحوه من الرغوة.

(٢) هو ما يرمي به الوادي أو القدر من الغثاء إلى جوانبه.

## الثبات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُرُوا بِنَعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ﴾<sup>(١)</sup> فَأَرْسَلَنَا عَلَيْهِمْ رِبَّا  
وَجَهُودًا لَمْ تَرَهَا وَكَانَ اللَّهُ يَمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٦﴾ إِذْ جَاءَكُمْ وَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ  
مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَرُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ<sup>(٢)</sup> وَتَطَوَّنُوا بِاللَّهِ الظُّنُونَا<sup>(٣)</sup>  
هُنَّا لَكَ أَبْتَلَى الْمُؤْمِنُونَ وَلَنِزَلُوا زِلَّا لَا شَدِيدًا<sup>(٤)</sup> وَلَذِي قَوْلُ الْمَنَفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ  
مَرْضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا<sup>(٥)</sup> وَإِذْ قَاتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَكَاهِلُ يَرْبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ  
فَأَرْجِعُوهُ وَيَسْتَعْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ أَنَّبَيَ يَقُولُونَ إِنَّمَا يَوْمَنَا عُورَةٌ<sup>(٦)</sup> وَمَا هِيَ بِعُورَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ  
لَا فِرَارًا<sup>(٧)</sup> وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُلِّلُوا لِلْفَتْنَةِ لَا تَوَهَا وَمَا تَلَّثُوا بِهَا إِلَّا  
يَسِيرًا<sup>(٨)</sup> وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلٍ لَا يُؤْلُونَ الْأَدْبَرَ وَكَانَ عَاهَدَ اللَّهَ  
مَسْهُولاً<sup>(٩)</sup> قُلْ لَنْ يَنْفَعُكُمُ الْفَرَارُ إِنْ فَرَّتُمْ مِنْ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تَمْنَعُونَ إِلَّا

(١) نزلت هذه الآيات في غزوة الأحزاب وتسمى غزوة الخندق، ووقيعت سنة خمس للهجرة على القول المشهور، وعلى المعلم أن يلخص هذه الغزوة، ويصور الجو الذي وقعت فيه ليتيسّر للتلاميذ فهم هذه الآيات وتذوقها.

(٢) جمع حنجرة وهي الحلق، وبلغت القلوب الحاجز كناية عن شدة الخوف.

(٣) غير حصينة تخشى عليها.

فَلِيلًا ﴿١﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَعْدُونَ  
لَهُمْ مِنْ دُورِنَ اللَّهِ وَلَيْا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوَّقِينَ ﴿٣﴾ مِنْكُمْ وَالْقَالِيلُ لِأَخْوَاهُمْ  
هُلُمْ ﴿٤﴾ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا فَلِيلًا ﴿٥﴾ أَشَحَّةً ﴿٦﴾ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْغَوْفُ رَأَيْتُهُمْ  
يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدْرُرُ أَعْيُنِهِمْ كَالَّذِي يُغْشِي عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْغَوْفُ سَلَفُوكُمْ  
بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشَحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ أَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ  
يُسِيرًا ﴿٧﴾ يَحْسِنُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَلَمْ يَأْتُوا لَقَوْنَهُمْ بَادُورَتِي  
الْأَعْرَابِ يَسْتَلُونَ عَنْ أَبْنَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِي كُمْ مَا قَنَلُوا إِلَّا فَلِيلًا ﴿٨﴾ لَقَدْ كَانَ  
لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَشْوَهُ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَرَ اللَّهَ كَيْرًا ﴿٩﴾  
وَلَمَّا رَأَهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا  
رَأَدُهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَسَلِيمًا ﴿١٠﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَهَدُوا اللَّهُ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ  
قَضَى نَحْبُمْ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْنَطِرُ وَمَا بَدَلُوا بَدِيلًا ﴿١١﴾ لِيَجْزِي اللَّهُ الصَّدِيقِينَ بِصَدِيقِهِمْ  
وَيُعَذِّبَ الْمُنْتَفِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢﴾ وَرَدَ اللَّهُ  
الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنْلَوْ خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْفَتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا  
عَزِيزًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلَ اللَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمْ  
الرُّعبَ فَرِيقًا تَقْتَلُونَ وَتَأْسِرُونَ فِرِيقًا ﴿١٤﴾ وَأَوْرَثُكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِينَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا  
لَمْ تَطْعُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿١٥﴾ (صدق الله العظيم) [سورة  
الأحزاب : ٢٧-٩]

\* \* \*

(١) المثبطين.

(٢) اسم فعل بمعنى الدعاء إلى الشيء كتعال فتكون لازمة، وقد تستعمل متعددة نحو  
هم شهداءكم أي أحضروهم.

(٣) جمع شحيح، والشح هو البخل مع الحرص.

(٤) طعنوا وأذوا بالكلام.

## صفة رسول الله ﷺ

«كان رسول الله ﷺ متواصل<sup>(١)</sup> الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة ، طويل السكت لا يتكلم في غير حاجة ، يفتح الكلام ويختمه بأشداقه<sup>(٢)</sup> ، ويتكلّم بجموع الكلم<sup>(٣)</sup> ، كلامه فصل<sup>(٤)</sup> لا فضول ولا تقصير ؛ ليس بالجافي<sup>(٥)</sup> ولا المهين<sup>(٦)</sup> ، يعظم النعمة وإن دقت<sup>(٧)</sup> ، لا يذم منها شيئاً ، غير أنه لم يكن يذم ذواقاً<sup>(٨)</sup> ولا يمدحه ، ولا تغضبه الدنيا ولا ما كان لها<sup>(٩)</sup> ، فإذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شيء حتى يتصرّ له ، لا يغضب لنفسه ولا يتصرّ لها ، إذا أشار وأشار بكفه كلها ، وإذا تعجب قلبها ، وإذا تحدث اتصل بها وضرب براحته اليمني بطن إبهامه

(١) أي لا ينفك حزن عن حزن يعقبه.

(٢) جمع شدق بالكسر طرف الفم أي أنه يستعمل جميع فمه للتalking ولا يقتصر على تحريك شفتيه كفعل المتكبرين.

(٣) أي بكلمات قليلة الحروف جامعة لمعنى كثيرة ، وقيل المراد بجموع القواعد الكلية المحتوية على الفروع المتكررة.

(٤) الفاصل بين الحق والباطل.

(٥) الغليظ الطبع السيء الخلق العديم البر.

(٦) يروى بضم الميم وفتحها فالضم على الفاعل من أهان أي لا يهين من يصبه والفتح على المفعول من المهانة أي الحقاره والابتذال فالمعنى لم يكن غليظ الخلق ولا ضعيفه بل كان معتدلاً من أنواع المهابة والوقار والجلالة.

(٧) صغرت وقلت.

(٨) المأكول والمشروب فعال بمعنى المفعول من الذوق.

(٩) أي ولا يغضبه أيضاً ما كان له علاقة بالدنيا.

اليسرى ، وإذا غضب أعرض وأشاح<sup>(١)</sup> ، وإذا فرح غض طرفه ، جُل<sup>(٢)</sup> ضحكه التبسم ، يفتر<sup>(٣)</sup> عن مثل حب الغمام<sup>(٤)</sup> ، وكان فخماً<sup>(٥)</sup> مفخماً<sup>(٦)</sup> يتلاًلاً<sup>(٧)</sup> وجهه تلاًلاً القمر ليلة البدر ، مسيح<sup>(٨)</sup> القدمين ينبو<sup>(٩)</sup> عنهم الماء ، إذا زال زال<sup>(١٠)</sup> قلعاً يخطو تكفيأ<sup>(١١)</sup> ويمشي هونا ذريع<sup>(١٢)</sup> المشية . إذا مشى كأنما ينحط من صبب<sup>(١٣)</sup> ، وإذا التفت التفت جميعاً<sup>(١٤)</sup> ، خافض الطرف نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى السماء ، جل نظره الملاحظة<sup>(١٥)</sup> ، يسوق<sup>(١٦)</sup> أصحابه ، يبدأ من لقي بالسلام<sup>(١٧)</sup> .

(١) جد في الإعراض وبالغ فيه .

(٢) معظمه وأكثره .

(٣) من افتر ضحك ضحكاً حسناً حتى بدت أسنانه من غير قهقهة .

(٤) أي البرد بفتحتدين .

(٥) بفتح الفاء وسكون الخاء أي عظيماً في نفسه .

(٦) أي معظم في الصدور والعيون .

(٧) أي يستثير .

(٨) أملسهما .

(٩) يتبعده ويتجافي .

(١٠) أي رفع رجله عن الأرض رفعاً بائناً بقوه لا كمن بمشي اختياراً ويقارب خطاه تبعثراً .

(١١) جملة مؤكدة لما قبلها وهو بكسر الفاء المشددة بعدها ياء أي يمشي مائلاً إلى سن المشي لا إلى طرفيه يقال يتكتفاً فلان أي يتمايل إلى قدام .

(١٢) أي سريعاً .

(١٣) أي محل منحدر .

(١٤) أي لا يسارق النظر .

(١٥) وهي مقاعدة من اللحظ وهو النظر باللحاظ يقال لحظه ولحظ إليه أي نظر إليه بمؤخر العين والمراد أن جل نظره في غير أوان الخطاب الملاحظة فلا ينافق قوله إذا التفت التفت جميعاً وتحمل الملاحظة على حال العبادة .

(١٦) أي يقدمهم أمامه ويمشي خلفهم تواضعـاً .

(١٧) عن الحسن بن علي، عن خاله هند بن أبي هالة .

«لم يكن فاحشاً<sup>(١)</sup> متفحشاً<sup>(٢)</sup> ولا صخباً<sup>(٣)</sup> في الأسواق ، ولا يجزي السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح<sup>(٤)</sup> . ما ضرب بيده شيئاً قط إلّا أن يجاهد في سبيل الله ولا ضرب خادماً ولا امرأة ، ما رأيته متصرّاً<sup>(٥)</sup> من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك من محارم الله تعالى شيء ، فإذا انتهك من محارم الله تعالى كان من أشدّهم غضباً ، وما خُيّر بين أمرتين إلا اختار أيسرهما ، (وإذا دخل بيته) كان بشرًا من البشر يفلّي<sup>(٦)</sup> ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه .

كان يخزن لسانه إلّا فيما يعنيه ويوّلفهم ولا ينفرهم . ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي على أحد منهم بشهـة<sup>(٧)</sup> ولا خلقـه . ويتفقد<sup>(٨)</sup> أصحابـه ويسـأل عـما في الناس ، ويحسنـ الحـسن ويقوـيـه ، ويـقـبـعـ القـبـحـ وـيـوـهـيـهـ<sup>(٩)</sup> معـتـدلـ الـأـمـرـ غـيرـ مـخـتـلـفـ ، وـلـاـ يـغـفـلـ مـخـافـةـ أـنـ يـغـفـلـواـ وـيـمـلـوـاـ ، لـكـلـ حـالـ عـنـدـهـ عـتـادـ<sup>(١٠)</sup> ، لـاـ يـقـصـرـ عـنـ الـحـقـ وـلـاـ يـجاـوزـهـ ، الـذـينـ يـلـونـهـ مـنـ النـاسـ خـيـارـهـ ، أـفـضـلـهـ عـنـدـهـ أـعـمـهـ نـصـيـحةـ وـأـعـظـمـهـ عـنـدـهـ مـنـزـلـةـ أـحـسـنـهـ موـاسـةـ<sup>(١١)</sup>

(١) أي ذو فحش من القول والفعل وإن كان استعماله في القول أكثر منه في الفعل والصفة.

(٢) أي ولا المتكلف به أي لم يكن الفحش له خلقياً ولا كسيباً.

(٣) أي صيحاً.

(٤) صفح عنه: أعرض عنه وتركه، بابه فتح.

(٥) منتقاً.

(٦) فلا يفلّي فلياً رأسه أو ثوبه: نقاهما من القمل.

(٧) بالكسر طلاقة الوجه وبشاشة.

(٨) أي يتعرف ويطلب من غاب منهم.

(٩) بتشديد الهاء وتخفيفها من التوحيد والإيمان: يضعفه.

(١٠) بالفتح هو العدة والتأهب مما يصلح لكل ما يقع ج أعتدْ وعُتَدْ وأعْتِدْ.

(١١) المداراة وهي إصلاح أحوال الناس بالمال والنفس.

ومؤازرة<sup>(١)</sup>؛ لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر ، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك ، يعطي كل جلساً بنصيبيه ، لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه ، من جالسه أو فاوذه<sup>(٢)</sup> في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف ، ومن سأله حاجته لم يرده إلا بها أو بمبسورة من القول ، قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أباً ، وصاروا عنده في الحق سواء ، مجلسه مجلس علم وحياة وصبر وأمانة لا ترفع فيه الأصوات ، ولا تؤبن<sup>(٣)</sup> فيه الحرم ولا تنشي<sup>(٤)</sup> فلتاته<sup>(٥)</sup>؛ متعادلين<sup>(٦)</sup> يتفضلون فيه بالتقوى ، متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب<sup>(٧)</sup>»

«كان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب<sup>(٨)</sup> ليس بفظ<sup>(٩)</sup> ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مشاح<sup>(١٠)</sup>، يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيّس منه ولا يجحب<sup>(١١)</sup> فيه؛ قد ترك نفسه من ثلاثة: النساء<sup>(١٢)</sup>

(١) المعاونة.

(٢) أي عامله في حاجة أو خالطه.

(٣) بضم التاء وسكون الهمزة من الابن وهو العيب والتهمة أي لا تقذف ولا تعab.

(٤) بضم التاء وسكون النون وفتح المثلثة أي لا تشاع ولا تذاع.

(٥) أي زلاته ومعائه على تقدير وجود وقوعها جمع فلتة وهي ما يدر من الرجل من سقطة.

(٦) متساوين.

(٧) عن الحسن بن علي عن الحسين بن علي عن علي بن أبي طالب.

(٨) أي سريع العطف كثير اللطف جميل الصفح، وقيل قليل الخلاف، وقيل كنابة عن السكون والوقار والخشوع والخصوص.

(٩) الغليظ السبيء الخلق الخشن الكلام ج أفظاظ، وفي القرآن: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَطَأَ غَلِظًا لِّلْقَلْبِ لَا تَنْفَعُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ . [آل عمران: ١٥٩]

(١٠) اسم فاعل من باب المفاعة من الشح وهو البخل وقيل أشد.

(١١) أي لا يجحب أحداً فيما لا يشتهي بل يسكت عنه عفواً وتكرماً.

(١٢) الجدال.

والإكبار وما لا يعنيه ، وترك الناس من ثلاثة كان لا يذم أحداً ولا يعييه ولا يطلب عورته . ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه . وإذا تلكم أطرق<sup>(١)</sup> جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير فإذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث . ومن تلكم عنده أنصتوا له حتى يفرغ ، حديثهم عنده حديث أولهم<sup>(٢)</sup> يضحك مما يضحكون ويتعجب مما يتعجبون ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته حتى إن كان أصحابه يستجلبونهم ويقول إذا رأيتم طالب حاجة يطلبه فارفوه<sup>(٣)</sup> ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ<sup>(٤)</sup> ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز<sup>(٥)</sup> فيقطعه بنهي أو قيام .

أجود الناس صدراً وأصدق الناس لهجة<sup>(٦)</sup> وألينهم عريكة<sup>(٧)</sup> وأكرمهم عشيرة من رأه بدبيه هابه ومن خالطه معرفة أحبه ويقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله<sup>(٨)</sup> .

\* \* \*

(١) أمالوا رأسهم وأقبلوا ببصرهم إلى صدورهم .

(٢) أي حديث أفضلهم أو كأول تكلمهم أي لا عن ملال وسامة .

(٣) الإرفاد الإعطاء والإعانة .

(٤) أي مقارب في مدحه غير مجاوز به عن حد مثله ولا مقصري به عما رفعه الله إليه من علو مقامه .

(٥) أي يتجاوز عن الحد أو الحق .

(٦) اللسان .

(٧) الطبيعة ج عرائش .

(٨) عن الحسن بن علي عن الحسين بن علي عن علي رضي الله عنهم ملتقطاً من جزء الشمائل للترمذمي .

## صفة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه

رجل لا يحب الباطل وليس من الباطل في شيء ، إن الله جعل الحق على لسانه وقلبه ، وهو الفاروق فرق الله به بين الحق والباطل ، أفضل (الناس) مقدرة وأملتهم لنفسه ، أشدهم في حال الشدة وأسلسهم في حال اللين ، وأعلمهم برأي ذوي الرأي . لا يتشغل بما لا يعنيه ، ولا يحزن لما ينزل به ، ولا يستحيي من التعلم ، ولا يتغير عند البديهة ، قوي على الأمور لا يخور<sup>(١)</sup> لشيء منها حده بعدهان ولا تقصير ، يرصد<sup>(٢)</sup> لما هو آت عتاده من الحذر والطاعة ، رشيد الأمر تنطق السكينة على لسانه وقلبه ، من رأه علم أنه خلق غناء للإسلام ، كان - والله - أجودنا نسيج<sup>(٣)</sup> وحده قد أعد للأمور أقرانها . كان إسلامه فتحاً ، وكانت هجرته نصراً ، وكانت إمارته رحمة ، وكان حصنًا حصيناً للإسلام ما زلنا أعزه منذ أسلم ، استخلف فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه<sup>(٤)</sup> ، إنما كان مثل الإسلام أيامه مثل أمر مقبل لم يزل في إقبال ، فلما قُتل أدبر فلم يزل في إدبار وإن موته ثلم الإسلام ثلماً<sup>(٥)</sup> لا ترق<sup>(٦)</sup> إلى يوم القيمة .

كان جواداً بالحق بخيلاً بالباطل ، يرضى من الرضى ويستخط من

(١) لا يفتر ولا يضعف .

(٢) رصد كنصر رصاداً ورصداً، رقبه .

(٣) أي منفرد لا نظير له .

(٤) أي ثبت واستقر من قولهم ضرب البعير بجرانه وألقى جرانه إذا بر크 .

(٥) الخلل، محل الكسر من المكسور .

(٦) رتق كنصر وضرب رتقا الثوب ضد فقهه .

السخط ، لم يكن مداحاً ولا مغياً<sup>(١)</sup> ، طيب الطرف عفيف الطرف<sup>(٢)</sup> ، وقافاً عند كتاب الله ، وكان كالطير الحذري الذي كان له بكل طريق شركاً<sup>(٣)</sup> ، قليل الضحك لا يمازح أحداً ، مقبلاً على شأنه ، إذا تكلم أسمع ، وإذا مشى أسرع ، وإذا ضرب أوجع ، وهو النساك حقاً يمشي في الأسواق ويطوف في الطرقات ، ويقضى بين الناس في قبائلهم ، ويعلمهم في أماكنهم ، رأيته خرج إلى السوق وبهذه الدرة<sup>(٤)</sup> وعليه إزار فيه أربع عشرة رقعة بعضها من أدم<sup>(٥)</sup> ، وقدم الجابية<sup>(٦)</sup> على جمل أورق<sup>(٧)</sup> تلوح صلعته<sup>(٨)</sup> للشمس ليس عليه قلنسوة ولا عمامة رجله بين شعبي رحله بلا ركاب ، وطاوه كساء أنجاني<sup>(٩)</sup> ذو صوف هو ركابه إذا ركب وفراسه إذا نزل ، حقيبته<sup>(١٠)</sup> نمرة<sup>(١١)</sup> أو شملة<sup>(١٢)</sup> ممحشة<sup>(١٣)</sup> ليفاً<sup>(١٤)</sup> هي حقيبته إذا ركب ووسادته إذا نزل ، عليه قميص من كرابيس<sup>(١٥)</sup> قد رسم وترخرق جنبه<sup>(١٦)</sup>.

(١) مبالغة من الغيبة.

(٢) بفتحتين أي الذيل.

(٣) جبائل الصيد ج شُرُك وأشاراك.

(٤) السوط ج دَرَرَ.

(٥) جمع أديم وهو الجلد المدبوغ.

(٦) موضع بالشام سافر إليه سيدنا عمر خليفة.

(٧) الذي لونه لون الدماء.

(٨) مقدم رأسه وقد سقط شعره.

(٩) نسبة إلى أنجوان موضع يعمل فيه الكساء.

(١٠) ما يحمله الراكب خلفه والخريطة التي يضع فيها وراءه الزاد ونحوه.

(١١) بردة من صوف فيها خطوط بيض وسود ج نمار.

(١٢) كساء واسع يشتمل به ج شَمَلاتٍ.

(١٣) مملوقة.

(١٤) قشر النخل وما شاكله.

(١٥) جمع كرباس وهو الثوب الخشن ، والكلمة من الدخيل.

(١٦) ملتفظ من سيرة عمر بن الخطاب لain الجوزي.

## صِفَةُ سَيِّدِنَا عَلَيْهِ الْأَوْيُونُ طَالِبٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عن أبي صالح قال: قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم ، لضرار بن ضمرة: صف لي علياً ، فقال: أو تعفيني؟ قال: بل صيفه! قال: أو تعفيني؟ قال: لا أعفيك. قال: أما إذا فإنه - والله - كان بعيد المدى شديد القوى ، يقول فصلاً ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه وينطق بالحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها<sup>(١)</sup> ، ويستأنس بالليل وظلمته ، كان - والله - غزير<sup>(٢)</sup> الدمعة ، طويل الفكر ، يقلب كفه ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس ما خشن ، ومن الطعام ما جَشْبَ<sup>(٣)</sup> ، كان - والله - كأحدنا يجيئنا إذا سألناه ويبتئنا إذا أتيتنا ويأتينا إذا دعوناه ، ونحن - والله - مع تقربيه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة ولا نبتئه لعظمته . فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم؛ يعظم أهل الدين ويحب المساكين ، لا يطمع القوي في باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله ، وأشهد بالله! لقد رأيته في بعض موافقه وقد أرخي<sup>(٤)</sup> الليل سجوفه<sup>(٥)</sup> ، وغارت<sup>(٦)</sup>

(١) بهجتها وغضارتها.

(٢) الكثير بابه كرم.

(٣) جشب كنصر وعلم جَشْبَ وككرم جشاشة الطعام أي غلظ.

(٤) أسدل.

(٥) جمع سجف بالكسر والفتح: الستر.

(٦) سقطت وانخسفت.

نجومه ، وقد مثل<sup>(١)</sup> في محاربه قابضاً على لحيته يتململ<sup>(٢)</sup> تململ السليم<sup>(٣)</sup> ، ويبكي بكاء الحزين وكأنه أسمعه وهو يقول:

يا دنيا! أبي تعرضت أم لي تشوفت<sup>(٤)</sup>! هيئات هيئات! عُرُى غيري!  
قد بَسَّطَكِ ثلثاً لا رجعةً لي فيك! فعمرك قصير ، وعيشك حقير ،  
وخطرك كبير! آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق!

قال: فذرفت<sup>(٥)</sup> دموع معاوية - رضي الله عنه - حتى خررت على لحيته  
فما يملكها ، وهو ينشفها بكمه ، وقد اختنق القوم بالبكاء ثم قال معاوية:  
رحم الله أبا الحسن! كان - والله - كذلك ، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟  
قال: حزن من ذبح ولدها في حجرها<sup>(٦)</sup> فلا ترقأ<sup>(٧)</sup> عبرتها ، ولا يسكن  
حزنها<sup>(٨)</sup>.

\* \* \*

(١) مثل كنصر وكرم مثولاً أي قام متتصباً.

(٢) تململ: تقلب على فراشه مرضًا أو غمًا.

(٣) اللدين أو الجريح المشرف على الموت، سموه به تفاولاً بالسلامة.

(٤) تشوف إلى الشيء: نظر وأشرف وتطلع إليه.

(٥) ذرف كضرب ذرفاً وذريفاً وذروفاً وذرفاناً وتذرافاً الدمع أي سال.

(٦) أي حضنها ح حجور وحجورة وأحجار.

(٧) رقاً كفتح رقاً ورقوءاً الدمع أو الدم أي جف وانقطع.

(٨) صفة الصفوة لابن الجوزي - دار الكتب العلمية ١٩٦/١.

## صلح الحديبية

عن المسور بن مخرمة ومروان يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا: خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية<sup>(١)</sup> حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي ﷺ: إنَّ خالد<sup>(٢)</sup> بن الوليد بالغميم<sup>(٣)</sup> في خيل لقريش طليعة<sup>(٤)</sup>، فخذلوا ذات اليمين. فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقتلة<sup>(٥)</sup> الجيش، فانطلق يركض<sup>(٦)</sup> نذيرًا لقريش، وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالشنة<sup>(٧)</sup> التي يهبط<sup>(٨)</sup> عليهم منها، بركت به راحلته. فقال الناس:

- (١) بتخفيف الياء الثانية وقد تشدد، موضع قريب من مكة، قرية، سميت ببشر هناك أو بشجرة وأكثرها في الحرم، وقد خرج النبي ﷺ يوم الإثنين هلال ذي القعدة سنة ست من الهجرة وهو المراد بقوله: زمن الحديبية.
- (٢) القائد الإسلامي المعروف بسيف الله وكان يومئذ كافراً.
- (٣) بالضم واد بديار حنظلة.
- (٤) أي مقدمة الجيش.
- (٥) الغبار الأسود.
- (٦) ركض كنصر ركضاً الفرس برجليه أي استحثه للعدو استعجالاً حال كونه متذرعاً لقريش.
- (٧) طريق العقبة ج ثانياً.
- (٨) هبط كنصر وضرب هبوطاً فلان من الجبل أي نزل ويهبط عليهم أي على أهل مكة.

حلْ حلْ<sup>(١)</sup> فَأَلْحَثْ<sup>(٢)</sup> ، فَقَالُوا: خَلَاتِ<sup>(٣)</sup> الْقَصْوَاءِ<sup>(٤)</sup> ! خَلَاتِ الْقَصْوَاءِ ! فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا خَلَاتِ الْقَصْوَاءِ وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ ، وَلَكِنَ حَبَسَهَا حَاسِنُ الْفَيلِ<sup>(٥)</sup> .

ثُمَّ قَالَ: وَالذِّي نَفْسِي بِيدهِ ، لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً<sup>(٦)</sup> يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُّمَاتِ اللهِ إِلَّا أُعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا ، ثُمَّ زَجَرَهَا<sup>(٧)</sup> فَوَبَثَ . قَالَ: فَعَدَلَ عَنْهُمْ حَتَّى نَزَلَ بِأَقصَى الْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى ثَمَدٍ<sup>(٨)</sup> قَلِيلُ الْمَاءِ يَتَبَرَّضُهُ<sup>(٩)</sup> النَّاسُ تَبَرُّضًا ، فَلَمْ يُلْبِسْهُ<sup>(١٠)</sup> النَّاسُ حَتَّى نَزَحَوْهُ<sup>(١١)</sup> ، وَشُكِّيَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَطْشُ ، فَانْتَرَعَ سَهْمًا مِّنْ كِنَانَتِهِ ثُمَّ أَمْرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ ؛ فَوَاللهِ مَا زَالَ يَجِيشُ لَهُمْ بِالرَّيْ<sup>(١٢)</sup> حَتَّى صَدَرُوا<sup>(١٣)</sup> عَنْهُ . فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيُّ فِي نَفَرٍ<sup>(١٤)</sup> مِنْ خُزَاعَةٍ<sup>(١٥)</sup> وَكَانُوا عَيْيَةً<sup>(١٦)</sup> نُصِّحُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ

(١) كلمة زجر للناقة .

(٢) من الإلحاح أي لزمت مكانها .

(٣) خلاً كفتح خلوءًأ أي لم يربح مكانه .

(٤) اسم ناقة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٥) أي الله تعالى ، والفيل فيل أبرهة .

(٦) الخصلة أو الأمر العظيم .

(٧) زجره كنصر زجراً: طرده صائحاً به .

(٨) الحفرة يجتمع فيها ماء المطر جثماً .

(٩) أي يأخذونه قليلاً قليلاً .

(١٠) أي لم يتركوه يلبث ذلك الماء طويلاً .

(١١) نرح كضرب وفتح نرحأ ونزوحاً البتر أي استقى ماءها حتى قل كثيراً أو نفد .

(١٢) روى كفرح رياً ورياً وروى من الماء: شرب وشبع .

(١٣) أي رجعوا .

(١٤) جماعة الرجال من ثلاثة إلى عشرة .

(١٥) قبيلة مشهورة .

(١٦) بالفتح: ما يوضع فيه الثياب يحفظها ج عَيْب وعِيَاب وعِيَبات ، والمراد أنهم موضع النصح له والأمانة على سره .

أهل تهامة ، فقال : إنّي تركتْ كعبَ بن لُؤيٍّ وعاصِرَ بن لُؤيٍّ نزلوا أعداداً<sup>(١)</sup> مِيَاهَ الْحُدَيْبِيَّةِ ومعهم العُوذُ<sup>(٢)</sup> المَطَافِلُ<sup>(٣)</sup> وهم مقاتلوكَ وصادوكَ عن البيتِ . فقال رسول الله ﷺ : إنما لم نجِيءُ لقتالِ أحدٍ ولكننا جئنا مُعتمرِينَ ، وإنْ قريشاً قد نهَكتُمُ<sup>(٤)</sup> الحَزْبُ وأضَرَّتُمْ بهم ، فإن شاؤوا مادَّتُهُمْ<sup>(٥)</sup> مدة ، ويخلُّوا بيدي وبيدين الناس فإن أظهُرُوا<sup>(٦)</sup> فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخلَ فيه الناسُ فعلوا ، وإلا فقد جَمِعوا<sup>(٧)</sup> ، وإنْ هم أبُوا فو الذي نفسي بيده لا قاتلَنَّهم على أمرِي هذا حتى تنفردَ سالِفتُي<sup>(٨)</sup> ، ولنُفْذنَ اللَّهُ أَمْرَهُ . فقال بُدَيْلٌ : سأُبَلِّغُهُم ما تقولُ . فانطلق حتى أتى قُريشاً قال : إنما قد جئناكم من عند هذا الرجل ، وسمعنَاه يقول قولًا ، فإن شئتم أن نعرضهُ عليكم فَعَلَّنا . قال سُفَهَاؤُهُمْ : لا حاجةَ لنا أن تُخْبِرَنا عنه بشيءٍ . وقال ذُو الرأي منهم : هاتِ ما سمعْتَهُ يقول . قال سمعْتُهُ يقول كذا وكذا ، فحدثهم بما قال النبي ﷺ .

فقام عروة بن مسعود فقال : أيُّ قومٍ ! ألسْتُ بالوالِدِ؟ قالوا : بلِي . قال : أو لستُ بالولِدِ؟ قالوا : بلِي . قال : فهل تتهمنوني؟ قالوا : لا . قال : ألسْتُم تعلمونَ أني استنفرتُ<sup>(٩)</sup> أهلَ عكاظ ، فلما بلَّحُوا<sup>(١٠)</sup> علىَ جئتكم

(١) جمع عِدٌ بالكسر والتشديد وهو الماء الذي لا انقطاع له .

(٢) العاذِج عُوذ وعُوذان وجع عوذات : الحديثة النتاج من الظباء والإبل والخيول .

(٣) المطفل : ذات الطفل من الانس والوحش ج مطافل ومطافيل . أي جاؤوا بقضفهم وقضيضهم .

(٤) نهك كفتح نهكًا ونهكت الحمى فلاناً أي أخسته وجهته .

(٥) أي جعلت بيدي وبينهم مدة يترك الحرب فيها .

(٦) أغلب وأنتصر .

(٧) أي استراحوا .

(٨) مقدم العنق ج سوالف . أراد : حتى ينفك بين رأسي وجسدي (النهاية ٣٩٠ / ٣)

(٩) أي دعوتهم إلى نصركم .

(١٠) امتعوا وعجزوا عن الإجابة .

بأهلني ولدي ومنْ أطاعني؟ قالوا: بلى. قال: فإنَّ هذا عرضٌ لكم خطأ  
رُشِدٍ، أقبلوها ودعوني آته. قالوا: أئته، فأناه، فجعلَ يكلِّم النبيَّ ﷺ.  
فقال النبيَّ ﷺ نحوً من قوله لم يقل: أي محمد!  
رأيت إن استأصلت<sup>(١)</sup> أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاز  
أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى فإني والله لأرى وجوهاً وإنني لأرى أشواباً<sup>(٢)</sup>  
من الناس خليقاً<sup>(٣)</sup> لأن يفروا ويَدْعُوك. فقال له أبو بكر: أَمْصَص<sup>(٤)</sup> بظر<sup>(٥)</sup>  
اللات! أنحن نفر عنه ونَدَعْه؟ فقال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر! فقال: أما  
والذى نفسي بيده! لو لا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجْبَثُك. قال:  
وجعل يكلِّم النبيَّ ﷺ فكلما كَلَّمه أخذ بلحيته، والمعيرة بن شعبة قائمٌ  
على رأس النبيَّ ﷺ، ومعه السيف وعليه المِغْفر<sup>(٦)</sup>، فكلما أهوى<sup>(٧)</sup>  
عروة بيده إلى لحية النبيَّ ﷺ ضرب بيده بنعل<sup>(٨)</sup> السيف، وقال: آخر يدك  
عن لحية رسول الله ﷺ، فرفع عروة رأسه فقال: من هذا قالوا:  
المعيرة بن شعبة. فقال: أي غُدر<sup>(٩)</sup>! أَلْسْتُ أَسْعَى في غَدْرِتك؟ وكان  
المغيرةُ صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أمواهم، ثم جاء فأسلم.  
فقال النبيَّ ﷺ: أما الإسلام فأقبل<sup>(١٠)</sup>، أما المال فلستُ منه في شيء.

(١) استأصل الشيء أي قلعه من أصله.

(٢) أي استأصل.

(٣) أي الأخلط من أنواع شتى.

(٤) جدیراً.

(٥) مص كفرح ونصر مصاً الشيء: رشفه، والفصيح العجيد من باب فرح.

(٦) ما بين الاسكتين من الامرأة ج بظور.

(٧) قطعة من الدرع يلبسها المحارب تحت القلنسوة ج مغافر.

(۸) مَدَيْدَه.

(٩) هو ما يكون أسلف القراب من فضة وغيرها.

(١٠) بضم المعجمة وفتح المهملة معدول عن غادر.

ثم إن عروة جعل يرمق<sup>(١)</sup> أصحاب النبي ﷺ بعينيه. قال: فو الله ما تنخم<sup>(٢)</sup> رسول الله ﷺ نخامة<sup>(٣)</sup> إلا وقعت في كفّ رجل منهم فدلك<sup>(٤)</sup> بها وجهه وجده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأً كادوا يقتلون على وضوئه<sup>(٥)</sup> ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يُحدُّون<sup>(٦)</sup> إليه النظر تعظيمًا له . فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم ! والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر<sup>(٧)</sup> وكسرى<sup>(٨)</sup> والنرجاشي<sup>(٩)</sup> والله إن رأيت ملِكًا قطًّا يُعظِّمُه أصحابه ما يعْظِمُ أصحابُ محمَّدٍ محمَّدًا . والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كفّ رجل منهم فدلك بها وجهه وجده . وإذا أمرُهُم ابتدروا أمرَهُ ، وإذا توضأً كادوا يقتلون على وضوئه ؛ وإذا تكلم خفضوا أصواتَهُم عنده ، وما يُحدُّون إليه النظر تعظيمًا له . وإنَّه قد عرض عليكم خطَّةً رُشِيدٍ فاقْبُلُوها .

قالَ رجُلٌ من بَنِي كَنَانَةَ: دَعُونِي آتِهِ ، فَقَالُوا: أَتَهُ . فَلَمَّا أَشَرَّفَ<sup>(١٠)</sup> عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وأصحابِه قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: هَذَا فَلَانُ ، وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ الْبُدْنَ<sup>(١١)</sup> ، فَابْعَثُوهَا لَهُ ، فَبُعْثِتَ لَهُ ، وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ

(١) رمق كنصر رمقًا لحظًا خفيفًا.

(٢) دفع بشيء من صدره أو أنفه.

(٣) ما يدفعه الإنسان من صدره أو أنفه.

(٤) ذلك كنصر دلك طلاه وضمّنه.

(٥) بالفتح وهو الماء الذي يتوضأ به.

(٦) أحد إلى النظر أي بالغ في النظر إليه.

(٧) لقب ملك الروم.

(٨) لقب ملك الفرس.

(٩) لقب ملك الحبشة.

(١٠) اطلع عليه.

(١١) جمع بدنة أي الناقة أو البقرة.

يُلْبِئُونَ<sup>(١)</sup>. فلما رأى ذلك قال: سبَّحَنَ اللَّهُ! مَا يَنْبغي لِهُؤُلَاءِ أَنْ يُصَدِّوَا عَنِ الْبَيْتِ. فلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ قَالَ: رَأَيْتُ الْبُدْنَ قَدْ قُلَّدَ<sup>(٢)</sup> وَأَشْعَرَتْ<sup>(٣)</sup>، فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدِّوَا عَنِ الْبَيْتِ.

فقام رجل منهم يقال له مِكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ ، فقال: دعوني آتِهِ ، فقالوا آتُهُ . فلما أشرف عليهم قال النبي ﷺ: هذا مِكْرَزُ ، وهو رجل فاجر ، فجعل يكلم النبي ﷺ.

في بينما هو يكلمه إذ جاء سُهَيْلُ بْنُ عَمْرُو . قال عمر: فأخبرني أَيُوب عن عكرمة أنه لما جاء سُهَيْل قال النبي ﷺ: قد سَهَلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ . قال عمر قال الزهري في حديثه فجاء سُهَيْل بن عمرو فقال: هات اكتب بيننا وبينكم كتاباً . فدعا النبي ﷺ الكاتب<sup>(٤)</sup> ، فقال النبي ﷺ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . فقال سُهَيْل: أَمَا الرَّحْمَنُ فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ؟ ولكن اكتب: بِاسْمِ اللَّهِمَّ ، كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ . فقال المُسْلِمُونَ: وَاللَّهِ لَا نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسِمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . فقال النبي ﷺ: اكتب بِاسْمِ اللَّهِمَّ . ثُمَّ قال: هَذَا مَا قَاضَى<sup>(٥)</sup> عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ . فقال سُهَيْل: وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولَ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ ، وَلَا قَاتَلْنَاكَ ، وَلَكِنْ اَكْتُبْ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ . قال النبي ﷺ: وَذَلِكَ لِقُولِهِ كَذَّبَتْنَاكَ ، اكتب: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ . قال الزهري: وَذَلِكَ لِقُولِهِ لَا يَسْأَلُنِي خُطْةٌ يَعْظَمُونَ فِيهَا حِرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَاهَا . فقال له النبي ﷺ: عَلَى أَنْ تَخْلُوا بَيْنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَنَطْوِ فَنَطْوِ بِهِ . فقال سُهَيْل: وَاللَّهِ!

(١) أي يقولون: ليك ليك.

(٢) التقليد أن يعلق في عنق الدابة شيء ليعلم أنها هدي.

(٣) الإشعار: الطعن في سُنَّة الْهَدِي بِحِيثَ يُسَيِّلُ مِنْهُ الدَّمْ لِيُكُونَ عَلَمَةً أَنَّهُ هَدِي.

(٤) هو علي (كرم الله وجهه).

(٥) صالح.

لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة<sup>(١)</sup> ولكن ذلك من العام الم قبل فكتب . فقال سهيل : وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا . قال المسلمين : سبحان الله ! كيف يردد إلى المشركين وقد جاء مسلماً .

فيينا هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسُف<sup>(٢)</sup> في قيوده وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين ، فقال سهيل : هذا أول ما أقضيك عليه أن تردد إلى . فقال النبي ﷺ : إنا لم نقض الكتاب بعد . قال : فو الله إذن لا أصالحك على شيء أبداً . فقال النبي ﷺ : فأجزه<sup>(٣)</sup> لي . فقال : ما أنا بمجيز ذلك . قال بلى ! فافعل . قال : ما أنا بفاعل . قال مكرز : بل قد أجزناه لك . قال أبو جندل : أي عشر المسلمين ! أرد إلى المشركين وقد جئت مسلماً ! ألا ترون ما قد لقيت ! وكان قد عذب عذاباً شديداً في الله .

قال عمر بن الخطاب : فأتيت نبي الله ﷺ فقلت : ألسْتَ نَبِيًّا الله حَقًا؟ قال : بلى . قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال : بلى ! قلت فلم نُعطِي الدِّينَة<sup>(٤)</sup> في ديننا إذن؟ قال : إنِّي رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري . قلت : أو ليس كنت تحدثنا أنا سنتي البيت فنطوف به؟ قال : بلى ! فأخبرتك أنا نأتيه العام؟ قلت : لا . قال : فإنك آتية ومطوف به . قال : فأتيت أبا بكر فقلت : يا أبا بكر ! أليس هذا نبي الله حقاً؟ قال : بلى ! قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال : بلى ! قلت : فلم نُعطِي الدِّينَة في ديننا إذن؟ قال : أيها الرجل ! إنه رسول الله وليس يعصي ربه وهو

(١) الزرحة والضيق ، يقال : أخذت فلاناً ضغطة إذا ضيق عليه لتكرهه على الشيء وتلجمه إليه .

(٢) رسف كنصر وضرب رسفأ ورسفاناً مشى مشية المقيد .

(٣) أي امض لي فعلي فيه فلا أرده إليك أو استثنه من القضية .

(٤) النقيصة .

ناصره ، فاستمسك بغرزه<sup>(١)</sup> فو الله أنه على الحق . قلت : أليس كان يُحدّثنا أنا سنتي البيت ونطوف به ؟ قال : بلى ! فأخْبِرْكَ أَنَّكَ تأتيه العام ؟ قلت : لا ، قال : فِإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطْوَفٌ بِهِ .

قال الزهري : قال عمر : فعملت لذلك أعمالاً<sup>(٢)</sup> .

قال : فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه : قوموا فانحرروا ثم احلقوا . قال : فو الله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات . فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة ، فذكر لها ما لقي من الناس . فقالت أم سلمة : يا نَبِيَّ الله ! أتُحِبُّ ذاك ؟ اخْرُجْ ثم لا تكُلُّ أحداً منهم كَلِمَةً حتى تَنْحَرْ بُدْنَكَ وتدعوا حالَكَ في حلقَكَ . فخرج فلم يُكَلِّمْ أحداً منهم حتى فعل ذلك ، نحر بُدْنَهُ ودعا حالَقَهُ فحَلَقَهُ . فلما رأوا ذلك قاموا فنَحَرُوا وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً . ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾ - حتى بلغ - ﴿يَعِصِّمُ الْكَوَافِر﴾<sup>(٣)</sup> [المتحنة : ١٠] . فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان ، والأخرى صفوان بن أمية .

ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة فجاءه أبو بصير رجلٌ من قريشٍ وهو مسلمٌ فأرسلوا في طلبه رجلين ، فقالوا : العهد الذي جعلت لنا ، فدفعه إلى الرجلين ، فخرجا به حتى بلغا ذا الحُلْيَة<sup>(٤)</sup> فنزلوا يأكلون من عُدتهم<sup>(٥)</sup> . فقال أبو بصير لأحد الرجلين : والله إني لأرى سيفك هذا

(١) ركاب الرجل من جلد ج غروز واستمسك بغرزه أي صاحبه ولا تخالفه .

(٢) أي عملت لذلك التوقف في الامثال الذي فرط مني أعمالاً صالحة لتكفر عنِّي .

(٣) جمع عصمة أي بما يعتصب به الكافرات من عقد وسبب .

(٤) قرية بينها وبين مكة ستة أميال أو سبعة ومنها ميقات أهل المدينة .

(٥) ما أعددته لحوادث الدهر من مال وسلاح ج عدد .

يا فلانُ جيداً ، فاستله<sup>(١)</sup> الآخر . فقال: أجل ، والله إنه لجيدٌ لقد جرئتُ به ثم جرئتُ . فقال أبو بصير: أرني أنظرُ إليه! فأمكنه منه فضربه حتى برد ، وفرَّ الآخر حتى أتى المدينة ، فدخل المسجد يعدو . فقال رسول الله ﷺ حين رأه: لقد رأى هذا ذُرا<sup>(٢)</sup> . فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: قُتل والله صاحبي وإنني لم قتول . فجاء أبو بصير فقال: يا نبي الله! قد والله أوفى<sup>(٣)</sup> الله ذمتك ، قد ردْدَتني إليهم ثم أنجاني الله منهم . قال النبي ﷺ: ويل أمّه مسْعَر<sup>(٤)</sup> حربٌ لو كان له أحد<sup>(٥)</sup> فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم فخرج حتى أتى سيف<sup>(٦)</sup> البحر . قال: وينفلت<sup>(٧)</sup> منهم أبو جندل بن سهيل ، فلحق بأبي بصير ، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير ، حتى اجتمعوا منهم عصابة<sup>(٨)</sup> . فوالله! ما يسمعون بعيير<sup>(٩)</sup> خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها ، فقتلوا هم وأخذوا أموالهم . فأرسلت قريش<sup>(١٠)</sup> إلى النبي ﷺ تناشدته<sup>(١٠)</sup> الله والرحيم: لما أرسل فمن أتاه فهو آمن . فأرسل النبي ﷺ إليهم فأنزل الله: «وَهُوَ الَّذِي كَفَأَ يَدِيهِمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيهِمْ عَنْهُمْ - حَتَّى يَلْغُ - حَمِيَّةَ الْجَهَلِيَّةِ» [الفتح / ٢٤] . وكانت حميّتهم أنهم لم يُقروا أنه نبي الله ولم يُقرُّوا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينهم وبين البيت .

(١) سَلَّ كنصر سلأً واستلَّ الشيءَ من الشيءِ انتزعه وأخرجه برفق.

(٢) خوفاً.

(٣) أتم.

(٤) بالكسر موقد النار يقال هو مسْعَر حرب أي مثيرها ومحركها.

(٥) أي لو قدر له أحد أن ينصره.

(٦) بكسر السين أي الساحل.

(٧) يتخلص.

(٨) الجماعة من الرجال أو الخيل أو الطير ج عصائب.

(٩) القافلة.

(١٠) ناشدَه حلقةً . ناشدَه الأمر وفي الأمر أي طلبه إليه.

وقال عقيل عن الزهري : قال عروة : فأخبرتني عائشة أن رسول الله ﷺ  
كان يمتحنهم وبلغنا أنه لما أنزل الله أن يردوا إلى المشركين ما أنفقوا على  
من هاجر من أزواجهم وحكم على المسلمين أن لا يمسكوا بعصم الكوافر  
أن عمر طلق امرأته قُرَيْبَةَ بنت أبي أمية وبنت جرول الخزاعي . فتزوج  
قُرَيْبَةَ معاوية وتزوج الأخرى أبو جهم ، فلما أبى الكفار أن يقرؤوا بأداء  
ما أنفق المسلمون على أزواجهم أنزل الله : « وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى  
الْكُفَّارِ فَعَاقِبُتُمْ » [المتحنة : ١١] - والعقب ما يؤدي المسلمين إلى من  
هاجرت امرأته من الكفار - فأمر أن يعطى من ذهب له زوج من المسلمين  
ما أنفق من صداق<sup>(١)</sup> نساء الكفار اللاتي هاجرن ، وما نعلم أن أحداً من  
المهاجرات ارتدت بعد إيمانها وبلغنا أن أبا بصير بن أسيد الثقفي قدم على  
النبي ﷺ مؤمناً مهاجراً في المدة فكتب الأنس بن شرقي إلى النبي ﷺ  
يسأله أبا بصير - فذكر الحديث -<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

(١) المهر، ج أصدق وصدق.

(٢) الجامع الصحيح للبخاري باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب .

## علی وفاة الرسول ﷺ

دخل أبو بكر الصديق<sup>(١)</sup> رضي الله عنه على النبي ﷺ وهو مسجّى<sup>(٢)</sup>  
بثوب فكشف عنه الثوب وقال:

بأبي أنت وأمي ! طبت حيتا ، وطبت ميتا ، وانقطع لموتك ما لم ينقطع  
لموت أحد من الأنبياء من النبوة ، فعظمت عن الصفة وجللت عن  
البكاء ، وخصوصت حتى صرت مسللة<sup>(٣)</sup> ، وعممت حتى صرنا فيك  
سواء<sup>(٤)</sup> ، ولو لا أن موتك كان اختياراً<sup>(٥)</sup> منك لجذنا لموتك بالنفوس ،

(١) هو أمير المؤمنين أبو بكر الصديق (رضي الله تعالى عنه) السابق إلى الإسلام  
وثاني اثنين إذ هما في الغار وخليل سيدنا رسول الله ﷺ وولي الإسلام بعد النبي  
ﷺ كما يدل عليه قوله «أيقض الدين وأنا حي» وكافل المسلمين اليتامي بعد وفاة  
الرسول ﷺ توفي سنة ١٣هـ وكلامه من خطب ورسائل ووصايا مرأة لسيرته  
وخلقه، صدق مع عزيمة ورفق في غير ضعف.

(٢) سجى الميت أي مد عليه ثوباً.

(٣) ما يبعث على السلو، والمعنى أنك يا رسول الله قد صرت بموتك مسللة للناس  
فإنك ما اخصصت به من مناقب النبوة وقد نزل بك الموت للعباد فيك أسوة  
حسنة.

(٤) أي عمت المصيبة لفقدك جميع المسلمين فصرنا نحن وقرباتك سواء في الحزن  
عليك والتقطع لك.

(٥) يشير إلى قوله عليه الصلاة والسلام: «لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم  
يُخْبَر» قالت عائشة (رضي الله عنها) فسمعته وقد شخص بصره وهو يقول: «في  
الرفيق الأعلى» فعلمت أنه خير فعلمت أنه لا يختارنا إذن وقلت هو الذي كان  
يحدثنا وهو صحيح.

ولولا أنك نهيت عن البكاء لأنفينا<sup>(١)</sup> عليك ماء الشؤون<sup>(٢)</sup>. فاما ما لا نستطيع نفيه عنا فكمد<sup>(٣)</sup> وإدناف<sup>(٤)</sup> يتخالفان<sup>(٥)</sup> ولا يرحا ، اللهم فابلغه عنا السلام ، اذكرنا يا محمد عند ربك ، ولكن من بالك ، فلولا ما خلفت من السكينة لم نقم لما خلفت من الوحشة ، اللهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا.

ثم خرج إلى الناس وهم في شديد غمراتهم<sup>(٦)</sup> وعظيم سكراتهم<sup>(٧)</sup> ، فخطب خطبة قال فيها :

أشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمدأ عبده ورسوله ، وأشهد أن الكتاب كما نزل ، وأن الدين كما شرع ، وأن الحديث كما حدث ، وأن القول كما قال ، وأن الله هو الحق المبين - في كلام طويل ثم قال :

أيها الناس ! من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات . ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، وأن الله قد تقدم إليكم في أمره فلا تدعوه جزعاً ، وأن الله قد اختار لبنيه ما عنده على ما عندكم وقضه إلى ثوابه . وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه فمن أخذ بهما عرف ومن فرق بينهما أنكر .

(١) أفيننا .

(٢) جمع شأن وهو مجرى الدموع من العين .

(٣) الحزن والغم الشديد .

(٤) دفن المريض كفرح وأدنت ثقل مرضه ودنا من الموت ودنفت الشمس وأدنت أي دنت للغروب واصفرت .

(٥) أي يجيئان مرة بعد أخرى .

(٦) غمرة الشيء شدته ومزدحمه ج غمرات وغمّار وغمّرات الموت مكارهه وشدائد .

(٧) جمع سكرة وسكرة الموت أو الهم شدته وغضيته .

يا أيها الذين آمنوا! كونوا قوامين بالقسط<sup>(١)</sup> ولا يشغلكم الشيطان بموت  
نبيكم ولا يفتتنكم<sup>(٢)</sup> عن دينكم فما جلوه بالذي تعجزونه ولا تستنظروه<sup>(٣)</sup>  
فليحق بكم<sup>(٤)</sup>.

\* \* \*

(١) العدل.

(٢) لا يوقعكم في الفتنة.

(٣) لا تستمهلوه.

(٤) زهر الآداب.

## شقاوة الملوك

خطب أبو بكر (رضي الله عنه) فقال:

إن أشقي الناس في الدنيا والآخرة الملوك. فرفع الناس رؤوسهم فقال: ما لكم يا معاشر الناس! إنكم لطعانون عجلون. إن من الملوك منْ إذا ملكَ زهَدَهُ اللهُ فيما في يده ، ورَغَبَهُ فيما في يَدَيِ غيره ، وانتقصه<sup>(١)</sup> شَطْرُ<sup>(٢)</sup> أَجْلَه ، وأَشْرَبَ قلبه الإشْفَاق<sup>(٣)</sup> فهو يَحْسُدُ على القليل ، ويَسْخَطُ<sup>(٤)</sup> الكثير ، ويُسَأَمُ الرَّخَاء<sup>(٥)</sup> ، وتنقطع عنه لذة البهاء ، لا يستعمل العِبْرَة ، ولا يسكنُ إلى الثقة ، فهو كالدرهم القَسِي<sup>(٦)</sup> والسراب الخادع ، جَذْلُ<sup>(٧)</sup> الظاهر ، حزينُ الباطن ، فإذا وجبت<sup>(٨)</sup> نفسه ونَضَبَ<sup>(٩)</sup> عُمُره وضحا ظُلْه<sup>(١٠)</sup> حاسبه الله فأشدَّ حسابه وأقلَّ عفوه ، ألا إنَّ الفقراء هم المرحومون. وخير الملوك من آمن بالله وحكم بكتاب الله

(١) نقصه.

(٢) الجزء.

(٣) الخوف.

(٤) تَسْخَطَ عطاءه استقلَّه ولم يقع منه موقعاً حسناً.

(٥) بالفتح سعة العيش وبالضم الريح اللينة التي لا تحرك شيئاً.

(٦) الزائف.

(٧) الفرح ج جذلان.

(٨) أي مات ووجبت الشمس أي غابت والعين غارت.

(٩) نفَدَ وانقضى.

(١٠) مات.

وَسُنْتَةِ نَبِيِّهِ ﷺ ، وَإِنَّكُمْ الْيَوْمَ عَلَىٰ خَلَاقَةِ نَبِيَّةٍ وَمَفْرِقٍ<sup>(١)</sup> مَحَاجَةٌ<sup>(٢)</sup> ، وَسَتَرَوْنَ بَعْدِي مُلْكًا عَضْوَضًا<sup>(٣)</sup> ، وَأَمَّه شَعَاعًا<sup>(٤)</sup> ، وَدَمًا مُفَاحِمًا<sup>(٥)</sup> ، فَإِنْ كَانَتْ لِلْبَاطِلِ نَزْوَةً<sup>(٦)</sup> وَلِأَهْلِ الْحَقِّ جَوْلَةً<sup>(٧)</sup> يَعْفُو<sup>(٨)</sup> لَهَا الْأَثْرُ ، وَتَمُوتُ السُّنَنُ ، فَالْأَذْمُوا الْمَسَاجِدَ ، وَاسْتَشِيرُوا الْقُرْآنَ ، وَالْأَزْمُوا الْجَمَاعَةَ ، وَلِيَكُنَّ الْإِبْرَامُ<sup>(٩)</sup> بَعْدَ التَّشَارُورِ ، وَالصَّفْقَةُ<sup>(١٠)</sup> بَعْدَ طَولِ التَّنَاظِرِ ، أَيُّ بِلَادِكُمْ خَرْشَنَةٌ إِنَّ اللَّهَ سَيَفْتَحُ عَلَيْكُمْ أَقْصَاهَا كَمَا فَتَحَ أَدْنَاهَا<sup>(١١)</sup>.

\* \* \*

(١) الموضع الذي ينشعب من الطريق طريق آخر.

(٢) جادة الطريق أي وسطه ج محاج.

(٣) الكثير العضّ وملك عضوض فيه عسف وظلم.

(٤) المتفرق من كل شيء.

(٥) المهراق آفاحه أي أراقه.

(٦) الوثبة.

(٧) جال القوم جولة أي انكشفوا ثم كروا.

(٨) عفا يغفو عفواً وعفاء وغفوا الأثر أو المنزل أمحى ودرس وبللي.

(٩) الإحكام.

(١٠) ضرب اليد على اليد في البيع وأيضاً عقد البيع.

(١١) جمهرة خطب العرب ١٨٣ والبيان والتبيين ٤٣/٢ - ٤٤ وعيون الأخبار ٢/٢٣٢ - ٢٣٣.

## خطّة عمر في الحكم

قال طلحة بن معدان: خطبنا عمر<sup>(١)</sup> بن الخطاب (رضي الله عنه) فقال: أيها الناس! إنه لم يبلغ ذو حق في حقه أن يطاع في معصية الله ، وإنني لا أجد هذا المال يصلحه إلا خلال<sup>(٢)</sup> ثلاث ، أن يؤخذ بالحق ، ويعطى في الحق ، ويمنع من الباطل؛ وإنما أنا وأ Malkm كولي اليتيم ، إن استغنت استعففت ، وإن افتقرت أكلت بالمعروف ، ولست أدع أحداً يظلم أحداً ويعتدي عليه . حتى أضع خده على الأرض وأضع قدمي على الخد الآخر حتى يذعن<sup>(٣)</sup> للحق.

ولكم عليَّ أيها الناس! خصال أذكرها لكم فخذلوني بها: لكم عليَّ أن لا أجتبى شيئاً من خراجكم ولا مما أفاء<sup>(٤)</sup> الله عليكم إلا من وجهه ، ولكم عليَّ إذا وقع في يدي أن لا يخرج مني إلا في حقه ، ولكم عليَّ أن أزيد أعطياتكم وأرزاقكم - إن شاء الله - وأسد ثغوركم<sup>(٥)</sup>. ولكم عليَّ أن

(١) أمير المؤمنين عمر (رضي الله عنه) معجزة من معجزات الرسول ﷺ، ومن بدائع العالم في رجاحه العقل، وحصافة الرأي، وحسن السياسة إلى العبرية، والعاصامية إلى الدين والتقوى والمثل الكامل للحكم العادل، والجمع بين الدين والدنيا كان من فتوحه العلم والفقه، ومن جنوده الخطابة والبلاغة. توفي مستشهاداً سنة ٢٣ هـ.

(٢) جمع خلة بالفتح أي الخصلة.

(٣) يقاد ويقر.

(٤) أفاء الله عليه مال القوم أي جعله فيما له.

(٥) جمع ثغر المكان الذي يخاف منه هجوم العدو.

لا أقيكم في المهالك ولا أحمركم<sup>(١)</sup> في ثغوركم.

وقد اقترب منكم زمان قليل الأماء كثیر القراء ، قليل الفقهاء كثیر الأمل ، يعمل فيه أقوام لآخرة يطلبون به دنيا عريضة تأكل دین صاحبها كما تأكل النار الحطب ، ألا كل من أدرك ذلك منكم فليتق الله ربه ولি�صبر .

يا أيها الناس ! إن الله عظم حقه فوق حق خلقه ، فقال فيما عظم من حقه : ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَنَحِّدُوا الْمُتَّوِكِّهُ وَالَّتِيْنَ أَرْبَابًا أَيْمَرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٨٠] ألا وإنني لم أبعثكم أمراء ولا جبارين ، ولكن بعثتكم أئمة الهدى يهتدى بكم فادرُوا<sup>(٢)</sup> على المسلمين حقوقهم ، ولا تضريوه فتذلّوه ، ولا تحموه فتفتنوه ، ولا تغلقو الأبواب دونهم فياكل قويّهم ضعيفهم ، ولا تستأثروا<sup>(٣)</sup> عليهم فتظلموه ، ولا تجهلو عليهم ؛ وقاتلوا بهم الكفار طاقتهم فإذا رأيتم بها كلامة<sup>(٤)</sup> ففكوا عن ذلك فإن ذلك أبلغ في جهاد عدوكم . أيها الناس ! إنني أشهدكم على أمراء الأمصار أنني لم أبعثهم إلا ليفقهوا الناس في دينهم ويقسموا عليهم فيئهم ويعکم ما بينهم ، فإن أشكّل<sup>(٥)</sup> عليهم شيء رفعوه إلىّي .



(١) جمر القوم على أمر جمعهم .

(٢) أجروا .

(٣) استأثر بالشيء على الغير أي استبد به وخصّ به نفسه .

(٤) الضعف والإعياء .

(٥) التبس .

## منشور القضاء

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عُمَرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى  
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ. سَلَامٌ عَلَيْكَ! أَمَا بَعْدَ! فَإِنَّ الْقَضَاءَ فَرِيضَةٌ مُحَكَّمَةٌ وَسُنَّةٌ  
مُتَّبَعَةٌ، فَافْهَمْ إِذَا أَدْلَى<sup>(١)</sup> إِلَيْكَ فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُ تَكْلِمُ بِحَقٍّ لَا نَفَادَ<sup>(٢)</sup> لَهُ.  
آسِ<sup>(٣)</sup> بَيْنَ النَّاسِ فِي مَجْلِسِكَ وَوَجْهِكَ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ شَرِيفٌ فِي  
حَيْفَكَ<sup>(٤)</sup> وَلَا يَخَافُ ضَعِيفٌ مِنْ جَوْرُكَ الْبَيْتَنَةَ عَلَى مَنْ ادَّعَى وَالْيَمِينَ عَلَى  
مَنْ أَنْكَرَ، وَالصَّلْحُ جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا صَلْحًا حَرَمَ حَلَالًا أَوْ أَحْلَالَ  
حَرَامًا. وَلَا يَمْنَعُكَ قَضَاءُ قَضِيَّتَهُ الْيَوْمَ فَرَاجَعَتْ فِيهِ نَفْسُكَ، وَهُدِيَّتْ فِيهِ  
لِرُشْدِكَ، أَنْ تَرْجَعَ عَنْهُ فَإِنَّ الْحَقَّ قَدِيمٌ وَمَرْاجِعُ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي<sup>(٥)</sup>  
فِي الْبَاطِلِ، الْفَهْمَ، الْفَهْمَ عِنْدَمَا يَتَلَجَّلِجُ<sup>(٦)</sup> فِي صَدْرِكَ مَا لَيْسَ يَبْلُغُكَ  
فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَا سِنَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! اعْرِفِ الْأَمْثَالَ وَالْأَشْيَاءَ، وَقِيسِ الْأَمْورَ  
عِنْدَ ذَلِكَ ثُمَّ اعْمَدْ إِلَى أَحْبَبِهَا إِلَى اللَّهِ وَأَشْبِهَهَا بِالْحَقِّ فِيمَا تَرَى، وَاجْعَلْ  
لِلْمَدْعِي حَقًا غَائِبًا أَوْ بَيْتَنَةً، أَمَدَا يَنْتَهِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ أَحْضَرَ بَيْنَهُ أَخْذَتْ لَهُ

(١) أَدْلَى إِلَى فَلَانَ أَيْ تَخُوصُمُ إِلَيْهِ.

(٢) الْإِجْرَاءُ.

(٣) سَوَّ.

(٤) جَوْرُكَ وَظَلْمُكَ.

(٥) تَمَادِي فِي غَيْهِ أَيْ دَامَ عَلَى فَعْلَهِ وَلَجَ.

(٦) يَتَرَدَّدُ.

بحقه ، وإلا وجهت عليه القضاء فإنه أُنفي للشك ، وأجلى<sup>(١)</sup> للعمى ، وأبلغ في العذر. المسلمين عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً<sup>(٢)</sup> في حدّ ، أو مجرّباً عليه شهادة زورٍ ، أو ظنيناً<sup>(٣)</sup> في ولاء أو قرابة ، فإنّ الله قد تولّى منكم السرائر<sup>(٤)</sup> ودرأ<sup>(٥)</sup> عنكم بالشبهات . وإياك والقلق والضجر<sup>(٦)</sup> ، والتلاؤ بالناس ، والشّنكر<sup>(٧)</sup> للخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الأجر ويُحسّن بها الْدُّخْر ، فإنه مَنْ يُخلصْ نيته فيما بينه وبين الله تبارك وتعالى ، ولو على نفسه ، يَكْفِهُ الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزيّنَ للناس بما يعلم الله خلافه هتك<sup>(٨)</sup> الله ستره وأبدى فعله ، والسلام عليك»<sup>(٩)</sup> .

\* \* \*

(١) اكشف.

(٢) مضروباً.

(٣) متهمًا.

(٤) جمع سريرة أي السر الذي يكتم.

(٥) دفع بابه فتح.

(٦) السامة والمملل بابه سمع.

(٧) تنك لفلان أي صار غريباً عنده.

(٨) خرق بابه ضرب.

(٩) البيان والتبيين ٤٩/٢.

## الأصحاب الحاضرون

تحدث ابن عائشة في إسناد ذكره أن علياً<sup>(١)</sup> (رضي الله عنه) انتهى إليه أن خيلاً<sup>(٢)</sup> لمعاوية وردت الأئمار<sup>(٣)</sup> فقتلوا عاملًا له يقال له حسان بن حسان ، فخرج مُغضبًا يجرث ثوبه حتى أتى التخيلة<sup>(٤)</sup> واتبعه الناس فرقى<sup>(٥)</sup> رَبَاوَةً<sup>(٦)</sup> من الأرض ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ ، ثم قال :

أما بعد! فإن الجهاد بباب من أبواب الجنة ، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله الذل ، وسيما الخسق<sup>(٧)</sup> ودُيّث<sup>(٨)</sup> بالصغر<sup>(٩)</sup> وقد دعوتكم إلى حرب

(١) أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه ورضي الله عنه) حكيم الإسلام وخطيبه وفارسه، ووارث رسول الله ﷺ في الأدب والبلاغة والعلم بلا خلاف، وإمامته في ذلك لم تنافيه قط.

أخطب المسلمين وإمام المنشدين وأحد أصحاب الأساليب والمذاهب في الإنشاء، وآثاره الأدبية من خطب وكتب وحكم - ما صبح منها - جمال اللغة العربية وبدائع النثر العربي وموضوع دراسة الأديب والباحث. توفي شهيداً سنة ٤٠ هـ.

(٢) جماعة الأفراص ج خيول وأخيال و تستعمل على المجاز للفرسان وركاب الخيل يقال : «أتى بخيله ورجله» أي بفرسانه و مشاته .

(٣) مدينة على الفرات في غربي بغداد بينهما عشرة فراسخ .

(٤) مصغراً موضع بالبادية .

(٥) رقي كفرح رقياً ورقياً الجبل وفيه وإليه صعد.

(٦) بالتلثيث الرابية وهي ما ارتفع من الأرض .

(٧) التقيقة والذل .

(٨) دينه أي ذلة .

(٩) الذل والضيـم .

هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً، سراً وإعلاناً، وقلت لكم: أغزوهم من قبل أن يغزوكم، فو الذي نفسي بيده! ما غزى قوماً قط في عقر<sup>(١)</sup> دارهم إلا ذلوا فتخاذلتم<sup>(٢)</sup> وتواكلتم<sup>(٣)</sup> وثقل عليكم قولي، واتخذتموه وراءكم ظهرياً<sup>(٤)</sup> حتى شئت<sup>(٥)</sup> عليكم الغارات. وهذا أخوه غامد<sup>(٦)</sup> قد ورَدَتْ خينله الأنبار وقتلوا حسان بن حسان، ورجالاً منهم كثيراً ونساء. والذي نفسي بيده! لقد بلغني أنه كان يدخل على المرأة المسلمة والمعاهدة فتتنزع أحجالهما<sup>(٧)</sup> ورعندهما<sup>(٨)</sup> ثم انصرفوا موفورين<sup>(٩)</sup> لم يكلم<sup>(١٠)</sup> أحداً منهم كلماً ، فلو أن امراً مسلماً مات من دون هذا أسفاماً كان عندي فيه ملوماً ، بل كان به عندي جديراً. يا عجباً كل العجب! عجب يميت القلب ويشغل الفهم ، ويكثر الأحزان من تظافر<sup>(١١)</sup> هؤلاء القوم على باطلهم ، وفشلهم<sup>(١٢)</sup> عن حقكم ، حتى أصبحتم غرضاً<sup>(١٣)</sup> ترمون ولا ترمون ، ويغار عليكم ولا تغيرون ويعصى اللهُ فيكم وتزضون ، إذا قلت لكم:

(١) وسط الدار.

(٢) ترك بعضكم بعضاً.

(٣) اتكل بعضكم على بعض.

(٤) ما تجعله وراء ظهرك وتساهج ظهاري.

(٥) شنّ الغارة عليهم وجهها عليهم من كل جهة.

(٦) هو سفيان بن عوف منبني غامد قبيلة من اليمين من أزد شنوة، بعثه معاوية لشن الغارات على أطراف العراق تهويلاً على أهله.

(٧) جمع حجل الخلخال.

(٨) الرعنة بالفتح وبفتحتين القرطج رعاث جج رعث.

(٩) السالمين والمتكررين.

(١٠) لم يجرح.

(١١) الاجتماع والتعاون.

(١٢) الضعف والجبن عند حرب أو شدة.

(١٣) الهدف ج أغراض.

اغزوهم في الشتاء قلتم : هذا أوان<sup>(١)</sup> قر<sup>(٢)</sup> وصَر<sup>(٣)</sup> ، وإن قلت لكم : اغزوهم في الصيف قلتم : هذه حمارة<sup>(٤)</sup> القبيظ<sup>(٥)</sup> ، أُظِرْنَا<sup>(٦)</sup> يَنْصَرِم<sup>(٧)</sup> الحر عنا . فإذا كتم من الحر والبرد تفرون ، فأنتم والله من السيف أفتر ، يا أشباه الرجال ولا رجال ويَا طغام الأحلام ، ويَا عقول ربَّاتِ الرجال<sup>(٨)</sup> ! والله ! لقد أفسدتكم عليَّ رأيي بالعصيان ، ولقد ملأتم جوفي غيظاً حتى قالت قريش : ابن أبي طالب رجل شجاع ، ولكن لا رأي له في الحرب . الله دُرُّهم ! ومن ذا يكون أعلم بها مني أو أشد لها مراساً<sup>(٩)</sup> ، فهو الله ! لقد نهضت<sup>(١٠)</sup> فيها وما بلغت العشرين ، ولقد نيقَت<sup>(١١)</sup> اليوم على الستين ، ولكن لا رأي لمن لا يُطاع - يقولها ثلثاً -<sup>(١٢)</sup>.

\* \* \*

(١) الوقت.

(٢) شدة البرد.

(٣) شدة البرد.

(٤) شدة الحر، ح حمار.

(٥) صميم الصيف ح أقياظ وقيوط.

(٦) أمهلنا.

(٧) ينقطع.

(٨) جمع حجلة أي ستري ضرب للعروس في جوف البيت.

(٩) مارس الأمر مراساً وممارسة عالجه وزاؤله وعاناها وشرع فيه.

(١٠) قمت.

(١١) نيق أي زاد.

(١٢) الكامل للمبرد، البيان والتبيين، نهج البلاغة؛ واللفظ للكامل - تحقيق محمد

أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاته ١٩١ - ٢٢.

## الإخوانُ الذاهبونَ

ومن خطب علي (كرم الله وجهه) - وقد قام إليه رجل من أصحابه - فقال: نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها فلم ندر أي الأمرين أرشد ، فصدق<sup>(١)</sup> عليه السلام إحدى يديه على الأخرى ثم قال:

هذا جزاء من ترك العقدة<sup>(٢)</sup> ، أما والله لو أني حين أمرتكم به حملتكم على المكره الذي يجعل الله فيه خيراً ، فإن استقمتم هديتكم ، وإن اعوججتم قومتكم . وإن أبيتم تداركتكم<sup>(٣)</sup> . وكانت الوثقي . ولكن بمن وإلى من؟ أريد أن أداوي بكم وأنتم دائئي كناش<sup>(٤)</sup> الشوكة<sup>(٥)</sup> بالشوكة وهو يعلم أن ضلعاها<sup>(٦)</sup> معها . اللهم قد ملت<sup>(٧)</sup> أطباء هذا الداء الدوي<sup>(٨)</sup> وكَلَّت<sup>(٩)</sup> النزعة<sup>(١٠)</sup> بأشطان<sup>(١١)</sup> الركي<sup>(١٢)</sup> ، أين القوم الذين دعوا إلى الإسلام فقبلوه ، وقرؤوا القرآن فأحكموه.

(١) التصفيق ضرب بباطن الراحة على باطن الأخرى .

(٢) البيعة المعقودة للولاة .

(٣) أصلحت شأنكم .

(٤) المستخرج .

(٥) ما يخرج من النبات شبيهاً بالإبر .

(٦) الميل والعرج .

(٧) مل كفرح ملاً وملأاً ومللة الشيء ومن الشيء سئمه وضجر منه .  
(٨) المريض .

(٩) كل كضرب كلاً وكله وكللاً وكلولاً وكلالة وكلولة تعب وأعيا .

(١٠) جمع النازع نزع الدلو وبالدلو جذبها واستقى بها .

(١١) جمع شيطان وهو الجبل .

(١٢) جمع ركبة وهي البئر ذات الماء ج ركايا وركبة .

وهيجوا<sup>(١)</sup> إلى القتال فولهوا<sup>(٢)</sup> وله اللقاح<sup>(٣)</sup> إلى أولادها. وسلوا<sup>(٤)</sup> السيف أغمادها. وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً وصفاً صفاً: بعض هلك ، وبعض نجا. لا يُبَشِّرُونَ بالآحياء ، ولا يعزون بالموتى ، مُرهٌ<sup>(٥)</sup> العيون من البكاء خمس<sup>(٦)</sup> البطون من الصيام ، ذُبْلٌ<sup>(٧)</sup> الشفاه<sup>(٨)</sup> من الدعاء. صفر الألوان من السهر ، على وجوههم غبرة<sup>(٩)</sup> الخاشعين.

أولئك إخواني الذاهبون! فحق لنا أن نظم<sup>(١٠)</sup> إليهم ونعرض<sup>(١١)</sup> الأيدي على فرافقهم<sup>(١٢)</sup>.

\* \* \*

(١) التهيج الإثارة والبعث.

(٢) وله كضرب وسمع ولها حزن شديداً حتى كاد يذهب عقله، تحير من شدة الوجد.

(٣) جمع اللقوح الناقة الحلوب الغزيرة البن.

(٤) سلَّ كنصر سلاً الشيء من الشيء انتزعه وأخرجه برفق.

(٥) مرحت كفرح مرحأ عينه فسدت وايضت بواطن أجفانه لترك الكحل فهو مره وأمره.

(٦) خمس كنصر وفرح وكرم خمساً وخموصاً ومخصوصة البطن فرغ وضمرا.

(٧) جمع ذاتل ذاتل كنصر وكرم ذاتلا وذبلانه أو شفته جفت.

(٨) جمع شفة ما يطبق على فمه ويستر أسنانه.

(٩) لون الغبار.

(١٠) ظماء كفرح ظماً وظماً وظماء وظماء إليه اشتاق.

(١١) عشه كفرح عضاً وعصيضاً أمسكه بأسنانه.

(١٢) نهج البلاغة.

## خطبة زياد بن أبيه<sup>(١)</sup>

أما بعد! فإن الجهة المجهلة ، والضلال العمياء ، والغيّ الموفى بأهله على النار ، ما فيه سفهاؤكم ، ويشتمل عليه حلماؤكم<sup>(٢)</sup> ، من الأمور العظام ، ينبع فيها الصغير ولا يتحاشى<sup>(٣)</sup> ، عنها الكبير. كأنكم لم تقرؤوا كتاب الله ، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته ، والعذاب الأليم لأهل معصيته ، في الزمن السرمدي الذي لا يزول. أتكونون كمن طرفت<sup>(٤)</sup> عينيه الدنيا ، وسدت مسامعه الشهوات ، واختار الفانية على الباقي؟ ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه: من ترككم الضعيف يقهر ، والضعفية<sup>(٥)</sup> المسلوبة بالنهار لا تنصر ، والعدد غير قليل ، والجمع غير

(١) من نوادي العرب ودواهيه ومن أخطب الخطباء وأشهر السياسيين والإداريين في العصر الإسلامي الأموي، خطب يوماً بين يدي عمر في حضرة المهاجرين والأنصار خطبة لم يسمعوا مثلها واستعان بعقله وكفائه عمر وعلى بعده ومعاوية بعدهما فكان فوق المتظر وهو من أقوى العمد التي قام عليها عرش بني أمية كانت وفاته سنة ٥٣ هـ.

(٢) أي عقلاؤكم.

(٣) لا يحترز ولا يجتنب.

(٤) طرف كضرب طرفاً عينه أي أصابها بشيء فدمعت.

(٥) كانت المرأة من أهل البلد يأخذها الفتى الفساق ويقولون لها نادي ثلاثة أصوات فإن أجابك أحد وإلا فلا لوم علينا فيما نصنع بلغ ذلك زياداً فغضب وأمهلهم شهراً ثم دعا عبد الله بن حبيب اليربوعي صاحب شرطه وأمره أن يأتي برأس كل من لقيه خارج منزله بعد العشاء الأخيرة ولو كان ابنه فجاءه في أول ليلة بسبعين مئة رأس وفي الثانية بخمسين رأساً وفي الثالثة برأس واحد وكف الفساق عن =

مفترق . ألم يكن منكم نهاية<sup>(١)</sup> يمنعون الغواة<sup>(٢)</sup> عن دلنج<sup>(٣)</sup> الليل وغارة النهار؟ قربتم القرابة ، وباءعدتم الدين . تعذرون بغير العذر ، وتغضون على التكير ، كل امرئ منكم يردد عن سفيهه ، صنيع من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معاداً . ما أنتم بالحلماء ، ولقد اتبعتم السفهاء ، فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الإسلام ، ثم أطرقوا<sup>(٤)</sup> وراءكم كنوسا<sup>(٥)</sup> في مكانس<sup>(٦)</sup> الريب . حرام عليّ الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدماً وإحراقاً . إنني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله : لين في غير ضعف ، وشدة في غير عنف<sup>(٧)</sup> . وإنني لأقسم بالله لأخذون الولي بالمولى ، والمقيم بالظاعن ، والمطيع بال العاصي ، والصحيح بالسقيم ، حتى يلقى الرجل أخاه فيقول : انج سعدْ فقد هلك سعيد<sup>(٨)</sup> ! أو تستقيم<sup>(٩)</sup> قناتكم . إن كذبة الأمير بلقاء<sup>(١٠)</sup> مشهورة ، فإذا

المعاصي . =

- (١) جمع ناه بمعنى المانع .
- (٢) جمع غاو أي الضال والمنقاد للهوى .
- (٣) السير في الليل .
- (٤) يقال أطرق الصيد أي نصب له حبالة .
- (٥) جمع كانس وهو الضبي يدخل في كناسه وهو بيته وجمعه أيضاً كنس وكوانس والمراد بها النساء .
- (٦) المخابي ومحال المنكر .
- (٧) مثلثة مع سكون النون ضد الرفق الشدة والقصاوية .
- (٨) بالضم مصغراً، هذا مثل سائر؛ وأصله أنه كان لضبة بن أذ ابنان سعد وسعيد فخرجا يطلبان إيلاً لهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد فكان ضبة إذا رأى سواداً تحت الليل قال: سعد أم سعيد؟ هذا أصل المثل فأخذ ذلك اللفظ منه وصار مما يشاع به وهو يضرب مثلاً في العناية بذى الرحم ويضرب في الاستخار بين الأمرين الخير والشر أيهما وقع .
- (٩) كناثة عن الصلاح يقال استقامت قناته أي صلح .
- (١٠) من كان في لونها سواد وبياض يعني إن كذبة الأمير افتضح بكذبه واشتهر عنه فإن البلى يمتاز عن سائر الجسد فإذا ثبت لكم أنني كذبت فلا طاعة لي عليكم . =

تعلقتم عليّ بکذبة فقد حلت لكم معصيتي . فإذا سمعتموها مني فاغتنموا <sup>(١)</sup> فيـ . واعلموا أن عندي أمثالها من نقب منكم عليه فأنا ضامن لما ذهب من ماله ، فأيـ اي ودلـج اللـيل ، فإـني لا أـوتـي بمـدلـج <sup>(٢)</sup> إلا سـفـكت دـمـه ، وقد أـجلـتـكم فيـ ذلك بـمـقـدـارـ ما يـأـتـيـ الخبرـ الكـوـفةـ وـيـرـجـعـ إـلـيـكـمـ . وإـيـايـ وـدـعـوـيـ الـجـاهـلـيـةـ ، فإـنيـ لاـ أـجـدـ أحـدـ دـعاـ بـهـ إـلـاـ قـطـعـتـ لـسـانـهـ . وقد أـحـدـثـمـ أحـدـاثـاـ لـمـ تـكـنـ ، وقد أـحـدـثـنـاـ لـكـلـ ذـنـبـ عـقـوبـةـ فـمـنـ أـغـرـقـ قـوـماـ أـغـرـقـنـاهـ ، وـمـنـ أـحـرـقـ قـوـماـ أـحـرـقـنـاهـ ، وـمـنـ نـقـبـ بـيـتاـ نـقـبـنـاـ عـنـ قـلـبـهـ ، وـمـنـ نـبـشـ <sup>(٣)</sup> قـبـراـ دـفـنـاهـ فـيـ حـيـاـ ، فـكـفـواـ عـنـيـ أـيـديـكـمـ وـأـسـتـكـمـ أـكـفـ عـنـكـمـ يـدـيـ وـلـسـانـيـ ، وـلـاـ تـظـهـرـ مـنـ أـحـدـكـمـ رـبـيـةـ بـخـلـافـ مـاـ عـلـيـهـ عـامـتـكـمـ إـلـاـ ضـرـبـتـ عـنـقـهـ ، وقد كـانـ بـيـنـيـ وـبـيـنـ قـوـمـ إـحـنـ <sup>(٤)</sup> ، فـجـعـلـتـ ذـلـكـ دـبـرـ أـذـنـيـ <sup>(٥)</sup> وـتـحـتـ قـدـمـيـ . إـنـيـ لـوـ عـلـمـتـ أـنـ أـحـدـكـمـ قـدـ قـتـلـهـ السـلـ <sup>(٦)</sup> مـنـ بـغـضـيـ لـمـ أـكـشـفـ لـهـ قـنـاعـاـ . وـلـمـ أـهـتـكـ لـهـ سـتـرـاـ ، حتىـ يـبـدـيـ لـيـ صـفـحـتـهـ ، فإذاـ فـعـلـ ذـلـكـ لـمـ أـنـاظـرـهـ . فـاسـتـأـنـفـواـ أـمـورـكـمـ . وـأـعـيـنـواـ عـلـيـ أـنـفـسـكـمـ ، فـرـبـ مـبـثـثـسـ <sup>(٧)</sup> بـقـدـوـمـنـاـ سـيـسـرـ ، وـمـسـرـوـرـ بـقـدـوـمـنـاـ سـيـبـثـسـ .

أـيـهاـ النـاسـ ! إـنـاـ قـدـ أـصـبـحـنـاـ لـكـمـ سـاسـةـ <sup>(٨)</sup> ، وـعـنـكـمـ ذـادـةـ <sup>(٩)</sup> ، نـسـوـسـكـمـ بـسـلـطـانـ اللهـ الـذـيـ أـعـطـانـاـ ، وـنـدـوـدـ عـنـكـمـ بـفـيـءـ اللهـ الـذـيـ خـوـلـنـاـ <sup>(١٠)</sup> . فـلـنـاـ

- (١) اـغـتـمـزـهـ أـيـ طـعنـ عـلـيـهـ .
- (٢) أـيـ المـاشـيـ فـيـ اللـيلـ .
- (٣) أـبـرـزـ بـابـهـ نـصـرـ .
- (٤) جـمـعـ إـحـنـةـ أـيـ الحـقـدـ .
- (٥) أـيـ خـلـفـ أـذـنـيـ كـنـاـيـةـ عـنـ التـرـكـ أـيـ فـلـمـ أـصـفـ إـلـيـهـ وـلـمـ أـعـرـجـ عـلـيـهـ .
- (٦) بـالـكـسـرـ وـالـقـسـمـ الـهـزـالـ وـدـاءـ مـعـرـوـفـ .
- (٧) الـمحـزـونـ .
- (٨) جـمـعـ سـائـسـ وـهـوـ الـمـدـبـرـ لـأـمـورـ الـقـوـمـ .
- (٩) جـمـعـ ذـائـدـ وـهـوـ الـمـدـافـعـ .
- (١٠) أـيـ أـعـطـانـاـ .

عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ، ولكم علينا العدل فيما ولينا ،  
فاستوجبوا عدلتنا وفيئنا بمناصحتكم لنا . وايم الله ! إن لي فيكم لصرعى <sup>(١)</sup>  
كثيرة فليحذر كل منكم أن يكون من صرعى <sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

(١) جمع صريح وهو المضروع .

(٢) البيان والتبيين ٦٢ / ٢ - ٦٤ .

## خطبة طارق بن زياد عند فتح الأندلس<sup>(١)</sup>

أيها الناس ! أين المفر ؟ البحر من ورائكم<sup>(٢)</sup> ، والعدو أمامكم ، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر . واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللثام . وقد استقبلكم عدوكم بجيشه ، وأسلحته وأقواته موفورة ، وأنتم لا وزر<sup>(٣)</sup> لكم إلا سيفكم . ولا أقوات إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم . وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا<sup>(٤)</sup> لكم أمراً ذهب ريحكم<sup>(٥)</sup> وتعوضت القلوب من ربها منكم الجرأة عليكم<sup>(٦)</sup> فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة<sup>(٧)</sup> هذا الطاغية<sup>(٨)</sup> فقد ألت به إليكم مديتها الحصينة<sup>(٩)</sup> . وإن انتهز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت . وإنني لم أحذركم أمراً أنا عنه بنجوة<sup>(١٠)</sup> ولا حملتكم دوني على خطة أرخص متاع فيها النفوس ، أبدأ

(١) كان من البربر وكان مولى لموسى بن نصير عامل الوليد بن عبد الملك على إفريقية وإليه ينسب جبل طارق في جنوب الأندلس ولخطبته هذه فضل كبير في الفتح الأندلسي وفيما أسس العرب هنالك من دولة وحضارة . توفي سنة ٩٢ هـ .

(٢) لأنه أحرق السفن التي وصلوا بها إلى بلاد إسبانيا .

(٣) بفتحترين الملجا .

(٤) أنجز الحاجة قضاها .

(٥) أي ضاعت قوتكم وغلبتكم .

(٦) أي تعجسرت عليكم بدل خوفها منكم .

(٧) المقاتلة .

(٨) العجبار ولقب ملك الروم وربما أطلقه العرب على غيرهم .

(٩) المنعية بابه كرم .

(١٠) يقال : «إنه من الأمر بنجوة» إذا كان بعيداً منه بريئاً سلماً .

بنفسى . واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلاً استمتعتم بالأرفة<sup>(١)</sup> الألذ طويلاً ، فلا ترغبو بأنفسكم عن نفسى فما حظكم فيه<sup>(٢)</sup> بأوفر من حظى . وقد بلغكم ما أنسأت<sup>(٣)</sup> هذه الجزيرة من الخيرات العميمة<sup>(٤)</sup> وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عربانا<sup>(٥)</sup> ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهارا<sup>(٦)</sup> وأختانا<sup>(٧)</sup> ثقة منه بارتياحكم للطعان وسماحكم بمجالدة<sup>(٨)</sup> الأبطال والفرسان ليكون حظه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته وإظهار دينه بهذه الجزيرة ، ولزيون مغنمها خالصة لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم ، والله تعالى ولني أنجادكم<sup>(٩)</sup> على ما يكون لكم ذكراً في الدارين . واعلموا أني أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه وأنني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسى على طاغية القوم لذريق فقاتله إن شاء الله تعالى . فاحملوا معي فإن هلكت بعده فقد كفيتكم أمره ولم يعوزكم<sup>(١٠)</sup> بطل عاقل تُسندون أمركم إليه ، وإن هلكت قبل وصولي إليه فاخلفوني في عزيمتي هذه . واحملوا بأنفسكم عليه واكتفوا بهم من فتح هذه الجزيرة بقتله<sup>(١١)</sup> .

\* \* \*

(١) الأرגד الألين .

(٢) أي في الأمر الأشق .

(٣) ما أخرجت .

(٤) الكثيرة .

(٥) العربون والعربون والعربان هو بعض الثمن يعطيه الرجل لمعامله ويقول له إن تم العقد احتسبنا وإلا فهو لك ولا آخذه منك .

(٦) جمع صهر بالكسر وهو القريب المحرم للزوج أو الزوجة .

(٧) جمع ختن وهو القريب المحرم للزوجة .

(٨) المقاتلة .

(٩) النصر والإعانته .

(١٠) أعوزه المطلوب أعجزه وصعب عليه نيله .

(١١) نفح الطيب ، للمقربي .

## خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي<sup>(١)</sup>

يا أهل العراق! إن الشيطان قد استطعنكم<sup>(٢)</sup> فخالط اللحم والدم، والعصب<sup>(٣)</sup> والمسامع والأطراف والأعضاء والشغاف<sup>(٤)</sup>، ثم مضى إلى الأمخاخ والأصماخ<sup>(٥)</sup>، ثم ارتفع فعشش<sup>(٦)</sup>، ثم باض وفرخ<sup>(٧)</sup>، فحشاكم<sup>(٨)</sup> نفacaً وشقاقاً، وأشعركم خلافاً، قد اتخدتموه دليلاً تتبعونه، وقائداً تطيعونه، ومؤاماً<sup>(٩)</sup> تستشيرونه. فكيف تنفعكم تجربة، أو تعظكم

(١) جlad بني أمية ودعاة ملوكهم كان لسنا سليطاً قوي الحجة لا يكاد يعدله في ذلك أحد من أهل زمانه، قال مالك بن دينار: «ما رأيت أحداً أبين من الحجاج إنه كان ليرقى المنبر فيذكر إحسانه إلى أهل العراق وصفحه عنهم وإساءتهم إليه حتى لا حسبه صادقاً وأظنه كاذبين» مع أنه قتل منهم بالصبر مئة وعشرين ألفاً وتوفي في سجونه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة. توفي عام ٩٥ هـ في شهر رمضان وقيل في شوال.

(٢) استطعن الشيء دخل بطنه واستطعنه اتخذه له بطنة أي خاصة.

(٣) بفتح الصاد أطناب منتشرة في الجسم كله وبها تكون الحركة والحس وج أعصاب.

(٤) بالفتح غلاف القلب وجنته ج شغف وأشغفة.

(٥) جمع مُخ وكذا الأصماخ جمع صِمَاخ لكنه لا يساعد اللغة لأن المخ وهو نقي العظم جمعه مِنْخَ وِمِنْخَة، والصماخ، وهو خرق الأذن الباطن الماضي إلى الرأس جمعه صُمُخ وأصِمَخَة.

(٦) أي اتخذ عشا وهو موضع الطائرات ذات عشاش وعششة وأعشاش وعشوش.

(٧) فرخت الطائرة أي صارت ذات فريخ وهو ولد الطائر.

(٨) ملاً بابه نصر.

(٩) المشارور.

وَقْعَةُ، أَوْ يَحْجِزُكُمْ<sup>(١)</sup> إِسْلَامُ، أَوْ يَنْفَعُكُمْ بَيَانُ؟ أَلْسْتُمْ أَصْحَابِي  
بِالْأَهْوَازِ<sup>(٢)</sup>، حَيْثُ رَمْتُ الْمَكْرَ، وَسَعَيْتُمْ بِالْغَدْرِ، وَاسْتَجْمَعْتُمْ لِلْكُفَّرِ،  
وَظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ يَخْذُلُ دِينَهُ وَخَلْفَتُهُ؟ وَأَنَا أَرْمِيكُمْ بِطَرْفِي وَأَنْتُمْ تَتَسلَّلُونَ<sup>(٣)</sup>  
لَوْاذاً<sup>(٤)</sup>، وَتَنْهَزُمُونَ سَرَاعًا.

وَيَوْمَ الزَّاوِيَةِ<sup>(٥)</sup>! وَمَا يَوْمُ الزَّاوِيَةِ؟ بِهَا كَانَ فَشْلَكُمْ<sup>(٦)</sup> وَتَنَازُعُكُمْ وَبِرَاءَةُ  
اللَّهِ مِنْكُمْ، وَنَكُوصُ<sup>(٧)</sup> وَلِيَهُ عَنْكُمْ، إِذَا وَلِيْتُمْ كَالْإِبْلِ الشَّوَارِدَ<sup>(٨)</sup> إِلَى  
أَوْطَانِهَا، النَّوَازِعَ<sup>(٩)</sup> إِلَى أَعْطَانِهَا<sup>(١٠)</sup>، لَا يَسْأَلُ الْمَرءُ مِنْكُمْ عَنْ أَخِيهِ،  
وَلَا يَلْوِي<sup>(١١)</sup> الشَّيْخُ عَلَى بَيْهِ حَتَّى عَضْكُمُ السَّلَاحُ وَقَصْمَتُكُمْ<sup>(١٢)</sup> الرَّماحُ.  
وَيَوْمَ دِيرِ الْجَمَاجِمِ<sup>(١٣)</sup>! وَمَا يَوْمُ دِيرِ الْجَمَاجِمِ؟ بِهَا كَانَتِ الْمَعَارِكُ<sup>(١٤)</sup>  
وَالْمَلاَحمُ<sup>(١٥)</sup> بِضْرَبِ يَزِيلِ الْهَامِ<sup>(١٦)</sup> عَنْ مَقِيلِهِ<sup>(١٧)</sup>، وَيَذْهَلُ الْخَلِيلُ عَنْ  
خَلِيلِهِ.

(١) يمنع بابه نصر وضرب.

(٢) تسع كور بين البصرة وفارس لكل كورة منها اسم ولكن لا تفرد باسم هوز.

(٣) تسلل وانسل من الزحام انطلق في استخفاء.

(٤) أي تهربون مستخفين ومستتررين بعضكم ببعض.

(٥) مكان كانت به وقائع بين الحجاج وبين الأشعث.

(٦) الجن عند حرب أو شدة بابه سمع.

(٧) نكس كنصر وضرب نكشًا ونكوصًا ومنكشًا عن الأمر أحجم وكف عنه.

(٨) جمع شاردة وهي التافرة بابه نصر.

(٩) جمع نازعة نزع كفتح نزاعاً وزنوعاً إلى أهله أي اشتاق.

(١٠) جمع عطن مبرك الإبل حول الماء.

(١١) لا ينطفف ولا يعرج.

(١٢) كسrt بابه ضرب.

(١٣) مكان كانت به وقائع بين جيوش الحجاج وبين عبد الرحمن بن الأشعث.

(١٤) مواضع القتال.

(١٥) جمع ملحمة وهي الموقعة العظيمة القتل في الحرب.

(١٦) جمع هامة أي رأس كل شيء.

(١٧) المقر والمكان.

يا أهل العراق! أهل الكفرات بعد الفجرات، والغدرات بعد الخترات، والثورة بعد النزوات! إن أبعاثكم إلى ثبوركم<sup>(١)</sup> غللتكم<sup>(٢)</sup> وختتم، وإن أمتكم أرجفتم<sup>(٣)</sup>، وإن خفتم نافقتم، لا تذكرون حسنة، ولا تشکرون نعمة، هل استخفّكم<sup>(٤)</sup> ناکث، واستغواكم غاو، أو استفرّكم عاصٍ، أو استنصركم ظالم، أو استعتصدكم<sup>(٥)</sup> خالع إلا وثقتموه وأویتموه ونصرتتموه ورضيتموه؟

يا أهل العراق، هل شغب<sup>(٦)</sup> شاغب، أو نَعْب<sup>(٧)</sup> ناعب، إلا كتم أتباعه وأنصاره؟ ألم تنهكم الموعظ؟ ألم تزجركم الواقع؟ ثم التفت إلى أهل الشام فقال:

يا أهل الشام! إنما أنا لكم كالظليم<sup>(٨)</sup> الذياب عن فراخه<sup>(٩)</sup> ينفي عنها المدر، ويباعد عنها الحجر، ويُكثّها من المطر. ويحميها من الضباب<sup>(١٠)</sup>، ويحرسها من الذئاب.

يا أهل الشام! أنتم الجنة<sup>(١١)</sup> والرِّداء، وأنتم العُدَّة والغطاء<sup>(١٢)</sup>.

\* \* \*

(١) جمع ثغر وهو المكان الذي يخاف منه هجوم العدو.

(٢) سرقتهم.

(٣) أي خضتم في الأخبار السيئة والفنن قصد أن تهيجوا الناس.

(٤) استخفه استجهله وأزاله عن الحق والصواب.

(٥) استصر.

(٦) شغب كفتح وفرح شعباً وشعباً القوم وبهم وعليهم هيج الشر عليهم.

(٧) نَعْب كفتح وضرب نبا ونعا ونعيها ونَعْباناً ونَعْبانياً وتَنَعْبانياً وتناعباً الغراب صوت.

(٨) الذكر من النعام ج ظلمان وظلمان وأظلمة.

(٩) عن أولاده.

(١٠) جمع ضب وهو حيوان من الرحافات ذنبه كثير العقد.

(١١) الترس ج جن.

(١٢) البيان والتبيين - تحقيق عبد السلام هارون - ١٣٨/٢ - ١٣٩

## عهد عمر بن عبد العزيز إلى قائد جيشه<sup>(١)</sup>

هذا ما عَهَدَ به عبدُ الله عَمْرُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُنْصُورَ بْنِ غَالِبِ حِينَ  
بَعْثَهُ عَلَى قِتَالِ أَهْلِ الْحَرْبِ وَحَرْبِهِ مِنْ اسْتِعْرَضِ مِنْ أَهْلِ الصَّلَحِ، أَمْرَهُ فِي  
ذَلِكَ بِتَقْوَى اللَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ نَزَلَ بِهِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ. فَإِنْ تَقْوَى اللَّهُ أَفْضَلُ  
الْعَدْدَ<sup>(٢)</sup>، وَأَبْلُغُ الْمَكِيدَةَ، وَأَقْوِيُ الْقُوَّةَ. وَأَمْرَهُ أَنْ لَا يَكُونَ مِنْ شَيْءٍ مِنْ  
عَدُوِّهِ أَشَدَّ احْتِرَاسًا<sup>(٣)</sup> مِنْهُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ، فَإِنَّ الذُّنُوبَ  
أَخْوَفُ عَنِّي عَلَى النَّاسِ مِنْ مَكِيدَةِ عَدُوِّهِمْ. وَإِنَّمَا نَعَادِي عَدُوِّنَا وَنُنْصَرِّ  
عَلَيْهِمْ بِمَعْصِيَتِهِمْ. وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ لَنَا قُوَّةٌ بِهِمْ، لَأَنَّ عَدَنَا لَيْسَ  
كَعَدَدِهِمْ، وَلَا عُدَّتَنَا كَعَدَتِهِمْ. فَلَوْلَا سَتَوْيَنَا نَحْنُ وَهُمْ فِي الْمَعْصِيَةِ كَانُوا  
أَفْضَلُ مَنَا فِي الْقُوَّةِ وَالْعَدْدِ فَإِنْ لَا نَنْصُرُ عَلَيْهِمْ بِحَقْنَا لَا نَغْلِبُهُمْ بِقُوَّتِنَا.  
وَلَا تَكُونُوا لِعَدَاوَةً أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَحَدُكُمْ لِذُنُوبِكُمْ. وَلَا تَكُونُوا  
بِالْقَدْرَةِ لَكُمْ أَشَدُّ تَعَااهِدًا مِنْكُمْ لِذُنُوبِكُمْ. وَاعْلَمُوا أَنَّ مَعَكُمْ مِنَ اللَّهِ حَفْظَةً  
عَلَيْكُمْ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ فِي مَسِيرِكُمْ وَمِنْزِلَكُمْ، فَاسْتَحْيُوا مِنْهُمْ،  
وَأَحْسِنُوا صَحَابَتِهِمْ، وَلَا تَؤْذُوهُمْ بِمَعَاصِي اللَّهِ وَأَنْتُمْ زُعمَتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

(١) الرجل الصالح وال الخليفة الراشد وثاني عمر (رضي الله عنه) في الاسم والرسم وأسوة للملوك والأمراء إلى يوم القيمة، ولـي الخلافة سنة ٩٩ هـ بعد سليمان بن عبد الملك فأدى الأمانة وبلغ الغاية في الورع والزهادة والتحرى للحق والعدل والتغافل عن أموال المسلمين وخشونة العيش وجشودية المطعم والملبس لحق بجده عمر (رضي الله عنه) سنة ١٠١ هـ.

(٢) ما أعددته لحوادث الدهر من مال وسلاح ج عدداً.

(٣) تحفظاً وتوقياً.

ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن يسلطوا علينا وإن أذبنا، فرب قوم قد سلط عليهم شر منهم بذنبهم فسألوا الله العون على أنفسكم، كما تسألونه النصر على عدوكم، وأسأل الله ذلك لنا ولكم.

وأمره أن يرفق بمن معه في سفرهم، ولا يجشّمهم<sup>(١)</sup> مسيراً يتبعهم فيه، ولا يقصر بهم عن منزل يرفق بهم حتى يلقوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم، فإنما يسيرون إلى عدو مقيم جام الأهبة والكُراع<sup>(٢)</sup> فإن لا يرافقوا بأنفسهم وكُراعهم في مسيرهم، يكن لعدوهم فضل في القوة عليهم بإقامتهم في جمام<sup>(٣)</sup> الأنفُس والكُراع والله المستعان.

وأمره أن يقيم ومن معه في كل جمعة يوماً وليلة يكون لهم راحة يجمّون فيها أنفسهم وكُراعهم ويرمّون أسلحتهم وأمتعتهم.

وأمره أن ينحّي منزله عن قرى الصلح، فلا يدخلها أحد من صحابه لسوقهم وجماعتهم إلا من يثق بدينه وأمانته على نفسه، ولا يصيروا منها ظلماً، ولا يتزورّدوا منها إنما، ولا يؤذوا أحداً من أهلها بشيء إلا بحق، فإنّ لهم حرمةً وذمةً ابتليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها، فما صبروا لكم ففوا لهم. ولا تستنصروا على أهل أرض الحرب بظلم أهل أرض الصلح فلعمري لقد أعطيتم مما يحلّ منهم ما يُغنىكم عنهم، فلم أترك لكم خللاً في العدة، ولا رقة في القوة فتظاهرت واكتفت لكم العدد، وانتخبتم لكم الجناد، وأغنتيك بأرض الشرك عن أرض الصلح، ويسقط لك أفضلي ما بسطت لغاري. فلم أجعل لك علة في التقوية وبإله الثقة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) لا يكلفهم.

(٢) اسم يطلق على الخيول والبغال والحمير.

(٣) أي الاستراحة.

وأمره أن تكون عيونه<sup>(١)</sup> من العرب وممن يطمئن إلى نصيحته وصدقه من أهل الأرض، فإن الكذوب لا ينفع خبره، وإن صدقاً في بعضه. وإن الغاش<sup>(٢)</sup> عينُ عليك وليس بعين لك والسلام عليك<sup>(٣)</sup>.

\* \* \*

(١) جمع عين وهو الجاسوس.

(٢) من يظهر خلاف ما أصرمه وزين غير المصلحة.

(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز لأبي محمد عبد الله بن عبد الحكم المتوفى سنة ٧٢٤هـ. ص ٧١-٧٣.

## وصف الصَّيد

عبد الحميد الكاتب<sup>(١)</sup>

أطال الله بقاء أمير المؤمنين مؤيداً بالعز، مخصوصاً بالكرامة، ممتعًا بالنعمة، إنه لم يلقي أحدًا من المقتنيفين، ولا منح متطرف<sup>(٢)</sup> من المتصدّين، إلا دون ما لقانا الله به من اليمن والبركة، ومنحنا من الظفر والسعادة في مسيرنا من كثرة الصيد، وحسن المقتنص<sup>(٣)</sup>، وتمكين الجاسة<sup>(٤)</sup>، وقرب الغاية، وسهولة المورد وعموم القدوره<sup>(٥)</sup>، إلا ما كان

(١) هو أبو غالب بن يحيى بن سعد المنسوب إلىبني عامر نسبة ولائية، فهو من سلاله غير عربية، إمام الكتاب ومجدد صناعة الإنشاء والترسل، ثقف الكتابة على سالم مولى هشام بن عبد الملك وكاتب سره، ثم استكتبه مروان بن محمد آخر خلفاءبني أمية، فنفق عنده وحظي ما لم يحظ به غيره. وتمكن من إدخال تحسينات كثيرة على الصناعة، منها توسيع الخطاب، ومراعاة مقتضى الحال، والتفنن في البدء والختام، وإطالة التحميدات؛ نفقة له سوق الكتابة لمكانه من الخليفة وزعامته لطبقة الكتاب. قتل سنة ١٣٢هـ. والقطعة التي اقتبسناها تدل على اقتداره على اللغة والتعبير، وحسن التصوير، وعلى سعة اللغة العربية وغزاره مادتها وإسعافها للكتاب في أغراض متنوعة وأزمنة مختلفة.

(٢) مُتَطَّرِّفٌ: تطرّف عليهم: أغار.

(٣) المقتنص: موضع الصيد.

(٤) الجاسة: لعلها محربة عن الجباله.

(٥) القدوره: القدرة.

من محاولة الطلب، وشدة النَّصْب<sup>(١)</sup>، لنافر<sup>(٢)</sup> الصيد، وقائد الطريدة<sup>(٣)</sup> التي أمعنَّا في الطلب لها، وأعجزَنا البُهْر<sup>(٤)</sup> عن اللَّحاق بها، لتفاوت سبقها، ومنقطع هربها، ومتفرق سُبُلها، ثم آل بنا ذلك إلى حسن الظرف، وتناول الأرب، ونهاية الطلب.

وإني أخبر أمير المؤمنين أنا خرجنا إلى الصيد بأعدى<sup>(٥)</sup> الجوارح<sup>(٦)</sup> وأنتفِ<sup>(٧)</sup> الضواري<sup>(٨)</sup>؛ وأكرمها أجنساً، وأعظمها أجساماً، وأحسنها ألواناً، وأحدها أطرافاً، وأطولها أعضاء، قد تُقْفَتْ بحسن الأدب، وعُودَتْ شدَّةَ الطلب، وسبرت<sup>(٩)</sup> أعلام<sup>(١٠)</sup> المواقف، وخبرتْ المجائم<sup>(١١)</sup>، معجولةً على ما عُودَتْ، ومقصورةً على ما أَدْبُتْ؛ ومعنَا من نفائس الخيل المخبورة<sup>(١٢)</sup> الفراهة<sup>(١٣)</sup>، من الشَّهْرِيَّة<sup>(١٤)</sup> الموصوفة بالنجابة، والجري والصلابة، فلم نزل بأخفض سير، وأثقل طلب. وقد

(١) النصب: (فتح النون والصاد) العناء والتعب.

(٢) النافر: مُهِيج الصيد وسائقه، ج ثَفْر وثُفْر.

(٣) الطريدة: ما طردت من صيد ونحوه ج الطرائد.

(٤) البُهْر: انقطاع القَسْ من الإعياء.

(٥) أعدى: أكثر جرياً وعدواً.

(٦) الجوارح: جمع جارحة، وهي ذات الصيد من السباع والطير والكلاب.

(٧) أثقل: أحذق، أمهر بابه سمع وكرم.

(٨) الضواري: جمع الضاري وهو الكلب المتعود للصيد والمولع به.

(٩) سَبَرَتْ (الأمر) جزَّبه واختبره بابه نصر وضرب.

(١٠) أعلام: جمع علم بفتحتين، شيء يُنصب فيهتدى به.

(١١) المجائم: جمع مجثم بفتح الميم، وهو موضع الجثوم، أي موضع تلبد الطائر والحيوان ونحوهما بالأرض، بابه نصر وضرب.

(١٢) المخبورة: المعلومة عن تجربة واختبار ومشاهدة.

(١٣) الفراهة: النشاط في السير.

(١٤) الشَّهْرِيَّة: البراذين، وهو جمع برذون (بكسر فسكون ففتح فسكون) التركي من الخيل، وخلافها العراب.

أمطرْتُنا السماء مطراً متدارك<sup>(١)</sup>، فَرَبَتْ منه الأرض، وزهرَ البقل، وسكنَ  
القَتَام<sup>(٢)</sup>، من مُثَارِ السُّنَابَك<sup>(٣)</sup>، وَمُتَشَعِّباتِ الأعاصير، مهلهلةً أن سُرَنا  
غَلَوات<sup>(٤)</sup>، ثم بَرَزَتِ الشَّمْس طالعةً، وانكشَفتَ من السحاب مسْفَرَةً،  
فَتَلَائِلُ الأشجار، وضَحْكُ النُّوَار<sup>(٥)</sup>، وانجَلتِ الأَبْصَار، فلم نر منظراً  
أَحْسَنَ حُسْنَاً، وَلَا مَرْمُوقاً أَشْبَهَ شَكْلاً، مِنْ ابْتِسَامِ نُورِ الشَّمْسِ عَنِ الْخَضْرَاءِ  
زَهْرَةِ الْرِّيَاضِ، وَالْخَيْلُ تَمَرَحَ بِنَا نَشَاطاً، وَتَجَذَّبَنَا أَعْتَنَاهَا ابْسَاطَاً؛ ثُمَّ لَمْ  
نَلْبِثْ أَنْ عَلَّتْنَا ضَبَابَةً تَقْصُرْ طَرْفَ النَّاظِرِ، وَتَخْفِي سُبْلَ السَّلَامِ، تَغْشَانَا تَارَةً  
وَتَنْكِشَفُ أَخْرِيَّ، وَنَحْنُ بِأَرْضِ دَمِثَة<sup>(٦)</sup> التَّرَابِ، أَشْبَهَةَ<sup>(٧)</sup> الْأَطْرَافِ،  
مُغْدِقَةَ<sup>(٨)</sup> الْفِجَاجِ، مَمْلُوَّةً صِيدَاً، مِنَ الظَّبَاءِ وَالثَّعالِبِ وَالْأَرَابِ، فَأَدَانَا  
الْمُسَيْرُ إِلَى غَابَةِ دُونَهَا مَأْلَفَ الصَّيْدِ، وَمَجَمَعَ الْوَحْشِ، وَنَهَايَةَ الْطَّلَبِ، قَدْ  
جَاؤَرَنَا هَا وَنَحْنُ عَلَى سَبِيلِ الْطَّلَبِ مُمْنَعُونَ، وَبِكُلِّ حَرَّةٍ<sup>(٩)</sup> جَوْنَة<sup>(١٠)</sup>  
مُتَفَرِّقُونَ، فَرَجَعَ بِنَا العَوْدُ عَلَى الْبَدَءِ، وَقَدْ انْجَلَتِ الضَّبَابَةُ، وَامْتَدَّ الْبَصَرُ،  
وَأَمْكَنَ النَّظَرُ، فَإِذَا نَحْنُ بِرَعْلَةٍ<sup>(١١)</sup> مِنْ ظِبَاءِ، وَخِلْفَةٍ<sup>(١٢)</sup> آرَامِ<sup>(١٣)</sup>

(١) متدارك: متتابعاً متلاحقاً.

(٢) القَتَام: (بالفتح) الغبار الأسود.

(٣) السُّنَابَك: جمع سُبْنُك (بضم فسكون فضم) وهو طرف الحافر.

(٤) غَلَوات: جمع غَلْوَة؛ رمية سهم أبعد ما تقدر عليه.

(٥) النُّوَار: (بضم النون مع فتح الواو المتشددة) الواحدة «نُوَارَة» ج نواوير، الزهر.

(٦) دَمِثَة: لينة ذات الرمل.

(٧) الأشْبَه: الملتقة الشجر.

(٨) مُغْدِقَة: متَسعة.

(٩) حَرَّة: أرض ذات حجارة نخرة سود.

(١٠) جَوْنَة: (بفتح فسكون) السوداء.

(١١) رَعْلَة: (بفتح فسكون) جماعة متفرقة. ج رِعَال، وَأَرْعَال، وَأَرْعِيل.

(١٢) خِلْفَة: ما يبقى أو يتبع، يقال «في البَرِّ خِلْفَةٌ مِنَ الْمَاءِ» أي بقية.

(١٣) آرَام: جمع رَثْ (بكسر فسكون) الطبي الأبيض.

يرتعن<sup>(١)</sup> آنسات، قد أحالتهم الضيابة عن شخصنا، وأذهلهمْ أنيق الرياض عن استماع حستنا، فلم نَعُج<sup>(٢)</sup> إلا والضواري لائحة لهنّ من بعد الغاية، ومنتهم نظر الشاخص ثم مدت الجوارح أجنحتها، واجتذبت الضواري مقاودها<sup>(٣)</sup>، فأمرت بإرسالها على الثقة بمحضرها<sup>(٤)</sup>، وسرعة الجوارح في طلبها، فمررت تحفُّ حفيق<sup>(٥)</sup> الريح عند هبوبها، تُسِّفَ<sup>(٦)</sup> الأرض سفّاً، كاشفةً عن آثارها، طالبةً لخيارها، حارشة<sup>(٧)</sup> بأظفارها، قد مزقتها تمزيق الريح الجرداء؛ فمن صائح بها وناعر<sup>(٨)</sup>، وهاتف بها وناعق<sup>(٩)</sup>، يدعو الكلب باسمه، ويفدّيه بأبيه وأمه؛ وراكض تحت مُفْرَّه، وخافق<sup>(١٠)</sup> يطلبه الرمح، وطامح<sup>(١١)</sup> يمنعه، وسانح<sup>(١٢)</sup> قد عارضه بارح، قد حيرتنا الكثرة، وألهجتنا<sup>(١٣)</sup> القدرة، حتى امتلأت أيدينا من صنوف الصيد، والله المنعم الوهاب.

(١) يرتعن: من (فتح) رتعأ ورتوعأ ورتاعأ (في المكان) أقام وتنعم وأكل فيه وشرب ما شاء في خصب وسعة ورغد.

(٢) نَعُجْ: عاج يعوج عوجاً ومعاجاً (السائل) وقف (إلى أو على المكان) مال وعطف.

(٣) مقاود: جمع مِقْوَد (بكسر الميم) ما تقاد به الدابة من جبل ونحوه.

(٤) محضر: ح محاضر، الحضور.

(٥) حفيق: صوت الريح.

(٦) تُسِّفَ: أسف (الطائر والسحب ونحوه) مَرَّ على وجه الأرض، أو دنا من الأرض.

(٧) حارشة: حرش من (ض) حرشاً وتحرشاً: خدش.

(٨) ناعر: صائح، مصوات.

(٩) ناعق: من (س) نعقاً (الغраб) صاح.

(١٠) خافق: غائب.

(١١) طامح: ناشز، جامع.

(١٢) سانح: ح سوانح الذي يأتي من جانب اليمين، ويقابلة «البارح» وهو الذي يأتي من جانب اليسار، والعرب تيّمن بالسانح، وتشاءم بالبارح.

(١٣) ألهج: (فلاناً بالشيء) جعله يلهم ويولع به.

ثُمِّ مِلْنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَدَى دَلِيلٍ قَدْ أَحْكَمْتَهُ التَّجَارِبُ، وَخَبَرُ أَعْلَامَ  
الْمَذَانِبِ، إِلَى غَدِيرِ أَفْيَحِ<sup>(١)</sup>، وَرُوْضَةَ خَضْرَةِ، مُسْتَأْجِمَةَ<sup>(٢)</sup> بِتَلَاوِينَ<sup>(٣)</sup>  
الشَّجَرِ، مُلْتَفَّةَ بِصُنُوفِ الْخَمَرِ<sup>(٤)</sup>، مَمْلُوَّةَ مِنْ أَنْوَاعِ الطَّيْرِ، لَمْ يَذْعَرْهُنَّ  
صَائِدٌ، وَلَا اقْتَنَصَهُنَّ قَانِصٌ، فَخُفِّقَ لَهَا بَطْبُولٌ، وَصُفْرٌ بِنَفِيرِ الْحَتْفِ، فَشَارَ  
مِنْهَا مَا مَلَأَ الْأَفْوَقَ كَثْرَتُهَا، وَرَاعَتِ الْجَوَارِحُ خَفَقَاتُ أَجْنَاحِهَا؛ ثُمَّ انْبَرَتِ<sup>(٥)</sup>  
الْبُرَّاةِ<sup>(٦)</sup> لَهَا صَائِدَةٌ، وَالصَّقُورُ كَاسِرَةَ<sup>(٧)</sup>، وَالشَّوَاهِينُ ضَارِيَةٌ، يَرْفَعُنَ  
الْطَّلْبَ لَهَا، وَيَخْفِضُنَ الظَّفَرَ بِهَا، حَتَّى سَئَمَنَا مِنَ الذَّبْحِ، وَامْتَلَأْنَا مِنَ  
النَّضِيعِ<sup>(٨)</sup>، كَائِنًا كَتِيبَةَ<sup>(٩)</sup> ظَفَرَتِ بِبَغْيَتِهَا، وَسَرِيَّةَ<sup>(١٠)</sup> نُصِرَتِ عَلَى عَدُوِّهَا،  
وَالْحَقْتُ ضَعِيفَهَا بِقُوَّيْهَا وَغَلَبْتُ مُحَسِّنَهَا بِمُسَيَّهَا؛ لَا نَمْلَكُ أَنْفُسَنَا مَرَحَّاً،  
وَلَا نَسْتَفِيقُ مِنَ الْجَذَلِ<sup>(١١)</sup> بِهَا فَرَحَّاً، بِقِيَّةَ يَوْمَنَا، وَاللَّهُ الْمَنْعُمُ الْوَهَّابُ.

\* \* \*

(١) أَفْيَحُ: الْوَاسِعُ.

(٢) مُسْتَأْجِمَةُ: مُلْتَوِيَةٌ مُلْتَفَّةٌ.

(٣) تَلَاوِينُ الشَّجَرِ: صُنُوفُ الشَّجَرِ، جَمْعُ تَلَوِينٍ.

(٤) الْخَمَرُ: (يَفْتَحْتِينَ) الشَّجَرُ.

(٥) اِنْبَرَتِ (لَهَا): تَصَدَّتْ وَتَعَرَّضَتْ.

(٦) الْبُرَّاةُ: الْوَاحِدُ: الْبَازُ وَالْبَازِيُّ، طَيْرٌ مِّنَ الْجَوَارِحِ يُصَادُ بِهِ، وَهُوَ أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ.

(٧) كَاسِرَةُ: مِنْ (ض) كَسْرَا وَكَسْوَرَا (الظَّائِر) ضَمٌ جَنَاحِيهِ يَرِيدُ الْوَقْوَعَ.

(٨) النَّضِيعُ: الْعَرَقُ.

(٩) الْكَتِيبَةُ: حِكْمَةٌ كَتَائِبٌ، الْقَطْعَةُ مِنَ الْجَيْشِ، أَوِ الْجَمَاعَةُ مِنَ الْخَيْلِ.

(١٠) سَرِيَّةُ: حِكْمَةٌ كَسْرَا: قَطْعَةٌ مِنَ الْجَيْشِ.

(١١) الْجَذَلُ: الْفَرَحُ.

## البعثةُ المُحَمَّدِيَّةُ

من رسالة أبي الريبع محمد بن الليث<sup>(١)</sup> التي كتبها للرشيد إلى قسطنطين ملك الروم :

إن الله عز وجل اصطفى الإسلام لنفسه، واختار له رسلاً من خلقه،  
وابتاع كل رسول بلسان قومه، ليبيّن لهم ما يتبعون، ويعلّمهم  
ما يجهلون من توحيد رب وشرائع<sup>(٢)</sup> الحق ﴿إِنَّا لَيَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَىٰ أَنْوَهٍ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَرِيكِمَا﴾ [النساء: ١٦٥] فلم تزل رسل الله  
قائمة بأمره، متواالية على حقه، في مواضي الدهور وخواли القرون<sup>(٣)</sup> ،  
وطبقات الزمان، يصدق آخرهم بنبوة أولهم، ويصدق أولهم قول آخرهم؛  
ومفاتيح دعوتهم واحدة لا تختلف، ومجامع ملتهم ملتمة<sup>(٤)</sup> لا تفترق،  
حتى تناهت الولاية والوراثة التي بني عيسى عليه الصلاة والسلام عليها  
وبشر بها إلى النبي الأمي الذي انتخبه الله لوحيه، واختاره بعلمه.  
فلم يزل ينطلق بالآباء الأخيار<sup>(٥)</sup> ، والأمهات الطواهر، أمّة فامة، وقرناً

(١) لم نعثر على ترجمته، ويعظّر أنه كاتب قدير، ومتكلّم كبير.

(٢) جمع شريعة وهي ما شرع الله لعباده من السنن والأحكام.

(٣) أي الدهور الماضية من إضافة الصفة إلى الموصوف وكذا خوالي القرون أي  
القرون الخالية.

(٤) مجتمعة.

(٥) جمع أخير اسم التفضيل.

فقرناً حتى استخرجه الله في خير أوان، وأفضل زمان، من ثبت محدث<sup>(١)</sup> أرومات<sup>(٢)</sup> البرية<sup>(٣)</sup> أصلاً، وأعلى ذوائب<sup>(٤)</sup> نبات<sup>(٥)</sup> العرب فرعاً، وأطيب منابت أعياص<sup>(٦)</sup> قريش مغرساً، وأرفع ذر<sup>(٧)</sup> مجد بنى هاشم سماكاً<sup>(٨)</sup>: محمد ﷺ خيرها عند الله وخلقها نفسها، على حين أوحشت الأرض من أهل الإسلام والإيمان، وامتلأت الآفاق من عبدة الأصنام والأوثان، واشتعلت البدع في الدين، وأطبقت الظلم على الناس أجمعين، وصار الحق رسمأ عافياً<sup>(٩)</sup> خلقاً<sup>(١٠)</sup> باليأ، ميتاً وسط أموات، ما إن يحسون للهدي صوتاً ولا للدين أثراً يتبعونه. فلم يزل رسول الله ﷺ قائماً بأمر الله الذي أنزل إليه، يدعوهم إلى توحيد رب عز وجل، ويحذرهم عقوبات الشرك، ويجادلهم بنور البرهان، وأيات القرآن، وعلامات الإسلام، صابراً على الأذى محتملاً للمكروره.

قد ألهمه الله عز وجل أنه مظهر دينه، ومحزز تمكينه، وعاصمه ومستخلفه في الأرض، فليس يثنى<sup>(١١)</sup> ريب، ولا يلويه<sup>(١٢)</sup> هيب<sup>(١٣)</sup>،

(١) جمع محدث وهو الأصل.

(٢) جمع أرومة وهي الأصل.

(٣) الخلق ج برايا.

(٤) جمع ذئابة وهي من كل شيء أعلى.

(٥) جمع نبعة يقال هو من نبعة كريمة أي من أصل كريم.

(٦) أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر وهم العاص والعيسى وأبو العيسى والعيسى.

(٧) جمع ذرورة بالضم وهي من كل شيء أعلى.

(٨) بالفتح والسكون الرفع.

(٩) عفا يغفو غفوة الأثر والمتزل أمحى ودرس وبلي.

(١٠) البالي للمذكر والمؤنث يقال ثوب خلق وجبة خلق ج أخلاق وخلقان.

(١١) ثني يثنى ثنياً أي صرف.

(١٢) لوى (واوية العين يائية اللام) يلوى ليأ ولؤيأ ولؤيأ أي ثناه وصرفة.

(١٣) الخوف.

ولا يعنيه أذى، حتى إذا قهرت البيانات ألبابهم، وبهرت<sup>(١)</sup> الآيات  
أبصارهم، وخصم<sup>(٢)</sup> نور الحق حجتهم، فلم تمتنع القلوب من المعرفة  
بدون صدقة، ولم تجد العقول سبيلاً إلى دفع حقه، وهم على ذلك  
مكذبون بأفواههم، جاحدون بأقوالهم، كما قال الله عز وجل العليم بما  
يُسَرِّونَ، الخبر بما يعلنون: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ يَعِيشُونَ أَهْوَاءَ  
يَحْمَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣] بغياناً وعداوة، وحسداً ولجاجة<sup>(٣)</sup>. افترض الله  
عليه قتالهم، وأمره أن يجرد السيف لهم، وهم في عصابة يسيرة، وعدة  
قليلة، مستضعفين مستذلين، يخافون أن يتخطفهم العرب، وتدعى<sup>(٤)</sup>  
عليهم الأمم، وتستحملهم<sup>(٥)</sup> الحروب، فآواهم في كنفه، وأيدهم  
بنصره، وأنذرهم بمقدمة من الرعب، ومشغلة من الحق، وجندوه من  
الملائكة، حتى هزم كثيراً من المشركين بقتلهم، وغلب قوة الجنود  
بضعفهم، إنجازاً لوعده، وتصديقاً لقوله: ﴿وَإِنْ جُنَاحَنَا لَهُمُ الْغَنَائِبُونَ﴾  
[الصفات: ١٧٣]

فأحسن النظر وقلب الفكر في حالات النبي ﷺ من الوحي قائماً الله،  
لتتجدد لمذاهب فكرك وتصاريف نظرك، مضطرباً واسعاً، ومعتمداً نافعاً،  
وشعوباً جمة، كلها خير يدعوك إلى نفسه، وبيان ينكشف لك عن محضه.

وآخر أمير المؤمنين ما كنت قائلاً لو لم تكن البعثة للنبي ﷺ بلغتك،  
ولم تكن الإنباء بأمره تقررت قبلك، ثم قامت الحجة بالاجتماع عندك،  
وقالت الجماعة المختلفة لك: أنه نجم<sup>(٦)</sup> بين ظهراني مثل هذه الضلالات

(١) غلت بابه فتح.

(٢) خصمـه كضرب خصماً غلبه في الخصومة.

(٣) لجـ كسمع وضرـب لجـجاً ولـجاجـاً ولـجاجـةـ لـجاجـةـ عندـ الخـصـومـةـ.

(٤) أصلـهـ تـدعـىـ فـحـذـفـتـ إـحـدىـ تـائـيـهـ وـعـنـاهـ يـجـمـعـونـ عـلـيـهـمـ وـيـتـأـلـبـونـ بـالـعـدـاـوـةـ.

(٥) تـلقـيـ عـلـيـهـمـ حـمـلـهـ وـعـبـاـهـ.

(٦) نـجـمـ الشـيـءـ نـجـوـمـاـ ظـهـرـ وـطـلـعـ بـابـهـ نـصـرـ.

المستأصلة<sup>(١)</sup> والجماعات المتسائدة<sup>(٢)</sup>، التي ذكر أمير المؤمنين من قبائل العرب، وجمahir الأمم، وصناديد<sup>(٣)</sup> الملوك، ناجم قد نصب<sup>(٤)</sup> لها وأغري<sup>(٥)</sup> بها، يجهل أحلامها، ويكفر أسلافها، ويفرق ألافها، ويلعن آباءها، ويضلّل أديانها، وينادي بشهاب الحق بينها، ويجهل بكلمة الإخلاص إلى من تراخي<sup>(٦)</sup> عنها، حتى حميّت<sup>(٧)</sup> العرب، وأنفت العجم، وغضبت الملوك، وهو على حال ندائه بالحق ودعائه إليه، وحيداً فريداً، لا يحفل بهم غضباً، ولا يرهب عنتا، يقول الله عز وجل: ﴿يَأَيُّهَا الْرَّسُولُ إِذْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنَّ لَمْ تَنْتَفِعْ فَإِنَّهَا بِلَغَتَ رِسَالَتِنَا وَأَنَّهُ يَعَصِّمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٥] أكنت تقول فيما تجري الأقاويل به ويقع الآراء عليه، إلا أنه أحد رجلين: إما كاذب يجهل ما يفعل ويعمى بما يقول، وقد دعا الحتف إلى نفسه، وأذن لقومه في قتلها، فليست الأيام بمادة ولا الحال بثابتة له إلا ريشما تستلحمه<sup>(٨)</sup> أسبابهم، وينهض به حلماؤهم، غضباً لربهم، وأنفة لدينهم، وحمية لأصنامهم، وحسداً من عند أنفسهم، وإما صادق بصير بموضع قدمه، ومرمى نبله، قد تكفل الله عز وجل بحفظه، وصحبه بعزه، وجعله في حرزه<sup>(٩)</sup>، وعصمه من الخلق، فليست الوحشة بواسطته مع صحبة الله إليه، ولا الهيبة بداخلة مع عصمة الله عليه، ولا سيف الأعداء بمأذون لها فيه.

(١) الثابتة.

(٢) القوية.

(٣) جمع صناديد بالكسر السيد الشجاع.

(٤) يقال نصب لفلان أي عاداه بابه ضرب ونصر.

(٥) أغري وأغري بكذا أولع به من حيث لا يحمله عليه حامل.

(٦) تبعد عنها.

(٧) غضبت بابه سمع.

(٨) أي تعلق به وتنشب.

(٩) حفظه.

ثم إن آتِيَكُم<sup>(١)</sup> يا أهْلَ الْكِتَابِ! لَوْ قِيلَ لَكُمْ: إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي يَدْعُونِي  
الْعَصْمَةَ وَيَنْتَحِلُ<sup>(٢)</sup> الْمُنْعَةَ، قَدْ نَجَمَتِ الْأُمُورُ بِهِ عَلَى مَا قَالَ، وَسَلَمَتِ  
الْحَالُ لَهُ فِيمَا ادْعَى حَتَّى نَصَبَ لِعَمَارَاتٍ<sup>(٣)</sup> الْعَرَبُ، وَجَمَاعَاتُ الْأَمَمِ،  
يَقْاتَلُ بِمَنْ طَاوَعَهُ مِنْ خَالِفِهِ، وَبِمَنْ تَابَعَهُ مِنْ عَانِدِهِ، جَادَّاً مُشَمَّرَّاً، مُحتَسِبًا  
وَاثْقَأَا بِمَوْعِدِ اللَّهِ وَنَصْرِهِ، لَا تَأْخُذُهُ لَوْمَةُ لَائِمٍ فِي رِبِّهِ، وَلَا يُؤْخَذُ لَدِيهِ  
غَمِيزَةٌ<sup>(٤)</sup> فِي دِينِهِ، وَلَا يَلْفَتُهُ خَذْلَانٌ خَادِلٌ عَنْ حَقِّهِ، حَتَّى أَعْزَ اللَّهُ دِينَهُ،  
وَأَظْهَرَ تَمْكِينَهُ، وَانْقَادَتِ الْأَهْوَاءُ لَهُ، وَاجْتَمَعَتِ الْفَرَقُ عَلَيْهِ. أَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ  
يُزِيدُ حَقَّهُ يَقِيْنًا عِنْدَكُمْ، وَدُعُوتُهُ ثَوْتَانِ فِيْكُمْ، حَتَّى تَقُولُ الْجَمَاعَةُ مِنْ  
حَلْمَائِكُمْ وَأَهْلِ الْحَنْكَةِ<sup>(٥)</sup> مِنْ ذُوِي آرَائِكُمْ: مَا كَانَ الرَّجُلُ - إِذَا كَانَ وَحِيدًا  
فَرِيدًا قَلِيلًا ضَعِيفًا ذَلِيلًا مَعْرُوفًا بِالْعُقْلِ مَنْسُوبًا إِلَى الْفَضْلِ - لِيَجْتَرِيَ أَنْ  
يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَى إِلَيْهِ فِيمَا أَنْزَلَ مِنَ الْكِتَابِ عَلَيْهِ أَنْ يَعْصِمَهُ مِنْ  
الْعَرَبِ جَمِيعًا وَيَمْنَعَهُ مِنَ الْأَمْمِ طَرَا<sup>(٦)</sup>، حَتَّى يَلْغَى رِسَالَاتُ رَبِّهِ، وَيَظْهُرَهُ  
عَلَى الدِّينِ كَلَّهُ، وَيَدْخُلَ النَّاسَ أَفْوَاجًا فِي دِينِهِ، إِلَّا وَهُوَ عَلَى ثَقَةٍ مِنْ أَمْرِهِ،  
وَيَقِينٍ مِنْ حَالِهِ<sup>(٧)</sup>.

\* \* \*

(١) كذا في الأصل.

(٢) يدعى.

(٣) جمع عمارة وهي القبيلة.

(٤) ضعف في العقل والعمل.

(٥) بالضم التجربة.

(٦) أي جمِيعًا.

(٧) عصر المأمون.

## بخيلٌ حَكِيم

للجاحظ<sup>(١)</sup>

قال معبد: نزلنا دار الكندي أكثر من سنة، تُرُوِّج<sup>(٢)</sup> له الكراء، ونقضي له الحوائج، ونفي له بالشرط. قلت: قد فهمت ترويج الكراء، وقضاء الحوائج، فما معنى الوفاء بالشرط؟ قال: في شرطه على السُّكَان أن يكون له روث الدابة، وبعر الشاة، ونشوار<sup>(٣)</sup> العلوفة<sup>(٤)</sup>، وألا يخرجوا عظماً، ولا يخرجوا كساحة<sup>(٥)</sup>، وأن يكون له نوى<sup>(٦)</sup> التمر، وقشور الرمان، والغرفة من كل قدر تطبخ للحجلى في بيته! وكان في ذلك يتنزل<sup>(٧)</sup> عليهم. فكانوا لطيفه<sup>(٨)</sup>، وإفراط بخله، وحسن حديثه يحتملون ذلك.

قال معبد: فبينا أنا كذلك، إذ قدم ابن عم لي ومعه ابن له، إذا رقعة

(١) مرت ترجمته في الجزء الأول.

(٢) أي نجعل كراء منازله رائجاً نافقاً بما نبهه بين الناس من مدحها وتزيينها عندهم.

(٣) بالكسر ما تقيه الدابة من العلف فارسي معرب.

(٤) ما يعلف من الغنم وغيرها.

(٥) مثل الكناسة وهو ما يكسح.

(٦) جمع نواة وهي عجمة التمر ونحوه ويجمع أيضاً على نَوَيات وجج أنواء وبنوي ونَوَيّ.

(٧) أصل التنزل التزول في مهلة والمعنى أنه كان يتدرج في فرض هذه الفروض عليهم.

(٨) أي لطيف نفسه ودعتها.

منه<sup>(١)</sup> قد جاءتني : «<sup>(٢)</sup> إن كان مقام هذين القادمين ليلة أو ليلتين احتملنا ذلك ، وإن كان أطماء السُّكَان في الليلة الواحدة يجز علينا الطمع في الليالي الكثيرة». فكتبت إليه : «ليس مقامهما عندنا إلاً شهراً أو نحوه» فكتب إليّ : «إنَّ دارك بثلاثين درهماً. وأنتم ستة، لكل رأس خمسة. فإذا زدت رجلين، فلا بد من زيادة خمسمائة. فالدار عليك من يومك هذا بأربعين !»

فكتبت إليه «وما يضرك من مقامهما، وثقل أبدانهما على الأرض التي تحمل الجبال ، وثقل مؤنتهما<sup>(٣)</sup> على دونك؟ فاكتب إلى بعذرك لأعرفه» ولم أدر أني أهجم على ما هَجَمتْ ، وإنني أقع منه فيما وقعت.

فكتب إليّ : «الخصال<sup>(٤)</sup> التي تدعو إلى ذلك<sup>(٥)</sup> كثيرة ، وهي قائمة معروفة: من ذلك سرعة امتلاء البالوعة<sup>(٦)</sup> ، وما في تنقيتها من شدة المؤنة. ومن ذلك أن الأقدام إذا كثرت كثرة المشي على ظهور السطوح المطينة<sup>(٧)</sup> وعلى أرض البيوت المخصصة<sup>(٨)</sup> ، والصعود على الدرج<sup>(٩)</sup> الكثيرة ، فينقشر<sup>(١٠)</sup> لذلك الطين ، وينقلع<sup>(١١)</sup> الجصّ ، وينكسر

(١) أي من الكلبي.

(٢) هذا نص الرقة.

(٣) المؤنة والمؤونة أي القوت.

(٤) أي الأسباب المقتضية.

(٥) إلى طلب ما طلبه منك.

(٦) ثقب أو فناء في وسط الدار مثلاً يجري فيها الماء الوسخ والأقدار ج بوالبع وكذا البلاعة والبلوعة جمعهما بلاليع.

(٧) طَيْئُن الحائط طلاء بالطين.

(٨) جَصَصُ البناء طلاء بالجص والجص بالفتح والجص بالكسر ما تطلّى به البيوت من الكلس.

(٩) جمع درجة وهي المرقاة.

(١٠) مطاوع قشر وقشر وكذا نقشر وقشره كشط جلدته أو قشره.

(١١) مطاوع قلع وكذا تقلع واقتعلع وقلع الشيء انتزعه من أصله.

العتب<sup>(١)</sup>، مع إثناء<sup>(٢)</sup> الأجزاء<sup>(٣)</sup>، لكثره الوطء، وتكسرها لفروط القفل.  
وإذا كثر الدخول والخروج، والفتح والإغلاق، والإفال وجذب  
الأفال تهشم<sup>(٤)</sup> الأبواب، وتقلّع الرزات<sup>(٥)</sup>.

وإذا كثر الصبيان، وتضاعف البوش<sup>(٦)</sup> نزعت مسامير<sup>(٧)</sup> الأبواب،  
وقلّعت كل ضبة<sup>(٨)</sup>، ونزعت كل رزة، وكسرت كل جوزة<sup>(٩)</sup>، وحرر  
فيها آبار الددن<sup>(١٠)</sup>، وهشموا<sup>(١١)</sup> بلاطها<sup>(١٢)</sup> بالمداхи<sup>(١٣)</sup>. هذا مع  
تخريب الحيطان بالأوتاد، وخشب الرفوف<sup>(١٤)</sup> وإذا كثر العيال  
والزواجر، والضيوف والنديم<sup>(١٥)</sup> احتج من صب الماء، واتخاذ

(١) جمع عتبة وهي التي يوطأ عليها وفي المختار قال ابن شمیل: العتبة في الباب هي العليا والأسکفة (بضم فسكون ففاء مشددة مفتوحة) هي السفلی.

(٢) الانطاف.

(٣) جمع جذع وهو سهم السقف ويجمع أيضاً على جذوع.

(٤) تكسرت.

(٥) جمع رزة بالفتح الحديدة التي يدخل فيها القفل ويجمع أيضاً على رِزاز ورُزَر.

(٦) بفتح فسكون والبُوش بضم الباء الجماعة والعيال وقيل الجماعة من الناس المختلطين.

(٧) جمع مسمار وهو وتد من حديد.

(٨) نوع من المغالق وهي اللسان حديدة عريضة يضرب بها الباب.

(٩) يريد شجرة الجوز إذ كان هذا الشجر مما يغرس في البيوت لذلك العهد.

(١٠) اللهو واللعب والمراد بآبار الددن الحفر التي يحفرها الصبيان ليرموا فيها الأكر أو نحو ذلك وسماتها آباراً على المجاز.

(١١) كسرروا وبابه ضرب.

(١٢) بالفتح الأرض المستوية الملساء وأيضاً صفائح الحجارة التي يفرش بها.

(١٣) جمع مدحاة (بكسر فسكون) في اللسان والمدحاة خشبة يدحي بها فتمر على وجه الأرض لا تأتي على شيء إلا اجتھفته أي جرفته.

(١٤) جمع رف بالفتح خشبة أو نحوها تشد إلى الحائط فتوضع عليها طرائف البيت.

(١٥) جمع نديم وهو المنادم على الشرب والرفيق والصاحب ويجمع أيضاً على نِدَمَانَ ونِدَمانَ.

الحبيبة<sup>(١)</sup> القاطرة، والجرار<sup>(٢)</sup> الراسحة<sup>(٣)</sup>، إلى أضعاف ما كانوا عليه. فكم من حائط قد تأكل<sup>(٤)</sup> أسفله، وتناثر أعلاه، واسترخي أساسه، وتداعى<sup>(٥)</sup> بنيانه، من قطر حبّ، ورشح جر، ومن فضل ماء البئر، ومن سوء التدبير. وعلى قدر كثرتهم يحتاجون من الخبز والطبيخ<sup>(٦)</sup>، ومن الوقود والتسخين، والنار لا تبقي ولا تذر<sup>(٧)</sup>. وإنما الدور حطب لها. وكل شيء فيها من متاع فهو أكل لها. فكم من حريق قد أتى على أصل الغلة<sup>(٨)</sup>، فكلفت أهلها أغلال النفقه. وربما كان ذلك عند غاية العسرة، وسدة الحال. وربما تعدت<sup>(٩)</sup> تلك الجناية إلى دور الجيران. وإلى مجاورة الأبدان والأموال. فلو ترك الناس حينئذ رب الدار - وقدر بليته ومقدار مصيبيته - لكان عسى ذلك أن يكون محتملاً. ولكنهم يتشاءمون به. ولا يزالون يستقلون ذكره، ويكترون من لائمته<sup>(١٠)</sup> وتعنيفه.

نعم! ثم يتخذون المطابخ في العلالي<sup>(١١)</sup> على ظهور السطوح، وإن

(١) جمع حُبَّ بالضم وهو الجرة الكبيرة أو الخabyة ويجمع أيضاً على حِباب بالكسر وأحباب.

(٢) جمع جرة وهي إناء من خزف له بطん كبير وعروتان وفم واسع ويجمع أيضاً على جرّ بدون التاء.

(٣) رشح كفتح رشحاً ورشحاناً تحلب منه الماء ونحوه.

(٤) يقال: تأكل السن أو العود أي صار منخوراً.

(٥) أي تصدع من جوانبه وأذن بالانهدام والسقوط.

(٦) المخبوز والطبيخ أي الطعام المطبوخ.

(٧) أي لا تترك، ولا يستعمل بهذا المعنى سوى المضارع والأمر.

(٨) الدخل من كراء دار وفائدة أرض ونحو ذلك ج غلات وغلال.

(٩) تجاوزت.

(١٠) الملامة.

(١١) جمع عُلَيَّة (بكسر العين أو ضمها مع تشديد اللام مكسورة وتشديد الياء مفتوحة) وهي الحجرة العالية.

كان في أرض الدار فضل وفي صحنها متسع، مع ما في ذلك من الخطأر<sup>(١)</sup> بالأنفس، والتغريب<sup>(٢)</sup> بالأموال، و تعرض الحرم<sup>(٣)</sup> ليلة الحريق لأهل الفساد، وهجومهم<sup>(٤)</sup> مع ذلك على سر مكتوم، وخبيء<sup>(٥)</sup> مستور، من ضيف مستخف، ورب دار متوازٍ، ومن شارب مكروه، ومن كتاب متهم، ومن مال جم<sup>(٦)</sup> أريد دفنه، فاعجل الحريق أهله عن ذلك فيه، ومن حالات كثيرة، وأمور لا يحب الناس أن يُعرفوا بها. ثم لا ينصبون التنانير<sup>(٧)</sup>، ولا يمكنون للقدر، إلا على متن السطح، حيث ليس بينهما وبين القصب<sup>(٨)</sup> والخشب إلا الطين الرقيق، والشيء لا يقي. هذا مع خفة المؤنة في أحكامها، وأمن القلوب من المتالف<sup>(٩)</sup> بسببها.

فإن كنتم تقدمون على ذلك ميناً و منكم وأنتم ذاكرون فهذا عجب، وإن كنتم لم تحفلوا بما عليكم في أموالنا و نسيت ما عليكم في أموالكم فهذا أعجب.

ثم إن كثيراً منكم يدافع<sup>(١٠)</sup> بالكراء، ويماطل<sup>(١١)</sup> بالأداء، حتى إذا

(١) مصدر خاطر بكذا أي فعل ما يكون الخوف فيه أغلب.

(٢) أي المخاطرة بها وأصله من غرر بنفسه حملها على غير ثقة، كذا في اللسان وفيه أيضاً وغرر بنفسه وما له تغريراً وتغره عرضها للهلكة من غير أن يعرف.

(٣) جمع حرمة وهي ما لا يحل انتهاكه.

(٤) معطوف على أهل أي و تعرض الحرم لهجومهم.

(٥) المخبوء.

(٦) الكثير من كل شيء.

(٧) جمع تدور وهو ما يخبز فيه.

(٨) كل نبات يكون ساقه أنايب وكموياً.

(٩) جمع متلفة أي مهلكة.

(١٠) يماطل فيه ففي اللسان دافع فلان فلاناً في حاجة إذا ماطله فيها قوله بالكراء بمعنى في ومفعول يدافع ممحذف أي المالك والكراء مصدر في الأصل من كاريته على المفاعة.

(١١) يسوق بوعد الوفاء مرة بعد أخرى.

جمعت أشهر عليه، فرّ وخلّى أربابها جياعاً، يتندمون على ما كان من حسن تقاضيهم وإحسانهم. فكان جزاؤهم وشكراً لهم اقتطاع حقوقهم، والذهب بآقواتهم. ويسكنها الساكن حين يسكنها وقد كسحناها<sup>(١)</sup> ونظفناها، لتحسين في عين المستأجر، وليرغب فيها الناظر، فإذا خرج ترك فيها مزبلة<sup>(٢)</sup> وخراباً، لا تصلحه إلا النفة الموجعة. ثم لا يدع متربساً<sup>(٣)</sup> إلا سرقه، ولا سلماً إلا حمله، ولا نقضاً<sup>(٤)</sup> إلا أخذه، ولا بزاده<sup>(٥)</sup> إلا مضى بها معه.

ولا يدع دق الثوب، والدق في الهالون<sup>(٦)</sup> والمنحاز<sup>(٧)</sup>، في أرض الدار ويدق على الأجزاء والحواضن<sup>(٨)</sup> والرواشن<sup>(٩)</sup>، وإن كانت الدار

(١) كنسنا ونظفنا بابه فتح.

(٢) موضع الزبل وهو السرقين والسرقين ما تستمد به الأرض والمراد ترك فيها أو ساخناً وأقداراً.

(٣) خشبة توضع خلف الباب لتدعمه والكلمة فارسية معناها في العربية لا تخف.

(٤) بالضم ما انتقض من البنيان ج أنقاض ونقوض.  
إماء يبرد الماء.

(٥) ما يدق فيه الدواء ونحوه ج هواوين.  
الهالون.

(٦) جمع حاضنة، قال أحمد العوامري بك وعلى الجارم بك في تعليقهما على كتاب البخلاء: «ويRAD بها كما يظهر السهوم التي تحمل الجنوع ولم نجد للكلمة أثراً في كتب اللغة بمعنى يلام المقام ثم رأينا في مقدمة طبعة ليدن ما يفيد أن المراد بالحواضن هنا الأعمدة التي تدعم السقف».

(٧) جمع روشن - في الإصلاح الروشن والجناح - خشب يخرج من حائط الدار إلى الطريق ولا يصل إلى جدار آخر يقابلها، فإن وضعت به أعمدة من الطريق فهو الجناح وإلا فهو الروشن، وقال في اللسان: والروشن الرف والروشن الكوة وهي النافذة.

مقرمة<sup>(١)</sup>، أو بالآجر<sup>(٢)</sup> مفروشة، وقد كان صاحبها جعل في ناحية منها صخرة<sup>(٣)</sup>، ليكون الدق عليها، ولتكون واقية دونها، دعاهم التهاون والقصوة، والغش والفسولة<sup>(٤)</sup>، إلى أن يُدْعُوا حيث جلسوا، وإلى ألا يحفلوا بما أفسدوا لم يعط قط لذلك أرشاً<sup>(٥)</sup>، ولا استحلَّ صاحب الدار، ولا استغفر الله منه في السر. ثم يستكثر من نفسه في السنة إخراج عشرة دراهم، ولا يستكثر من رب الدار ألف دينار في الشراء، يذكر ما يصير إلينا مع قلته، ولا يذكر ما يصير إليه مع كثرته.

هذا والأيام التي تنقض المُبْرم، وتبلى الجدة، وتفرق الجميع المجتمع، عاملة في الدور كما تعمل في الصخور، وتأخذ من المنازل كما تأخذ من كل رطب ويبس، وكما تجعل الرطب يابساً هشيمياً<sup>(٦)</sup>. والهشيم مضمحةً. ولانهاد المنازل غاية قربية، ومدة قصيرة، والساكن فيها هو كان الممتنع بها، والمتتفق بمرافقها<sup>(٧)</sup> وهو الذي أبلى جدتها وتحلّها وبه هرمت<sup>(٨)</sup> وذهب عمرها لسوء تدبيره.

فإذا قسمنا الغرم عند انهدامها بإعادتها، وبعد ابتنائها، وغرم<sup>(٩)</sup> ما بين ذلك من مرمتها وإصلاحها، ثم قابلنا بذلك ما أخذنا من غلاتها،

(١) قرمد الشيء: طلاء بالقرمد وهو كل ما يطلى به للزينة كالزعفران والجص أو الخزف المطبوخ.

(٢) جمع آجرة، وهي ما يبني به من الطين المشوي.

(٣) الحجر العظيم الصلب ج صخر وصخر وصخورة وصخرات.

(٤) النذالة وهي عدم المروءة.

(٥) بالفتح الديبة ج أروش.

(٦) اليابس المتكسر.

(٧) المنافع.

(٨) بليت.

(٩) بالضم الغرامة وهي ما يلزم أداوه من المال.

وارتفقنا<sup>(١)</sup> به من إكرائها، خرج على المسكن من الخُسْران، بقدر ما حصل للساكن من الربح. إلا أن الدرهم التي أخرجناها من النفقة كانت جملة، والتي أخذناها على جهة الغلة جاءت مقطعة<sup>(٢)</sup>.

وهذا مع سوء القضاء، والإحراج إلى طول الاقتضاء، ومع بغض الساكن للمُسْكِن وحب المُسْكِن للساكن، لأن المسكن يحب صحة بدن الساكن، ونفاق سوقه، إن كان تاجراً، وتحرك صناعته، إن كان صانعاً، ومحبة الساكن أن يشغل الله عنه المُسْكِنَ كيف شاء - إن شاء شغله بعيته<sup>(٣)</sup>، وإن شاء بزمانه<sup>(٤)</sup>، وإن شاء بحبس وإن شاء بموت.

ومدار مناه أن يُشغَل عنه. ثم لا يبالي كيف كان ذلك الشغل إلَّا أنه كلما كان أشد كان أحب إليه، وكان أجدر أن يأمن، وأخلق لأن يسكن. وعلى أنه إن فترت سوقه، أو كسدت صناعته، ألح في طلب التخفيف من أصل الغلة، والحططية<sup>(٥)</sup> مما حصل عليه من الأجرة. وعلى أنه إن أتاه الله بالأرباح في تجارتة، والنفاق في صناعته، لم ير أن يزيد قيراطاً في ضريبته، ولا أن يعجل فلساً قبل وقته<sup>(٦)</sup>.

\* \* \*

(١) انتفعنا به.

(٢) مجزأة.

(٣) أي بذاته.

(٤) أي بأحوال زمانه ويمكن أن تكون الكلمة بزمانة وهي العاشرة.

(٥) فعيلة بمعنى اسم لما يحط من الثمن (اللسان: حطط).

(٦) كتاب البخلاء للجاحظ.

## أطِيبُ طَعَامٍ وَأشَعَرُ بَيْت

**لأبي الفرج الأصبهاني<sup>(١)</sup>**

صنع عبد الملك بن مروان طعاماً فأكثر وأطاب ، ودعا إليه الناس فأكلوا . فقال بعضهم : ما أطيب هذا الطعام ! ما نرى أن أحداً رأى أكثر منه ، ولا أكل أطيب منه . فقال أعرابي من ناحية القوم : أما أكثر فلا ، وأما أطيب فقد - والله - أكلت أطيب منه . وطفقوا يضحكون من قوله . فأشار إليه عبد الملك فأذني منه . فقال : ما أنت بمحق فيما تقول إلا أن تخبرني بما يبين به صدقك .

قال نعم يا أمير المؤمنين ! بينما أنا بهجر في ترب<sup>(٢)</sup> أحمر في أقصى حجر إذ توفي أبي وترك كلاً وعيالاً ، وكان له نخل ، فكانت فيه نخلة لم ينظر الناظرون إلى مثلها : كان ثمرها أخفاف الرّباع<sup>(٣)</sup> لم يُرَ ثمراً قطُّ أغظَّ ولا أصلَّ ، ولا أصغرَ نوى ، ولا أحلى حلاوة منها ، وكانت تطرقها أتان وحشية قد أفتتها تأوي الليل تحتها . فكانت تثبت رجليها في أصلها وترفع يديها ، وتعطُو<sup>(٤)</sup> بفيها فلا تترك فيها إلا النبذ<sup>(٥)</sup> والمتفرق

(١) مرت ترجمته في الجزء الأول.

(٢) في الأغاني (بِرْثٌ) وهو الأرض اللينة السهلة.

(٣) بكسر الراء جمع رُبْع ، بضم الراء وفتح الباء ، وهو الفصيل يتبع في الربع وهو أول التاج شبه الثمر في نعومته ولينه بأخفاف (جمع خف) فصلان الإبل التي تولد في فصل الربع وهي من أنعم أولاد الناقة جسماً وألينها لحمًا.

(٤) تناول.

(٥) أي القليل اليسير.

## أطِيبُ طَعَامٍ وَأَشَعَرُ بَيْبَ

فأعظمني<sup>(١)</sup> ذلك ووقع مني كل موقع ، فانطلقت بقوسي وأسهمي وأنا أظن أنني أرجع من ساعتي . فمكثت يوماً وليلًا لا أراها حتى كان السحر أقبلت فتهيأت لها فرشقتها<sup>(٢)</sup> فأصبتها وأجهزت<sup>(٣)</sup> عليها ، ثم عمدت إلى سرتها<sup>(٤)</sup> ، فأفريتها<sup>(٥)</sup> ، ثم عمدت إلى حطب جزل<sup>(٦)</sup> فجمعته إلى رصف<sup>(٧)</sup> ، وعمدت<sup>(٨)</sup> إلى زندي<sup>(٩)</sup> فقدحت<sup>(١٠)</sup> وأضرمت<sup>(١١)</sup> النار في ذلك الحطب ، وألقيت سرتها فيها ، وأدركتني نوم السبات<sup>(١٢)</sup> فلم يوقظني إلا حر الشمس في ظهري فانطلقت إليها فكشفتها وألقيت ما عليه من قذى<sup>(١٣)</sup> أو سواد أو رماد ، ثم قلبت مثل الملاعة<sup>(١٤)</sup> البيضاء فألقيت عليها من رطب تلك النخلة المجزعة<sup>(١٥)</sup> والمنصّفة<sup>(١٦)</sup> فسمعت لها أطيطاً<sup>(١٧)</sup> كتداعي عامر وغطfan . ثم أقبلت أتناول الشحمة واللحمة

(١) أي فأفرعني ذلك وعظم علي.

(٢) رميتها بابه نصر.

(٣) أجهز على الجريح شد عليه وأتم قتلـه.

(٤) التجويف الصغير المعهود في وسط البطن ج سرات وسرر.

(٥) في الأغاني : (فافتدها) وأفريتها: قطعت وشققت وأصلحت.

(٦) الغليظ العظيم.

(٧) الحجارة المحمّة واحتداها رضفة.

(٨) قصدت بابه ضرب.

(٩) العود الأعلى الذي يقتدح به النار ، والزندة العود الأسفل الذي فيه الفرضة فإذا اجتمعـا قيل الزندانـج زـنـادـ وـأـزـنـادـ.

(١٠) قدح بالزنـدـ أي حـاـولـ إـخـرـاجـ النـارـ مـنـ بـابـهـ فـحـ.

(١١) أضرم وضرم واستضرم النار أوقدها وأشعـلـهاـ وألهـبـهاـ.

(١٢) النـومـ العمـيقـ أوـ أـولـهـ.

(١٣) بالكسر التراب المدققـ جـ قـذـيـ وأـقـنـاءـ.

(١٤) ثوب يلبـسـ علىـ الفـخذـينـ والـريـطةـ ذاتـ لـفـقـينـ جـ مـلـاءـ.

(١٥) صـفـةـ لـلـرـطـبـ وـالـمـجـزـعـ وـالـمـجـنـعـ مـنـ الرـطـبـ ماـ بـلـغـ النـضـجـ إـلـىـ نـصـفـهـ.

(١٦) نـصـفـ النـخلـ اـحـمـرـ بـعـضـ بـسـرـهـ وـبـعـضـهـ اـخـضـرـ.

(١٧) أي صوتـاـ.

فأضعها بين التمرتين وأهوي إلى فمي. أحلف أني ما أكلت طعاماً مثله فقط.

فقال له عبد الملك: لقد أكلت طعاماً طيباً. فمن أنت؟ قال: أنا رجل جانبني عنعنة<sup>(١)</sup> تميم وأسد، وكسكسة<sup>(٢)</sup> ربعة، وحoshi<sup>(٣)</sup> أهل اليمن وإن كنت منهم. فقال: من أيهم أنت؟ قال: من أخوالك من عذرة. قال: أولئك فصحاء الناس. فهل لك علم بالشعر؟ قال: سلني عما بدا لك يا أمير المؤمنين! قال: أي بيت قالته العربAMDح؟ قال: قول جرير: [من الوافر]:

الستم خير مَنْ ركب المطايا<sup>(٤)</sup> وأندی<sup>(٥)</sup> العالمين بظون راح  
قال: وجrier في القوم ، فرفع رأسه وتطاول لها ، ثم قال: أي بيت  
قالته العرب أفحـر؟ قال: قول جرير: [من الوافر]  
إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهـم غـصـابـا  
قال: فتحرك ، ثم قال له: فأـيـ بـيـتـ أـهـجـىـ؟ قال: قول جرير: [من الوافر]

فـغـضـ الـطـرفـ إـنـكـ مـنـ نـمـيـرـ فلاـ كـعبـاـ بلـغـتـ ولاـ كـلـابـا  
قال: فاستشرف<sup>(٦)</sup> لها جرير قال: فأـيـ بـيـتـ أـغـزـلـ قال: قول جرير:  
إـنـ العـيـونـ الـيـ فـيـ طـرـفـهاـ حـورـ قـتـلـنـاـ ثـمـ لـمـ يـحـيـنـ قـتـلـانـا

(١) عنـنـ أيـ لـفـظـ فـيـ كـلامـهـ الـهـمـزةـ كـالـعـيـنـ.

(٢) فيـ الأـغـانـيـ: (كـشـكةـ) وـالـكـسـكـسـةـ: إـلـحـاقـ كـافـ الـمـؤـنـثـ سـيـنـاـ عـنـدـ الـوـقـفـ نـحوـ بـكـسـ فـيـ بـكـ وـأـكـرـمـتـكـ فـيـ أـكـرـمـتـكـ.

(٣) الحـوشـيـ الغـرـبـ.

(٤) جـمـعـ مـطـيـةـ وـهـيـ الدـاـبـةـ الـتـيـ تـرـكـبـ وـيـسـتـوـيـ فـيـهـاـ الـمـذـكـرـ وـالـمـؤـنـثـ فـالـبـعـيرـ مـطـيـةـ وـالـنـاقـةـ مـطـيـةـ وـيـجـمـعـ أـيـضاـ عـلـىـ مـطـيـ.

(٥) اـسـمـ تـفـضـيلـ يـقـالـ فـلـانـ أـنـدـيـ مـنـ فـلـانـ أـيـ أـكـثـرـ جـودـاـ وـخـيـراـ.

(٦) اـنـتـصـبـ.

قال فاهتر جرير و طرب .

ثم قال له : فأيُّ بيتٍ قالته العربُ أحسنَ تشبيهاً؟ قال : قول جرير [من الطويل]

سرى نحوهم ليلٌ كأنَّ نجومَه قناديلٌ فيهنَّ الذبالُ<sup>(١)</sup> المُفْتَلُ  
فقال جرير : جائزتي للعذري يا أمير المؤمنين ! فقال عبد الملك : وله  
مثلها من بيت المال ولك جائزتك يا جرير ! لا تنقص منها شيئاً . وكانت  
جازة جرير أربعة آلاف درهم وتتابعها من الحملان<sup>(٢)</sup> والكسوة . فخرج  
العذري وفي يده اليمني ثمانية آلاف درهم وفي اليسرى رزمه<sup>(٣)</sup> ثياب<sup>(٤)</sup> .

\* \* \*

(١) جمع ذبالة وهي الفتيلة شبه الجيش بليل والرماح كأنها بقناديل ذات الفتائل المفتلة أجودها وأقواها .

(٢) ما يحمل عليه من الدواب في الهبة خاصة .

(٣) بكسر الراء ما جمع من الثياب وغيرها وشد معاً، ج رزم .

(٤) كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني - دار المعارف - ٤٠ / ٤٢ .

## كتابُ ينوبُ عن كتائب<sup>(١)</sup>

رسالة لابن العميد<sup>(٢)</sup> إلى ابن بلكا عند استعصائه على ركن الدولة<sup>(٣)</sup>.

كتابي وأنا مترجح بين طمع فيك ، ويأس منك ، وإقبال عليك ، وإعراض عنك ، فإنك تُدِلَّ<sup>(٤)</sup> بسابق حرمة ، وتمتَّ<sup>(٥)</sup> بسالف خدمة ، أيسرهما يوجب رعاية ، ويقتضي محافظة وعناء ، ثم تشفعهما بحادث

(١) جمع كتبية القطعة من الجيش أو الجماعة من الخيل.

(٢) هو الأستاذ الرئيس محمد بن الحسن المعروف بابن العميد وزير ركن الدولة ابن بوبيه . كان فارسي الأصل من أهل مدينة قم ، نشأ على الأدب وثقف الكتابة ومارسها وتوسع في العلوم حتى لقب بالجاحظ الثاني ، كان ربيعاً للأدب والشعر موسمًا للأديباء والشعراء مجمعًا علمياً عامراً ، سُلّمت رئاسته في الأدب والكتابة وشفف الناس بأدبه حتى قالوا : «بدئت الكتابة بعد الحميد وختمت بابن العميد» إلا أن كتابته كتابة صناعة وتتكلف وتألق وزخرف لا روح فيها ولا حياة ، وهي أشبه باللوشي والطراز منها بالأدب والكتابة ولكن تفوقه في هذه الصناعة وتصرفه في ضروب الرسائل مما لا يدفع . وذلك بتوسعه في فنون الكلام وطول ممارسته وبحكم منصبه وشغلها ، ولعل يميّنه لم تخط أحسن من هذه الرسالة التي وجهها إلى ابن بلكا . قال التعالي في بيته الدهر : «قد أجمع أهل بصيرة في الترسل ، على أن رسالته التي كتبها إلى ابن بلكا ... عند استعصائه على ركن الدولة غرة كلامه وواسطة عقده» توفي سنة ٣٦٠ هـ .

(٣) أبو علي الحسن بن بوبيه بن فتاخسرو الديلمي الملقب ركن الدولة كان ملكاً جليل المقدار عالي الهمة ؛ وكان مولده تقديرًا في سنة ٢٨٤ هـ ، وتوفي سنة ٣٦٦ هـ .

(٤) أدلّ عليه إدلالاً وثق بمحبته فأفرط عليه واجتراً .

(٥) مت إلى فلان بقرابة وصل إليه وتوسل بابه نصر .

غلول وخيانة . وتبعهما بآنف خلاف ومعصية ، وأدنى ذلك يُخْبِطُ  
أعمالَكَ ، ويَمْحُقُ<sup>(١)</sup> كل ما يرعى لكَ .

لا جرم أني وقفت بين ميل إليك ، وميل عليك ، أقدم رجلاً  
لصدسك ، وأؤخر أخرى عن قصدك ، وأبسط يداً لاصطalamك<sup>(٢)</sup>  
واجتياحك ، وأثني ثانية لاستبقائك واستصلاحك ، وأتوقف عن امتنال  
بعض المأمور فيك ضئلاً بالتعمة عندك منافسة في الصناعة لديك ، وتأميلاً  
لقيئتكم<sup>(٣)</sup> وانصرافك ، ورجاء لمراجعتك وانعطافك ، فقد يعزب<sup>(٤)</sup>  
العقل ثم يؤوب ، ويغرب اللب ثم يثوب<sup>(٥)</sup> ، ويدهب الجزم ثم يعود ،  
ويفسد العزم ثم يصلح ، ويضاع الرأي ثم يستدرك ، ويسكر المرء ثم  
يصحو<sup>(٦)</sup> ، ويکدر الماء ثم يصفو ، وكل ضيقة إلى رخاء<sup>(٧)</sup> ، وكل  
غمرة<sup>(٨)</sup> إلى انجلاء<sup>(٩)</sup> .

وكما أنك أتيت من إساعتك بما لم تتحسبه أولياًوك ، فلا بدْعَ أن تأتي  
من إحسانك بما لم ترتقبه أعداؤك ، وكما استمرت بك الغفلة حتى ركبت  
ما ركبت ، واخترت ما اخترت فلا عجب أن تنتبه انتباهاً تبصر فيها قبح  
ما صنع وسوء ما آثرت ، وسأقيم على رسمي في الإبقاء والمماطلة

(١) يَمْحُقُ بابه فتح.

(٢) الاستصال وكذلك الاجتياح.

(٣) أي لرجوعك.

(٤) عزب كنصر وضرب عزوباً بعد وغاب وخفى.

(٥) يرجع.

(٦) صحا السكران ذهب سكره.

(٧) بالفتح سعة العيش.

(٨) غمرة الشيء شدته ومزدحمه ج غمرات وغمار وغمراً.

(٩) الانكشاف.

ما صلح ، وعلى الإستئاء<sup>(١)</sup> والمطاولة<sup>(٢)</sup> ما أمكن ، طمعاً في أنانيك ، وتحكماً لحسن الظن بك ، فلست أعدم فيما أظاهره من أذار ، وأرادفه من إنذار ، احتجاجاً عليك واستدراجاً<sup>(٣)</sup> لك . فإن يشاً الله يرشدك ، ويأخذ بك إلى حظك ، ويسددك<sup>(٤)</sup> فإنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير .

وزعمت أنك في طرف من الطاعة بعد أن كنت متوسطها ، وإذا كنت كذلك فقد عرفت حاليها ، وحلبت شطريها<sup>(٥)</sup> ، فنشدتك الله لما<sup>(٦)</sup> صدقـتـ عـما سـأـلتـكـ ، كـيـفـ وـجـدـتـ ما زـلـتـ عـنـهـ؟ـ وـكـيـفـ تـجـدـ ما صـرـتـ إـلـيـهـ؟ـ أـلـمـ تـكـنـ مـنـ الـأـوـلـ فـيـ ظـلـ ظـلـلـ ، وـنـسـيـمـ<sup>(٧)</sup> عـلـيـلـ ، وـرـيـحـ بـلـلـيـلـ<sup>(٨)</sup> ، وـهـوـاءـ غـذـيـ<sup>(٩)</sup> ، وـمـاءـ روـيـ<sup>(١٠)</sup> وـمـهـادـ وـطـيـ<sup>(١١)</sup> ، وـكـنـ<sup>(١٢)</sup> كـنـيـنـ<sup>(١٣)</sup> ، وـمـكـانـ مـكـيـنـ ، وـحـصـنـ حـصـيـنـ ، يـقـيـكـ المـتـالـفـ<sup>(١٤)</sup> ، وـبـؤـمـنـكـ المـخـاـوفـ ،

(١) التمهل.

(٢) طاوله مطاولة ماطله.

(٣) استدرجـهـ إـلـىـ كـذـاـ قـرـبـهـ إـلـيـهـ رـقـاهـ مـنـ درـجـةـ إـلـىـ درـجـةـ .

(٤) أي يرشدك إلى طريق الصواب.

(٥) الجزء والنصف جـ أـشـطـرـ وـشـطـورـ وـيـقـالـ لـلنـاقـةـ فـيـ ضـرـعـهـاـ شـطـرانـ قـادـمانـ وـآخـرـانـ وـكـلـ خـلـفـينـ شـطـرـ .

(٦) قد تكون حرف استثناء بمعنى إلا فتدخل على الجملة الاسمية نحو إن كل نفس لما عليها حافظ وعلى الماضي لفظاً لا معنى نحو أنسدك الله لما فعلت أي ما أسألك إلا فعلك.

(٧) الريح اللينة لا تحرك شجرأ ولا تعفي أثراً جـ نـسـامـ .

(٨) الريح البدارة مع ندى.

(٩) الطيب.

(١٠) الماء الغزير المروي.

(١١) اللين الناعم.

(١٢) البيت جـ أـكـنـانـ وـأـكـنـةـ .

(١٣) المستور.

(١٤) جـمـعـ مـتـلـفـ وـهـيـ سـبـبـ التـلـفـ وـالـهـلاـكـ .

ويكنفك<sup>(١)</sup> من نوائب الزمان ، ويحفظك من طوارق<sup>(٢)</sup> الحدثان<sup>(٣)</sup> ؛ عززت به بعد الذلة ، وكثرت بعد القلة ، وارتقت بعد الضعف<sup>(٤)</sup> ، وأيسرت<sup>(٥)</sup> بعد العسرة ، وأثريت<sup>(٦)</sup> بعد المترفة<sup>(٧)</sup> واتسعت بعد الضيق ، وظفرت بالولايات ، وخففت<sup>(٨)</sup> فوقك الرایات<sup>(٩)</sup> ، ووطئ عقبك الرجال ، وتعلقت بك الآمال ، وصرت تکاثر<sup>(١٠)</sup> ويکاثر بك ، وتشير ويشار إليك ، ويدرك على المنابر اسمك ، وفي المحاضر ذكرك .

فقيم الآن أنت من الأمر؟ وما العوض عما عدوت والخلف<sup>(١١)</sup>  
مما وصفت؟ وما استفدت حين أخرجت من الطاعة نفسك ، ونفضت  
منها كفك وغمست في خلافها يدك؟ وما الذي أظللك بعد انحسار<sup>(١٢)</sup>  
ظلها عنك؟ أظل ذو ثلات شعب<sup>(١٣)</sup> لا ظليل ولا يغنى من اللهب؟ قل :  
نعم كذلك! فهو - والله - أکثف ظلالك في العاجلة ، وأروحها في  
الآجلة ، إن أقمت على المحايدة<sup>(١٤)</sup> والعنود<sup>(١٥)</sup> ، ووقفت على

(١) كتف الشيء صانه وحفظه وحاطه بابه نصر.

(٢) جمع طارقة وهي الداهية.

(٣) حدثان الدهر وحدثانه نوائبه.

(٤) الذلة.

(٥) أي صرت ذا يسار وغنى.

(٦) أي كثر مالك.

(٧) أي الفاقة والفقير.

(٨) اضطربت.

(٩) جمع راية علم الجيش ويجمع أيضاً على راي .

(١٠) كاثره غالبه وفاخره بكثرة المال والعداد .

(١١) البدل والعوض.

(١٢) الانکشاف.

(١٣) جمع شعبة الطائفنة من الشيء .

(١٤) المجانية .

(١٥) عند عنوداً عن الطريق أو القصد مال وعدل بابه ضرب ونصر وسمع وكرم وأيضاً =

المشاقة<sup>(١)</sup> والجحود<sup>(٢)</sup>.

تأمل حalk و قد بلغت هذا الفصل من كتابي فستنكرها ، والمس جسدك ، وانظر هل يحس؟ وأحبس عرقك هل ينبض<sup>(٣)</sup>؟ وفتشر ماحنا<sup>(٤)</sup> عليك هل تجد في عرضها قلبك ، وهل حلّي<sup>(٥)</sup> بصدرك أن تظفر بفوت سريح<sup>(٦)</sup> أو موت مريع؟ ثم قس غائب أمرك بشاهده وآخر شأنك بأوله!<sup>(٧)</sup>.

\* \* \*

= عند الرجل خالف الحق وهو عارف به.

(١) المخالفة والمعاداة.

(٢) الإنكار مع العلم.

(٣) نبض العرق نبضاً ونبضاناً تحرك وضرب بابه ضرب.

(٤) أي مال وانعطاف.

(٥) طاب ولذّ بابه سمع.

(٦) المعجل.

(٧) يتيمة الدهر لأبي منصور الشعالي. قال المؤلف: «بلغني عن ابن بلكا وكان آدباً أمثاله أنه كان يقول والله ما كانت لي عند قراءة هذا الفصل إلا كما اشار إليه الأستاذ الرئيس (ابن العميد): ولقد ناب كتابه عن الكتائب في عراك أديمي واستصلاحي وردي إلى طاعة صاحبه» (يتيمة الدهر ١٦٨-١٦٧ / ٣).

## البَحْر

رسالة للصاحب بن عباد<sup>(١)</sup> إلى ابن العميد صدرت عن كتابه إلية في وصف البحر.

وصل كتاب الأستاذ الرئيس صادراً عن شط<sup>(٢)</sup> البحر بوصف ما شاهد من عجائبها ، وعاين من مراكبه ، ورأه من طاعة آلاته للرياح كيف أرادتها

(١) (٣٢٦ـ٣٨٥هـ) أبو القاسم إسماعيل بن عباد، ولد بطالقان من أعمال قزوين وصاحب الأستاذ الرئيس ابن العميد شاباً فاشتهر بالصاحب. كان وزيراً لمؤيد الدولة ابن بويه، ثم لأخيه فخر الدولة فكان ذا الوزارتين، وصاحب الدولتين (العلم والإمارة)، وحائز الحسنين (الأدب والرئاسة)، وهو رمز من رموز الأدب الخالدة، وكان سوقاً للأدب والشعر، يجلب إليها كل طريف، ويرحل إليها كل أديب، ويقصده كل شاعر. قال الشاعري: «احتف به من نجوم الأرض وأفراد العصر وأبناء الفضل وفرسان الشعر من يربى عددهم على شعراء الرشيد».

أما كتابته فعلى أثر ابن العميد بزيادة في الحالية اللغوية وولع بالسجع والجناس حتى قيل فيه «لو رأى سجعة تحمل بموقعها عروة الملك ويضطرب بها جبل الدولة لما هان عليه أن يتخلّى عنها» وهذه الملاحظة وإن كانت شديدة لكنها صادقة في أكثر كتاب ذلك العصر إلى عصور بعده.

ولعل هذا الكتاب الذي وقع اختيارنا عليه أقل رسائله تكلفاً وإغراماً في الجنس والبيع وأكثرها خفة وسلامة وجمالاً. قال الشاعري في يتيمة الدهر ج ٢٥٦/٣: كان أبو بكر الخوارزمي يحفظ هذا الكتاب وكثيراً ما كان يقرؤه ويعجب السامعون من فصاحته ولم أره يحفظ من الرسائل غيره.

(٢) الشاطيء ج شطوط وشطآن.

واستجابة أدواتها<sup>(١)</sup> لها متى نادتها ، وركوب الناس أثيابها<sup>(٢)</sup> ، والخوف بمرأى وسمع والمنون<sup>(٣)</sup> بمرقب ومطلع ، والدهر بينأخذ وترك ، والأرواح بين نجا وهلك ، إذا فكروا في المكاسب الخطيرة<sup>(٤)</sup> هان عليهم الخطر ، وإذا لاحت لهم غُرر<sup>(٥)</sup> المطالب الكثيرة حبب إليهم الغَرَر<sup>(٦)</sup>.

وعرفت ما قاله من تمنّيه كوني عند ذلك بحضرته ، وحصولي على مساعدته ومن رأى بحر الأستاذ كيف يزخر<sup>(٧)</sup> بالفضل ، وتلاطم فيه أمواج الأدب والعلم لم يعتب<sup>(٨)</sup> على الدهر فيما يفيته من منظر البحر ، ولا فضيلة له عندي أعظم من إكبار الأستاذ لأحواله ، واستعظامه لأحواله ، كما لا شيء أبلغ في مفاخره ، وأنفس في جواهره ، من وصف الأستاذ له ، فإني قرأت منه الماء السلسال<sup>(٩)</sup> لا الزلزال<sup>(١٠)</sup> ، والسحر<sup>(١١)</sup> الحرام لا الحلال ، وقد علم أنه كتب ولما أخطر بفكرة سعة صدره ، فلو فعل ذلك لرأى البحر وشَلَّا<sup>(١٢)</sup> لا يفضل من

(١) جمع أداة وهي الآلة.

(٢) جمع ثيج وهو من كل شيء أعلاه يقال «تسنمـتـ العـمـرـ أـثـيـابـ الـآـكـامـ» أي أعلىها ويجمع أيضاً على ثيوج.

(٣) الموت (مؤنة وقد تذكر).

(٤) الرفيعة القدر.

(٥) بالضم جمع غرة وهي البياض في جبهة الفرس والغرة من كل شيء أوله ومعظمها وطلعته والغرة من القوم شريفهم.

(٦) بالفتح التعریض للهلاك.

(٧) زخـرـ كـفـتـحـ زـخـرـاـ وـزـخـورـاـ وـتـخـارـاـ الـبـحـرـ طـبـيـ وـتـمـلـاـ.

(٨) عـتـبـ كـضـرـبـ وـنـصـرـ عـتـبـاـ وـعـتـابـاـ وـعـتـبـيـ فـلـاتـاـ لـامـ.

(٩) الماء العذب.

(١٠) المتلاطم المصوت كماء البحر.

(١١) الممنوع على غيره من أن يقلده أو يحكى وإن كان حلالاً.

(١٢) بفتحتين الماء القليل يتحلّب من صخر أو جبل ج أو شال.

التبرُّض<sup>(١)</sup> ، وَمَدَا<sup>(٢)</sup> لا يكثُر عن الترشف<sup>(٣)</sup> : [من الطويل]  
وكم من جبالِ جبَّتْ تشهدُ أَنْكَ الـ جبالُ وبحر شاهد إِنْكَ الْبَحْرُ<sup>(٤)</sup>



- 
- (١) تبرُّض الشيء أخذه قليلاً قليلاً.
  - (٢) بفتح الميم وسكونها الماء القليل يتجمَّع في الشتاء وينصب في الصيف أو الحفرة يجتمع فيها ماء المطر، ج ثماد.
  - (٣) ترشف الماء بالغ في مصبه.
  - (٤) يتيمة الدهر للتعالبي ٢٥٦/٣.

## كيف تتفاصل الكلمات بعضها على بعض

لعبد القاهر الجرجاني<sup>(١)</sup>

هل يقع في وهم وإن جهد أن تتفاصل الكلمتان المفردتان من غير أن ينظر إلى مكانٍ تقعان فيه من التأليف والنظم ، بأكثر من أن تكون هذه مألوفةً مستعملةً ، وتلك غريبة وحشية ، أو أن تكون حروفُ هذه أخفَّ ، وامتزاجها أحسن ، ومما يكُدُ<sup>(٢)</sup> اللسانَ أبعد ، وهل تجد أحداً يقول: «هذه اللفظة فصيحة» إلا وهو يعتبر مكانها من النظم ، وحسن ملاءمة معناها لمعاني جارتها ، وفضل مؤانتها لأخواتها ، وله قالوا: «لفظة

(١) عبد القاهر الجرجاني المتوفى ٤٧١هـ، من كبار أئمة العربية، أخذها عن أبي الحسين الفارسي النحوي ابن أخت أبي علي الفارسي، كان يُرْحل إليه من الأفاق، ولقب بالنحوي وهو أول من أسس قواعد البلاغة، كان شافعياً اشعرياً، صاحب تدين وورع، أهم كتبه المطبوعة «دلائل الإعجاز» و«أسرار البلاغة» وبهما خلد اسمه في عالم الأدب، و«دلائل الإعجاز» صحفة من الأدب العالي، لم يكتب البيان ولا النحو ولا الفقه بمثل هذا اللسان العذب، إذا قرأت فصلاً من كتاب «دلائل الإعجاز» أو «أسرار البلاغة» شعرت كأنك في درس أو تسمع حواراً (مقتبس من كتاب «كنوز الأجداد» للعلامة محمد كرد علي) وقد قدمنا نموذجه على بديع الزمان الهمذاني وأبي القاسم الحريري مع أن وفاته تأخرت عن وفاة بديع الزمان لأنه نمط من الإنشاء تختلف عن نمط إنشائهما اختلافاً كبيراً، وهوأشبه بالأولين منه بالمتاخرين.

(٢) يكُدُّ: من (نصر) كُدُّ: أتعبه.

متمكنة ومقبولة ، وفي خلافه ، «قلقة ونابية<sup>(١)</sup>» ومستكرهه ، إلا وغرضها أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما ، وبالقلق والثبوّ عن سوء التلاءم ، وأن الأولى لم تلقي بالثانية في معناها ، وأن السابقة لم تصلح أن تكون لفقاً للتألية في مؤداتها ، وهل تشک إذا فكرت في قوله تعالى : «وَقَيْلَ يَكَارِشُ أَبْلَعِي مَاءَكَ وَيَسْمَأَهُ أَقْلَعِي<sup>(٢)</sup> وَغَيْضَ  
الْمَاءِ وَقُضَى الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجَوْدِيِّ وَقَيْلَ بَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّلِيلِينَ» [هود: ٤٤]

فتجلّى لك منها الإعجاز ، وبهرك الذي ترى وتسمع أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة ، والفضيلة القاهرة ، إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها بعض ، وأن لم يعرض لها الحُسْنُ والشرف ، إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية والثالثة بالرابعة ، وهكذا إلى أن تستقر بها إلى آخرها ، وأن الفضل تناجَ ما بينها ، وحصل من مجموعها !!

إن شككت فتأمل : هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين أخواتها وأفرِدت ، لأدَتْ من الفصاحة ما تؤديه ، وهي في مكانها من الآية ؟ قل : «أَبْلَعِي» واعتبرها وحدتها من غير أن تنظر إلى ما قبلها وإلى ما بعدها ، وكذلك فاعتبر سائر ما يليها ، وكيف بالشك في ذلك ، ومعلوم أن مبدأ العظمة في أن نُوديت الأرض ، ثم أمرت ، ثم في أن كان النداء بـ «يا» دون «أي» نحو يأيتها الأرض ، ثم إضافة «الماء» إلى الكاف دون أن يقال : «أَبْلَعِي الماء» ، ثم أن أُتبع نداء الأرض وأمرها بما هو من شأنها ، نداء السماء وأمرها كذلك بما يخصها ، ثم أن قيل : «وَغَيْضَ الماء» فجاء الفعل على صيغة «فُعِلَ» الدالة على أنه لم يغُض إلا بأمر أمر وقدرة قادر ، ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى : «وَقُضَى الْأَمْرُ» ثم ذِكْرُ ما هو فائدة هذه

(١) نبوءاً من (نصر) (صورته) قبحت فلم تقبلها العين.

(٢) أَقْلَعِي : أَقْلَعَ (عن كذا) كفت عنه وتركه.

(٣) غيض : غاض بغياً غيضاً : لازم ومتعد معـاً . (الماء ونحوه) نقص أو غار أو نصب . أن نقصه .

الأمور ، وهو «استوأْتْ على الجُودي» ثم إضمار «السفينة» قبل الذكر ، كما هو شرط الفخامة والدلالة ، على عظم الشأن ، ثم مقابلة «قيل» في الخاتمة بـ «قيل» في الفاتحة ، أفترى لشيء من هذه الخصائص التي تملؤك بالإعجاز روعة ، وتحضرك عند تصوّرها هيبة ، تحيط بالنفس من أقطارها تعلقاً باللفظ ، من حيث هو صوت مسموعٌ وحروف تتوالى في النطق؟ أم كل ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتساق<sup>(١)</sup> العجيب.

فقد اتضح إذاً اتصاحاً لا يدع للشك مجالاً أن الألفاظ لا تتفاصل من حيث هي ألفاظ مجردة ، ولا من حيث هي كلام مفردة ، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها ، أو ما أشبه ذلك ، مما لا تعلق له بصربيح اللفظ . ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروُّقك وتُؤنسك في موضع ثم تراها بعينها تقل عليك وتوحشك في موضع آخر ، كلفظ الأخداع في بيت الحماسة : [من الطويل]

تلَّفتْ نحو الحيِّ حتى وَجَدْتُنِي وَجِئْتُ من الإِصْغَاءِ لِيَا<sup>(٢)</sup> وَأَخْدَعَا<sup>(٣)</sup>

وبيت البحترى : [من الطويل]

وَإِنِّي وَإِنْ بَلَّغْتَنِي شَرَفَ الْغِنَى وَأَعْتَقْتَ من رِقِّ الْمَطَامِعِ أَخْدَعِي  
فَإِنَّ لَهَا فِي هذِينِ الْمَكَانِينِ مَا لَا يَخْفِي مِنَ الْحَسْنِ ، ثُمَّ إِنَّكَ تَتَأْمِلُهَا فِي  
بَيْتِ أَبِي تَمَامٍ : [من المنسري]

يَا دَهْرُ قَوْمٍ مِنْ أَخْدَعِيَّكَ فَقَدْ أَضْجَبْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خُرُوقِكُ<sup>(٤)</sup>  
فَتَجِدُ لَهَا مِنَ الشَّقْلِ عَلَى النَّفْسِ وَمِنَ التَّنْعِيْصِ وَالتَّكْدِيرِ أَصْعَافَ  
مَا وَجَدْتَ هَنَاكَ مِنَ الرَّوْحِ وَالْخِفَةِ وَالْإِيْنَاسِ وَالْبَهْجَةِ . وَمَنْ أَعْجَبْ ذَلِكَ

(١) اتسق أمره: اتساقاً، انتظم واستوى.

(٢) الليت: صفحة العنق.

(٣) الأخداع: عرقان في جانبيه.

(٤) الخرق: بالضم، العنف، وتقويم الأخداعين: إزالة الكبر والعنف.

لفظة «الشيء» فإنك تراها مقبولةً حسنةً في موضع ، وضعيفةً مستكرهًةً في موضع ، وإن أردت أن تعرف ذلك فانظر إلى قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي : [من الطويل]

وَمِنْ مَا لِي عَيْنَيْهِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ إِذَا رَاحَ نَحْوَ الْجَمَرَةِ<sup>(١)</sup> الْبِيْضُ كَالْدُمَى

وإلى قول أبي حية : [من الطويل]

إِذَا مَا تَقَاضَى الْمَرْءُ يَوْمًا وَلَيْلَةً تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَمْلُّ التَّقَاضِيَا

فإنك تعرف حُسْنَها ومكانها من القبول ، ثم انظر إليها في بيت المتنبي : [من الطويل]

لَوِ الْفَلَكُ الدَّوَارُ أَبْغَضْتَ سَعْيَهُ لَعَوَّقَهُ شَيْءٌ عَنِ الدَّوْرَانِ

فإنك تراها تقلُّ وتضُؤُ ، بحسب ثُبُلِها وحُسْنِها فيما تقدم .

وهذا بابٌ واسعٌ فإنك تجد متى شئتَ الرجلين قد استعملما كَلِمَا بأعيانها ، ثم ترى هذا قد قرع السماك<sup>(٢)</sup> ، وترى ذاك قد لَصَقَ بالحبيض<sup>(٣)</sup> ، فلو كانت الكلمة إذا حَسُنَتْ حَسُنَتْ من حيث هي لفظ وإذا استحقت المزيَّةُ والشرفُ استحقت ذلك في ذاتها وعلى انفرادها دون أن يكون السبب في ذلك حالٌ لها مع أخواتها المجاورة لها في النظم . لَمَّا اختلف بها الحالُ ، ولكانَت إِمَّا أَنْ تَحْسُنَ أَبْدًا ، أَوْ لَا تَحْسُنَ أَبْدًا ، ولم تر قولهً يضطرب على قائله حتى لا يدرِي ، كيف يُعبَّر وكيف يورِد ويُصْدِر ،

(١) الجمرة : القبيلة يجتمع عددها ، ثم قيل لمكان اجتماعها .

(٢) السماك : ج سُمُكُ ، ما سملك به الشيء أي رفع ، والسمakan : كوكبان في السماء ، يقال لأحدهما : السماك الراوح ، ولآخر : السماك الأعزل .

(٣) الحبيض : ج أحضة وحُضُضُ : القرار من الأرض عند أسفل الجبل .

كهذا القول ، بل إن أردت الحقَّ فإنه من جنس الشيء يُجزي به الرجل لسانه ، ويُطلِّقه ، فإذا فَتَّشَ نَفْسَه وجدها تعلم بُطْلَانَه ، وتنطوي على خلافه ، ذاك لأنَّه ممَّا لا يقومُ بالحقيقة في اعتقاد ، ولا يكون له صورة في فُؤاد<sup>(١)</sup> .



## المقامة المضيرية

لبديع الزمان الهمذاني<sup>(١)</sup>

حدثنا عيسى بن هشام قال: كنت بالبصرة ومعي أبو الفتح الاسكندرى رجل الفصاحة<sup>(٢)</sup> يدعوها فتجيبه ، والبلاغة يأمرها فتطيعه ، وحضرنا معه دعوة بعض التجار ، فقدمت إليها مضيرة<sup>(٣)</sup> ، تُثني على الحضارة ،

(١) هو بديع زمانه أبو الفضل أحمد بن الحسين، ولد بهمدان ونشأ بها وتعلم العلم باللغتين الفارسية والعربية، ورحل إلى الصاحب بن عباد فاستفاد منه، وقصد جرجان وأقام في أكنااف الإسماعيلية وفي سنة ٣٨٢هـ يم نيسابور فتجلت فيها عبريته وأملأ بها أربعمئة مقامة؛ ثم تصدى لمناظرة أبي بكر الخوارزمي وهو حامل لواء الأدب في عصره فظهر عليه وطار بذلك صيته في الآفاق ثم ألقى عصاه بهرات وعاش بها إلى سنة ٣٩٨هـ كان البديع نادراً في الذكاء وسرعة الخاطر، وحضور البديهة، وقوة الحفظ. كان يأتي في الإنماء ببدائع ونوادر وهو الذي سبق إلى إنشاء المقامات وقد اعترف بتقدمه وبسقه الحريري في مقدمة مقاماته.

نشر البديع من قبيل الشعر المثور أقل تكلفاً من متأخريه ومن كثير من معاصريه ومتقدميه يجمع بين متانة اللفظ ورشاقة المعنى، وجمال الأدب، ودقة التخيل وهزله، ودعابته تفوق دعابة الحريري وأقل منها تكلفاً.

(٢) أي صاحبها الفرد ليس في الرجال من يساويه يقال: «فلان رجل الحرب» إذا كان فريداً في القيام بأعبائها لا يقاريه بها أحد وكذا رجل البلاغة.

(٣) لحم يطبع باللبن المضير وهو الحامض.

وتَرَجَّح<sup>(١)</sup> في الغضارة<sup>(٢)</sup> ، وَتُؤْذن<sup>(٣)</sup> بالسلامة ، وتشهد لمعاوية رحمه الله بالإمامية<sup>(٤)</sup> ، في قصعة يَزُلُّ عنها الطُّرف ، ويِموج فيها الظرف<sup>(٥)</sup> . فلما أخذت من الخوان<sup>(٦)</sup> مكانها ومن القلوب أو طانها قام أبو الفتح الإسكندرى يلعنها وصاحبها ، ويمقتها<sup>(٧)</sup> وأكلها ، ويثليها<sup>(٨)</sup> وطابخها ، وطننها يمزح فإذا الأمر بالضد ، وإذا المزاح عين الجد ، وتتحلى عن الخوان ، وترك مساعدة الإخوان ، ورفعناها فارتقت معها القلوب ، وسافرت خلفها العيون ، وتحلبت<sup>(٩)</sup> لها الأفواه ، وتلمظت<sup>(١٠)</sup> لها الشفاه ، واتقدت لها الأكباد . ومضى في أثرها الفؤاد . ولكننا ساعدناه على هجرها ، وسألناه عن أمرها ، فقال : قصتي معها أطول من مصيبتي فيها ، ولو حدثتكم بها لم آمن المقت ، وإضاعة الوقت ؛ قلنا : هات !

قال : دعاني بعض التجار إلى مضيرة وأنا ببغداد ولزمني ملازمة

(١) تحرك بشدة .

(٢) القصعة الكبيرة ج غضائر .

(٣) أي تشعر بالسلامة من يأكل منها لأنها لطيفها مستساغة سهلة الهضم لا يخشى أكلها من ضرر البطنة وإن بالغ في الالتمام .

(٤) لأن سيدنا معاوية (رضي الله تعالى عنه) كان معروفاً في عصره بحسن الذوق وطيب الطعام وتنوعه .

(٥) حسن الهيئة وبراعة اللسان فيما تسر الأنفس باستماعه ذلك أصله والمراد هنا مطلق الحسن والبهاء .

(٦) بالضم والكسر ما يوضع عليه الطعام ليؤكل ج أخونة وخون .

(٧) أي يبغض أشد البغض بابه نصر اراد من المقت الكلام الدال عليه وإلا فهو فعل نفسي .

(٨) ثلبه أي عابه ولامه بابه ضرب .

(٩) أي سال ريقها والفهم يتحلّب عند رؤية شيء من المطعم تميل النفس إلى تناوله بل عند تذكرة كذلك .

(١٠) التلمظ إخراج اللسان بعد الأكل والشرب ليمسح به الشفتان .

الغريم<sup>(١)</sup> والكلب لأصحاب الرقيم<sup>(٢)</sup> ، إلى أن أجبته إليها ، وقمنا فجعل طول الطريق يبني على زوجته ، ويفديها<sup>(٣)</sup> بمهجته<sup>(٤)</sup> ، ويصف حِذْقَهَا<sup>(٥)</sup> في صناعتها ، وتألقها<sup>(٦)</sup> في طبخها ، ويقول: يا مولاي! لو رأيتها ، والخرقةُ في وسطها ، وهي تدور في الدُّور ، من التنور إلى القدور ، ومن القدور إلى التنور ، تنفث<sup>(٧)</sup> بفيها النار ، وتدق بيدها الأبزار<sup>(٨)</sup> ، ولو رأيت الدخان وقد عَبَرَ<sup>(٩)</sup> في ذلك الوجه الجميل ، وأثر في ذلك الخد الصقيل<sup>(١٠)</sup> ، رأيت منظراً تحرّر فيه العيون ، وأنا أعشقها لأنها تعشقني ، ومن سعادة المرأة أن يرزق المساعدة من حليلته<sup>(١١)</sup> ، وأن يُسعد بظعينته<sup>(١٢)</sup> ، ولا سيما إذا كانت من طينته ، وهي ابنة عمّي لـ<sup>(١٣)</sup> ، طينتها طينتي ، ومدينتها مدتي ، وعمومتها عمومتي ، وأرومتهما<sup>(١٤)</sup> أرومتي ، لكنها أوسع مني خلقاً ، وأحسن خلقاً ،

- (١) رب الدين ج غرامه وغرام.
- (٢) أهل الكهف وقصتهم معروفة في القرآن الكريم وكلبهم معهم لا يفارقهم.
- (٣) أي قال لها: جعلت فداك.
- (٤) دم القلب، الروح ج مهج ومهجات.
- (٥) مهارتها.
- (٦) التأنيق في العمل الإتيان به على أحسن وجهه.
- (٧) تنفح بابه ضرب ونصر.
- (٨) جمع بزر بالكسر التابل وهو ما يوضع في الطعام لتطيبه كالفلفل والقرنفل ونحوهما ج أبزار وأبازير.
- (٩) لطخ بالنبار.
- (١٠) المجلو كالسيف الذي جُلّي حتى ظهر بريقه ولمعاني وبروى الأسليل بدل الصقيل وأسل الخد كرم إسالة لان وطال.
- (١١) الزوجة ج حلائل.
- (١٢) المرأة ما دامت في هودجها أراد منها الزوجة ج ظعائن.
- (١٣) مصدر لــت القرابة بيننا لــها إذا التصقت والتجمّعت ثم قيل هو ابن عمّي لــها أي ملتصقاً أي ابن عمّ أقرب أخ للأب.
- (١٤) الأصل أي أصولها هي أصوله والفترات كلها تأكيد لمعنى لــها.

وصدقني<sup>(١)</sup> بصفات زوجته ، حتى انتهينا إلى محلّته ، ثم قال: يا مولاي! ترى هذه المحلّة هي أشرف محالّ بغداد يتنافس الأخيار في نزولها ، ويتغيّر الكبار في حلولها ، ثم لا يسكنها غير التجار ، وإنما المرء بالجار ، وداري في السلطة من قلادتها<sup>(٢)</sup> ، والنقطة من دائرتها ، كم تقدّر يا مولاي! أُنفق على كُلّ دار منها ، قوله تخميناً ، إن لم تعرفه يقيناً؛ قلت: الكثير ، فقال: يا سبحان الله! ما أكبر هذا الغلط! تقول الكثير فقط ، وتنفس الصُّدَعَاء<sup>(٣)</sup> ، وقال: سبحان من يعلم الأشياء! وانتهينا إلى باب داره ، فقال: هذه داري كم تقدّر يا مولاي! أُنفقت على هذه الطاقة<sup>(٤)</sup> أُنفقت والله عليها فوق الطاقة ، ووراء الفاقة ، كيف ترى صنعتها وشكلها؟ أرأيت بالله مثلها ، انظر إلى دقائق الصنعة فيها ، وتأمل حسن تعريجها<sup>(٥)</sup> ، فكأنها خطّ بالبركار<sup>(٦)</sup> ، وانظر إلى حدق النجار ، في صنعة هذا الباب ، اتَّخَذَهُ مِنْ كَمْ؟ قل: ومن أين أعلم ، هو ساج<sup>(٧)</sup> من قطعة واحدة لا مأروض<sup>(٨)</sup> ولا عفن<sup>(٩)</sup> ، إذا حركَ أَنَّ<sup>(١٠)</sup> ، وإذا نُقر

(١) صدع بالحق تكلم به جهاراً بابه فتح.

(٢) ما جعل في العنق من الحلبي ج قلائد وقلاد جعل بيوت المحلّة كجواهر القلادة وبيته في مكان الوسط من تلك القلادة وواسطة القلادة هي أعظم جوهر فيها والوسط: الوسط.

(٣) على وزن العلماء التنفس الطويل من هم أو تعب.

(٤) ما عطف من الأبنية أي جعل كالقوس من قطرة ونافذة وما أشبه ذلك والطاقة في الجملة اللاحقة بمعنى الوسع والاستطاعة.

(٥) هو الميل والانحناء على نسب محفوظة يشكل به البنيان للزينة فيما تكون زينته به.

(٦) آلة لتحديد الدوائر.

(٧) شجر عظيم صلب الخشب.

(٨) الخشب الذي أكلته الأرضية.

(٩) الذي فسد من رطوبة أصابته.

(١٠) أي كان له أئين كأين المريض بابه ضرب.

طن<sup>(١)</sup> ، من اتّخذه يا سيدِي اتّخذه أبو إسحاق بن محمد البصريّ وهو رجل نظيف الأنوار ، بصيرٌ بصنعة الأبواب ، خفيفُ اليد في العمل ، الله در ذلك الرجل ، بحياتي لا استعنَ إلا به على مثله . وهذه الحَلقة تراها اشتريتها في سوق الطرائف<sup>(٢)</sup> ، من عمران الطرائي بثلاثة دنانير معزية<sup>(٣)</sup> ، وكم فيها يا سيدِي من الشبه<sup>(٤)</sup> ، فيها ستة أرطال ، وهي تدور بلولب<sup>(٥)</sup> في الباب ، بالله دورها ، ثم أنقرُها وأبصرها ، وبحياتي عليك لا اشتريت الحَلقة إلا منه فليس يبيع إلا الأعلاف<sup>(٦)</sup> ثم قرع الباب ودخلنا الدهلizi وقال: عَمْرِكِ اللَّهُ يَا دَارَ ، وَلَا خَرْبَكِ يَا جَدَارَ ، فَمَا أَمْتَنَ حِيطَانِكِ ، وَأَوْثَقَ بَنِيَانِكِ ، وَأَقْوَى أَسَاسِكِ ، تَأْمَلُ بِاللَّهِ مَعَارِجَهَا<sup>(٧)</sup> ، وتبين دواخلها وخوارجها ، وسلني كيف حصلتها ، وكم حيلة احتلتها ، حتى عقدتها . كان لي جار يكنى أبا سليمان ، يسكن هذه المحلّة ، وله من المال مالا يسعه الخزن ، ومن الصامت<sup>(٨)</sup> ما لا يحصره الوزن . مات رحمة الله وخلف خلفاً أتلفه بين الخمر والزمر<sup>(٩)</sup> ، ومزقه بين النرد<sup>(١٠)</sup> ، والقمر<sup>(١١)</sup> ، وأشفقت أن يسوقه قائد الاضطرار ، إلى بيع الدار ، فيبيعها في أثناء الضجر ، أو يجعلها عرضة للخطر ، ثم أراها ، وقد فاتني

(١) أي صوت وسمع له طنين.

(٢) جمع طريفة وهي النادر المستحسن.

(٣) نسبة إلى المعز لدين الله.

(٤) النحاس الأصفر.

(٥) آلة من خشب أو حديد ذات محور ذي دوائر ناتئة.

(٦) جمع علق بالكسر وهو الشيء النفيس.

(٧) جمع معرج وهو السلم ويجمع أيضاً على معاريج.

(٨) هو المال من الذهب والفضة ونحوهما من المعادن والجواهر في مقابلة الناطق وهي الأموال من الحيوان كالابل والبقر والغنم ونحوها.

(٩) الصوت والغناء.

(١٠) لعبة الطاولة.

(١١) مصدر قمره كضرب إذا غلبه في القمار.

شراها ، فأنقطع عليها حسراتٍ ، إلى يوم الممات ، فعمدت إلى أثواب لا تنضَّ<sup>(١)</sup> تجارتها ، فحملتها إليه ، وعرضتها عليه ، وساومته على أن يشتريها نسية<sup>(٢)</sup> ، والمدبر<sup>(٣)</sup> يحب النسيدة عطية ، والمتخلف<sup>(٤)</sup> يعتد بها هديَّة . وسألته وثيقة<sup>(٥)</sup> بأصل المال ففعل وعدها لي ، ثم تغافلت عن اقتضائه حتى كادت حاشية حاله ترق ، فأتيته فاقتضيته ، واستمهلني فأنظرته ، والتمس غيرها من الثياب فأحضرته ، وسألته أن يجعل داره رهينة لدبي ، ووثيقة<sup>(٦)</sup> في يدي ، ففعل ثم درجته<sup>(٧)</sup> بالمعاملات إلى بيعها حتى حصلت لي بجد صاعد ، وبخت<sup>(٨)</sup> مساعد ، وقوة ساعد<sup>(٩)</sup> ، ورب ساع<sup>(١٠)</sup> لقاعد ، وأنا بحمد الله مجدد<sup>(١١)</sup> ، وفي مثل هذه الأحوال محمود ، وحسبك يا مولاي إني كنت منذ ليل نائماً في البيت مع مَنْ فيه إذا قُرع علينا الباب ، فقلت: من الطارق<sup>(١٢)</sup> المتتاب<sup>(١٣)</sup>? فإذا

- (١) مأخذ من قولهم ما نص بيدي منه شيء أي ما حصل والمراد أن تجارتها تكون كاسدة غير ناقصة.
- (٢) أي بتأجيل الشمن.
- (٣) الذي أدبر عن السعادة.
- (٤) المتأخر عن الناس في حسن الحال.
- (٥) الصك الذي يكتب فيه الدين ج وثائق.
- (٦) الوثيقة هنا بمعنى ما تكون به الثقة في قضاء الدين.
- (٧) درجه إلى كذا أدناء منه بالتدريج.
- (٨) معاونة القدر لا كسب للإنسان فيها.
- (٩) ما بين المرفق والكف ج سواعد.
- (١٠) من كلام سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه في تهويين الدنيا أي قد يسعى المرء في كسب ولا ينتفع به هو وإنما يتربكه فيتتفع به غيره وهو قاعد لم يكسبه بسعيه.
- (١١) أي ذو جد وحظ.
- (١٢) الآتي ليلاً بابه نصر.
- (١٣) الذي يأتيك مرة بعد أخرى كأنه جعل إتيانه نوباً ثم شاع فيمن يأتي وقت لا يأتي الناس فكانه لم يطرق بابك إلا بعد ما طرق أبواباً فرداً فانتهت نوبة الطرق إلى =

امرأة معها عقد لآل ، في جلدة ماء ورقه آل<sup>(١)</sup> تعرضه للبيع ، فأخذته منها إحدة خلس<sup>(٢)</sup> ، واحتريته بثمن بخس ، وسيكون له نفع ظاهر ، وربح وافر ، بعون الله تعالى ودولتك .

وإنما حديثك بهذا الحديث لتعلم سعادة جدي في التجارة ، والسعادة تنبط<sup>(٣)</sup> الماء من الحجارة ، الله أكبر! لا ينبع أصدق من نفسك ، ولا أقرب من أمسك .

اشترت هذا الحصير في المناداة<sup>(٤)</sup> ، وقد أخرج من دور آل الفرات<sup>(٥)</sup> ، وقت المصادرات<sup>(٦)</sup> ، وزمن الغارات ، وكنت أطلب مثله منذ الزمن الأطول فلا أجده ، والدهر حبلى<sup>(٧)</sup> ليس يدرى ما يلد . ثم اتفق أنني حضرت بباب الطاق ، وهذا يعرض في الأسواق ، فوزنت فيه كذا وكذا ديناراً ، تأمل بالله دقهه ولينه وصنعته ولو أنه فهو عظيم القدر ، لا يقع مثله إلا في الندر<sup>(٨)</sup> ، وإن كنت سمعت بأبي عمران الحصيري فهو عمله ، وله ابن يخلفه الآن في حانوته لا يوجد أعلاه<sup>(٩)</sup> الحصر إلا عنده .

بابك . =

(١) السراب أي هذه اللآلئ هي كالماء صفاء والسراب رقة .

(٢) خلس كضرب خلساً وخليسي الشيء سلبه بمخالطة وعاجلاً .  
(٣) أنبط الماء أخرتها .

(٤) البيع بالمزاد وهو أن ينادي على شيء ويقومه أحد ثم يزيد عليه ثان وثالث حتى يشتريه أحد بثمن عالي .

(٥) علي بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات وأخوه أبو العباس أحمد بن محمد بن الفرات وأنههما أبو الخطاب جعفر بن محمد كان أولهم وزيراً وصادره على جميع أمواله في سنة ٣٠٢ من الهجرة .

(٦) يقال صودر فلان العامل على مال يؤديه أي فورق على مالٍ ضمنه .

(٧) الحبلى الحامل ج حبلى وحبليات وهو مثل يضرب لما يحصل من غير ترقب وعلم سابق .

(٨) مصدر ندر الشيء كنصر ندراً وندوراً إذا قل وجوده .

(٩) جمع علق بالكسر وهو الشيء النفيس ويجمع أيضاً على علوق .

فبحياتي لا اشتريت الحُصر إلَّا من دكانه ، فالمؤمن ناصح لإخوانه ، لا سيمًا من تحرّم<sup>(١)</sup> بخوانه .

ونعود إلى حديث المَضِيرَة ، فقد حان وقت الظَّهِيرَة ، يا غلام ! الطَّسْتَ وَالْمَاء ، فقلت : الله أكبر ! رُبِّما قَرُبَ الْفَرَجُ ، وَسَهَّلَ الْمَخْرُجُ ، وَتَقدَّمَ الْغَلامُ ، فقال : ترى هذا الغلام ، إنه رومي الأصل عراقي النَّشَء ، تقدم يا غلام ! واحسِر عن رأسك ، وشمر عن ساقك وانقض<sup>(٢)</sup> عن ذراعك ، وافتَّر<sup>(٣)</sup> عن أسنانك ، وأقبل وأدبر . ففعل الغلام ذلك . وقال التاجر : بالله من اشتراه ؟ اشتراه والله أبو العباس من النَّخَاس<sup>(٤)</sup> ، ضع الطَّسْتَ ، وهاتِ الإِبْرِيقَ<sup>(٥)</sup> . فوضعه الغلام وأخذه التاجر وقلبه وأدار فيه النَّظر ثُمَّ نقره . فقال : انظر إلى هذا الشَّبَه كأنَّه جذوة<sup>(٦)</sup> اللَّهُب ، أو قطعة من الذهب ، شبه الشام وصنعة العراق ، ليس من خلقان<sup>(٧)</sup> الأعلاقِ ، قد عرف دور الملوك ودارها<sup>(٨)</sup> ، تأمل حسنِه ، وسلني متى اشتريته . اشتريته والله عام المجائعة ، وادخرته لهذه الساعة ، يا غلام ! الإِبْرِيقَ ، فقدمه وأخذه التاجر فقلبه ، ثم قال : وأنبوبه<sup>(٩)</sup> منه ، لا يصلح

(١) تمنع يقال تحرّم من فلان بذمة أو عهد أو جوار إذا صار في حمايته وهذه كنایة لطيفة أي من كان ضيفاً عند رجل مرة وجب له حق ويثبت له حرمة عند المضيف ينصح له ويعينه .

(٢) أي انزع ثوبك عن ذراعك بابه نصر .

(٣) أي تبسم لتكتشف عن أسنانك .

(٤) باع العبيد يتجر فيها .

(٥) إناء له عروة وفم وببلة ح أباريق .

(٦) بالتتليث الجمرة الملتهبة ح جُذَى وجذَى وجذاء .

(٧) جمع خلق بمعنى البالي الرثيث .

(٨) أي طاف في دور الملوك داراً بعد دار يتنافسون فيه لنفاسته فينتقل من يد ملك إلى يد آخر .

(٩) ما بين العقدتين من القصب أو الرمح ويستعار لكل أجوف مستدير كالقصب ج أنابيب .

هذا الإبريق إلا لهذا الطست ، ولا يصلح هذا الطست إلا مع هذا الدست<sup>(١)</sup> ، ولا يحسن هذا الدست إلا في هذا البيت ، ولا يجعل هذا البيت إلا مع هذا الضيف ؛ أرسل الماء يا غلام ، فقد حان وقت الطعام. بالله ترى هذا الماء ما أصفاه أزرق كعين الستور ، وصافٍ كقضيب البليور<sup>(٢)</sup> ، استقي من الفرات ، واستعمل بعد الビات ، فجاء كلسان الشمعة ، في صفاء الدمعة ، وليس الشأن في السقاء ، الشأن في الإناء ، لا يدلك على نظافة أسبابه ، أصدق من نظافة شرابه ، وهذا المنديل سلني عن قصته ، فهو نسج جرجان<sup>(٣)</sup> ، وعمل أرجنان ، وقع إلى فاشريته ، فاتخذت أمرأتي بعضه سراويلًا ، واتخذت بعضه منديلاً ، دخل في سراويلها عشرون ذراعاً ، وانتزعت من يدها هذا القدر انتزاعاً ، وأسلمته إلى المطرز<sup>(٤)</sup> حتى صنعه كما تراه وطرزه. ثم ردته من السوق ، وخزنته في الصندوق ، وادخرته للظراف من الأضياف ، لم تذله عرب العامة بأيديها ، ولا النساء لماقيها<sup>(٥)</sup> ، فلكل علقي يوم ، ولكل آلة قوم.

يا غلام ! الخوان ، فقد طال الزمان ، والقصاص<sup>(٦)</sup> ، فقد طال المصاص<sup>(٧)</sup> ، والطعم ، فقد كثر الكلام. فأتي الغلام بالخوان ، وقلبه التاجر على المكان ، ونقره بالبنان ، وعجمه<sup>(٨)</sup> بالإسنان ، وقال : عمر

(١) صدر البيت والمجلس ج دسوت.

(٢) بفتح الباء وضم اللام المشددة أو بكسر الباء وفتح اللام المشددة نوع من الزجاج.

(٣) اسم بلدة وكذا أرجنان وهما معروفتان بجودة النسج.

(٤) طرز الثوب زينه بالخيوط الملونة والرسوم وما شاكلها.

(٥) جمع مؤق وهو مجرى الدم من العين أي من طرفها مما يلي الأنف ويجمع أيضاً على آماق وأماق ومواق.

(٦) جمع قصة وهي الصفحة التي فيها توكيل ويجمع أيضاً على قصص وقصارات.

(٧) المقاتلة والمجاالتة.

(٨) أي عضه بالإسنان ليعلم صلابتة من رخاوته.

الله بغداد فما أجود متابعها ، وأظرف صناعها تأمل بالله هذا الخوان ،  
وانظر إلى عرض متنه ، وخففة وزنه ، وصلابة عوده ، وحسن شكله ،  
فقلت : هذا الشكل ، فمتى الأكل ؟ فقال : الآن .

عجل يا غلام ! الطعام ، لكنَّ الخوان قوائمه منه . قال أبو الفتح :  
فجاشت <sup>(١)</sup> نفسي ، وقلت : قد بقي الخبز وألاته ، والخبز وصفاته ،  
والحنطة من أين اشتريت أصلاً ، وكيف اكترى لها حملأ ، وفي أي رحى  
طحن ، وإيجانة <sup>(٢)</sup> عجن ، وأي تنور سجر <sup>(٣)</sup> ، وخباز استأجر ، وبقي  
الحطب من أين احتطب <sup>(٤)</sup> ، ومتى جلب وكيف صُفَّحت حتى جُفِّف وحبس  
حتى يبس ، وبقي الخباز ووصفه والتلميذ ونعته ، والدقيق ومدحه ،  
والخمير وشرحه ، والمملح وملاحته ؛ وبقيت السُّكُرُجات <sup>(٥)</sup> من اتخاذها ،  
وكيف انتقدها <sup>(٦)</sup> ، ومن استعملها ، ومن عملها ، والخل كيف انتقى  
عنبه ، أو اشتري رطبه ، وكيف صُهْرَجت <sup>(٧)</sup> معصرته <sup>(٨)</sup> ، واستخلص  
لبه <sup>(٩)</sup> ، وكيف قُير <sup>(١٠)</sup> حبه <sup>(١١)</sup> ، وكم يساوي دنه <sup>(١٢)</sup> . وبقي البقل

- (١) ثارت من حزن أو غضب .
- (٢) الإناء الذي يعجن الدقيق فيه ج أجاجين .
- (٣) سجر التنور ملأه وقدأ وأحمداء بابه نصر .
- (٤) جمَّع الحطب .
- (٥) جمع سكرجة بضم السين وسكون الكاف وضم الراء أو بضم السين والكاف وضم الراء المشددة الصحفة التي يوضع فيها الأكل .
- (٦) استخلصها بالشراء من يد بائعها أو صانعها .
- (٧) أي طليت بالصاروخ وهو التورة وأخلاقتها .
- (٨) ما يوضع فيه العنب أو الرطب للعصير .
- (٩) أراد من اللب النوى في الرطب وما يشبهه في العنب أي كيف نقى من لبه .
- (١٠) طُلي بالقار وهو القطران .
- (١١) بالضم الجرة الكبيرة أو الخالية ج حباب وحببة وأحباب .
- (١٢) الراقود العظيم لا يقدر إلا أن يحفر له ج دنان .

كيف احتيل له حتى قُطْف<sup>(١)</sup> وفي أي مبقلة<sup>(٢)</sup> رُصِف<sup>(٣)</sup> ، وكيف تُؤْنَق<sup>(٤)</sup> حتى نُظْفِ . وبقيت المضيرة كيف اشتري لحمُها ، ووُفِي شحْمُها ، ونُصْبَت قَدْرُها ، وأجْجَت<sup>(٥)</sup> نارُها ، ودُقْت أبزارها<sup>(٦)</sup> ، حتى أجَيد طبخها وعُقَد<sup>(٧)</sup> مرقها ، وهذا خطبُ يطم<sup>(٨)</sup> ، وأمْرٌ لا يتم ، فقمت<sup>(٩)</sup> فقال: أين تريد؟ فقلت: حاجة أقضيها . فقال: يا مولاي! ت يريد كنيفا<sup>(١٠)</sup> يزري<sup>(١١)</sup> بربيعي<sup>(١١)</sup> الأمير ، وخريفي الوزير ، وقد جُصّص<sup>(١٢)</sup> أعلاه وصُهرج أسفله ، وسُطح سقفه ، وفُرشت بالمرمر أرضه ، ينزل عن حائطه الذر<sup>(١٣)</sup> فلا يعلق ، ويمشي على أرضه الباب فينزلق ، عليه باب غِيرَانه<sup>(١٤)</sup> من خليطي ساج وعاج<sup>(١٥)</sup> ، مزدوجين أحسن ازدواج ، يتمنى الضيف أن يأكل فيه .

فقلت: كل أنت من هذا الجراب ، لم يكن الكنيف في الحساب ،

(١) قطف الثمر جناه بابه ضرب.

(٢) ما يوضع فيه البقل.

(٣) أي ضم بعضه إلى بعض.

(٤) أي كيف جرى التأنيق والدقة في العمل حتى نظر ذلك البقل.

(٥) أشعلت وأضرمت.

(٦) جمع بزر وهو التابل أي ما يطيب به الغذاء جمع أبا زير.

(٧) عقد المرق تعقيداً إذا أغلاه حتى غلظ.

(٨) طمّ الأمر عظم وتفاقم بابه نصر.

(٩) المستراح كُنْف و كُنْف.

(١٠) أزراه وأزرى به عابه ووضع من حقه.

(١١) مكان الإقامة في الخلاء وقت الربيع وكذا الخريفي في الخريف.

(١٢) طلاه بالجنس.

(١٣) صغار النمل.

(١٤) جمع عار أصله الأخدود بين اللحين من الفم والمراد هنا الفواصل بين ألواح الباب.

(١٥) عظم سن الفيل.

وخرجت نحو الباب . وأسرعت في الذهاب ، وجعلت أعدو وهو يتبعني ويصيغ : يا أبا الفتح ! المَضِيرَةَ . وظن الصبيان أن المضيرة لقب لي فصاحوا صياحه ، فرميت أحدهم بحجر ، من فرط الضجر ، فلقي رجل الحجر بعمامته ، فغاص في هامته ، فأخذت من النعال بما قدم وحدُث<sup>(١)</sup> ، ومن الصفع<sup>(٢)</sup> بما طاب وخُبِثَ ، وحشرت إلى الحبس ، فأقمت عامين في ذلك النحس ، فندرت أن لا آكل مَضِيرَةَ ما عشتُ . فهل أنا في ذا يا آل همدان ظالم؟ . . .

قال عيسى بن هشام : فقبلنا عذرها ، ونذرنا نذرها؛ وقلنا قدِيمًا جنت المضيرة على الأحرار ، وقدّمت الأراذل على الأخيار<sup>(٣)</sup> .



(١) بفتح العين - أي الدال - لكنه إذا ذكر مع قدم ضم اتباعاً.

(٢) الضرب بالكف مبسوطة.

(٣) المقامات لبديع الزمان الهمذاني ١١٢-١٢٤

## المقامة الزبيديّة

للحريري<sup>(١)</sup>

أخبر الحارث بن همام قال: لما جُبْتُ البَيْدَ<sup>(٢)</sup> ، إلى زيد<sup>(٣)</sup> ، صحبني غلام قد كنت رَبِيْتُهُ إلى أن بلغ أشدَّهُ ، ونَفَقْتُهُ<sup>(٤)</sup> حتى أكمل رُشْدَهُ ، وكان قد أنس بأخلاقِي ، وخبر مجالب<sup>(٥)</sup> وفاقي ، فلم يكن

(١) أبو محمد القاسم بن علي البصري (٤٤٦-٥١٦هـ) نشأ بالبصرة وتخرج على فضائلها، واشتهر في فنون الأدب ويزر على القرآن، وكان من أوّلية العلم، راوية حافظاً للأخبار والأشعار، وقد اشتهر بمقاماته حتى لا تذكر إلا انتقال الذهن إليه. وقد سحرت قلوب الناس وفاقت أنظار الأدباء وبقيت أشهر كتاباً ومثالاً الوحيد للنشر العربي في بعض الأقطار ولها أثر بلين في أساليب الكتاب ينسجون على منوالها ويتفاخرون بتقلیدها. تمتاز كتابة الحريري بالتكلف والمبالغة في الصنعة، وترجح جانب اللفظ على جانب المعنى، والتزام شديد للقوافي ووحدة الأسلوب، وجملة القول فأسلوبه أسلوب صناعي أجواف مموه، على أن كتاب المقامات قد تضمن ثروة أدبية ضخمة لا يستهان بقدرها فهو قاموس للمفردات الغريبة، والتوادر اللغوية، والأمثال العربية، والأحادي النحوية. ولعل ذلك هو سر عكوف الناس عليه ودراستهم له.

(٢) جمع بيداء وهي الفلاة من الأرض.

(٣) بفتح الزاي بلدة باليمن بينها وبين صنعاء أربعون فرسخاً وإليها ينسب العالمة مرتضى صاحب تاج العروس.

(٤) أي هذبته وأدبته من ثقفت الشيء أقامت عوجه.

(٥) جمع مجلبة وهي ما يحمل على الجلب.

يتخطى<sup>(١)</sup> مرمي<sup>(٢)</sup> ، ولا يخطيء في المرامي<sup>(٣)</sup> . لا جَرَمَ أَنْ قُرْبَهُ<sup>(٤)</sup>  
 التاطُّ<sup>(٥)</sup> بصَفَرِي<sup>(٦)</sup> ، وأَخْلَصْتُهُ لَحَضَرِي وَسَفَرِي ، فَأَلْوَى<sup>(٧)</sup> بِهِ الدهر  
 الْمُبِيدُ<sup>(٨)</sup> ، حِينَ ضَمَّتْنَا زَيْدًا . فَلَمَّا شَالَتْ نِعَامَتُهُ<sup>(٩)</sup> ، وَسَكَنَتْ نَائِمَتُهُ<sup>(١٠)</sup> ،  
 وَبَقِيتْ عَامًا ، لَا أُسْيِغُ طَعَامًا ، وَلَا أُرِيغُ<sup>(١١)</sup> غَلامًا ، حَتَّى الْجَاتِنِي  
 شَوَّابٌ<sup>(١٢)</sup> الْوَحْدَة ، وَمَتَاعِبُ الْقَوْمَةِ وَالْقَعْدَةِ ، إِلَى أَنْ أَعْتَاضَ<sup>(١٣)</sup> عَنِ  
 الدُّرِّ الْخَرَزِ<sup>(١٤)</sup> ، وَارْتَادَ<sup>(١٥)</sup> مِنْ هُوَ سَدَادُ مِنْ عَوْزِ<sup>(١٦)</sup> ، فَقَصَدَتُ مَنْ يَبِعُ  
 الْعَبِيدُ ، بَسَوقِ زَيْدٍ ، فَقَلَتْ : أَرِيدُ غَلامًا يُعْجِبُ إِذَا قُلَّبَ<sup>(١٧)</sup> ، وَيُحْمَدُ

(١) يتجاوز.

(٢) المرام المقصد.

(٣) جمع مرمي وهو الغرض.

(٤) جمع قربة وهي ما يتقرب به إلى الله تعالى من أفعال البر والطاعة ويجمع أيضاً على قربات.

(٥) التصقت.

(٦) بفتحتين لب القلب، العقل يقال: «لا يلتط هذا بصفري» أي لا يلتصق به ولا تقبله نفسى.

(٧) أهلكه.

(٨) المُهْلِكُ.

(٩) أي مات وهو من الكنية يقال: «شالت نعامة القوم» إذا تفرقوا وارتحلوا أو ذهب عزهم أو ماتوا وشالت أي ارتفعت والتعمامة باطن القدم وهي ترتفع عند الموت.

(١٠) حركته التي تنمو بحياته وأصلها صوت الأسد أو غيره.

(١١) لا أطلب.

(١٢) جمع شائبة وهي الأخلط والأكدار.

(١٣) استبدل.

(١٤) فصوص من حجارة.

(١٥) أطلب.

(١٦) الحاجة والضيق.

(١٧) فتش.

إذا جُرِب ، ول يكن ممّن خَرَجَه<sup>(١)</sup> الأكias<sup>(٢)</sup> ، وأخرجه إلى السوق الإفلاس ، فاهترَّ كُلُّ منهم لمطلي ووَثَب ، وبذل تحصيله عن كثب<sup>(٣)</sup> ، ثم دارت الأهلة دورها ، وتقلبت كَوْرَها<sup>(٤)</sup> ، وحَوْرَها ، ومانجز<sup>(٥)</sup> من وعودهم وعد ، ولا سَحَّ لها رعد<sup>(٦)</sup> .

فلما رأيت النَّخَاسِين<sup>(٨)</sup> ، ناسين أو متناسين ، علمت أن ليس كُلُّ مَنْ خلق<sup>(٩)</sup> يفري<sup>(١٠)</sup> ، وأن لن يحَك جلدِي مثل ظفري<sup>(١١)</sup> ؛ فرفضت مذهب التفويض<sup>(١٢)</sup> ، وبرزت إلى السوق بالصفر والبيض<sup>(١٣)</sup> ، فإني لأستعرض<sup>(١٤)</sup> الغلمان ، وأستعرف الأثمان ، إذ عارضني<sup>(١٥)</sup> رجل قد

(١) أي من علمه ودربه.

(٢) جمع كيس بتشديد الياء المكسورة وهو الفَطْن والحسن الفهم والأدب ويجمع أيضاً على كيسى.

(٣) أي عن قرب.

(٤) أي تمامها ونقصانها من قولهم نعوذ بالله من الحور بعد الكور.

(٥) أي ما حصل وما انقضى بابه نصر.

(٦) سَحَّ كنصر سَحَا وسحوحًا سال وانصب غزيرًا.

(٧) هذه الجملة كنایة عن عدم وفاء ما وعده به.

(٨) الدلائل في الرقيق.

(٩) خلق الشيء كنصر خلقاً وخلققة صنعه وقدره.

(١٠) يقطع بابه ضرب يريد أن ليس من وعد يفي أو ليس كل الناس يقضي الحوائج.

(١١) هذا مثل يضرب في ترك الاتكال على الناس وأن الإنسان هو الذي يخدم نفسه ويقوم بحاجته.

(١٢) التسليم للغير.

(١٣) أي الدنانير والدراجم.

(١٤) أطلب عرضهم علي.

(١٥) أي قابلني.

اختَطَمَ<sup>(١)</sup> بِلِثَامَ<sup>(٢)</sup> ، وَقِبْضَ عَلَى زَنْدَ<sup>(٣)</sup> غَلامَ ، وَقَالَ : [مِنَ الرِّجْزِ]  
 فِي خَلْقِهِ وَخَلْقِهِ قَدْ بِرَعَا  
 مِنْ يَشْتَرِي مِنِّي غَلامًا صَنَعَا<sup>(٤)</sup>  
 بِكُلِّ مَا نُطْتَ<sup>(٥)</sup> بِهِ مُضْطَلِعاً<sup>(٦)</sup>  
 وَإِنْ تُصِبِّكَ عَشَرَةً يَقُولُ لَعَا<sup>(٧)</sup>  
 وَإِنْ تُصَاحِبْهُ وَلَوْ يَوْمًا رَعَى  
 وَهُوَ عَلَى الْكَيْسِ الَّذِي قَدْ جَمَعَا  
 وَلَا أَجَابَ مَطْمِعًا حِينَ دَعَا  
 وَطَالَمَا أَبْدَعَ فِيمَا صَنَعَا  
 وَاللَّهُ لَوْلَا ضَنْكُ عِيشٌ صَدَعَا  
 مَا بَعْثَهِ بِمُلْكِ كِسْرَى أَجْمَعَا

قال : فلما تأمتَ خلقَهُ القويُّ ، وَحَسْنَهُ الصَّمِيمُ<sup>(٩)</sup> ، خلتَهُ مِنْ وَلَدَانِ  
 جَنَّةِ النَّعِيمِ ، وَقَلْتَ : مَا هَذَا بَشْرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلْكٌ كَرِيمٌ . ثُمَّ اسْتَنْطَقْتَهُ عَنِ

(١) جعل على خطمه وهو الأنف.

(٢) ما كان على الأنف وما حوله من ثوب أو نقاب ج لثم.

(٣) الساعد من اليد ج زناد وأزند وأزناد.

(٤) الحاذق بالصناعة.

(٥) علقته به.

(٦) القوي.

(٧) فهم وحفظ.

(٨) سلمت ونجوت وهي كلمة تقال للعاشر معناها أقال الله تعالى عثرتك وسلمك ونجاك.

(٩) أي أن تكلفه.

(١٠) هو لما اجترر من الحيوانات كالبقرة والظبي بمنزلة الحافر للفرس ج ظروف وأظلاف.

(١١) استحل.

(١٢) نشر السرّ.

(١٣) الخالص.

اسمه ، لا لرغبة في علمه ، بل لأنظرَ أين فصاحتُه من صاحتَه ، وكيف لهجته من بهجته ، فلم ينطق بحلوة ولا مُرّة<sup>(١)</sup> ، ولا فاه فوهَةَ ابن أمَةٍ ولا حُرَّةَ ، فضربَتْ عنه صَفْحَا<sup>(٢)</sup> ، وقلتْ له قُبْحًا لِعْيَكَ وشُقْحَا<sup>(٣)</sup> ، فغارَ<sup>(٤)</sup> في الضحك وأَنْجَدَ<sup>(٥)</sup> ، ثم أَنْغَضَ<sup>(٦)</sup> رأسَه إلى وأنشدَ: [من الكامل]

يا من تَلَهَّبَ غَيْظُهُ إِذْ لَمْ أَبُخْ<sup>(٧)</sup>  
باسمي لَهْ ما هَكُذا مِنْ يُنْصِفُ  
إِنْ كَانَ لَا يُرْضِيكَ إِلَّا كَشْفُه  
فَأَصْنَعْ<sup>(٨)</sup> لَهْ أَنَا يُوسُفُ<sup>(٩)</sup> أَنَا يُوسُفُ  
وَلَقَدْ كَشَفْتُ لَكَ الْغَطَاءَ إِنْ تَكُنْ  
فَطِنَا عَرَفْتَ وَلَا إِخْالُكَ<sup>(١٠)</sup> تَعْرِفُ

قال: فَسَرَّيَ<sup>(١١)</sup> عَنْيِ بِشَعْرِهِ ، وَاسْتَبَى<sup>(١٢)</sup> لِبَيْ بِسَحْرِهِ حَتَّى  
شُدِّهَتُ<sup>(١٣)</sup> عَنِ التَّحْقِيقِ ، وَأَنْسَيْتَ قَصَّةَ يُوسَفَ الصِّدِيقَ ، وَلَمْ يَكُنْ لِي

(١) أي بكلمة حسنة ولا قبيحة.

(٢) أي أعرضت وملت عنه جانباً.

(٣) أي بعدها وقيل هو اتباع لقبحاً وهو من شقع البسر إذا تغيرت خضرته بحرمة أو صفرة وقيل من شقحت العود إذا كسرته وقبحاً وشقحاً بضم أولهما وفتحه.

(٤) أتي الغور وهو ما انخفض من الأرض.

(٥) أتي النجد وهو ما ارتفع من الأرض أي بالغ في الضحك حيث خفض رأسه مرة ورفعه أخرى.

(٦) حركه متتعجاً على سبيل الاستهزاء ومنه قوله تعالى: ﴿فَسَيُنْقَضُونَ إِلَيْكَ رُؤُسُهُمْ﴾ [الإسراء: ٥١]

(٧) لم أظهر.

(٨) استمع.

(٩) يعني أنا حر لا يجوز بيعي يشير به إلى بيع يوسف الصديق على نبينا وعليه الصلاة والسلام.

(١٠) أظن والقياس أخال بفتح الهمزة والكسر أفعى.

(١١) أي أذهب غيظي من سروت عنه الثوب إذا نزعه.

(١٢) أي ملك قلبي وأسره.

(١٣) تحرث.

هم إلا مساومةً مولاً فيه ، واستطلاع طلْع<sup>(١)</sup> الشمن لأوفيه ، و كنت أحسب أنه سينظر شرزاً<sup>(٢)</sup> إلى ، ويُغْنِي السَّيْمَةَ<sup>(٣)</sup> على ، فما حَلَّ<sup>(٤)</sup> إلى حيث حَلَّتْ ، ولا اعتلقَ بما به اعتلتْ ، بل قال: إن الغلام إذا نَزَرَ<sup>(٥)</sup> ثمنه ، وخفتَ مُؤْنَه<sup>(٦)</sup> ، تبرَّكَ به مولاً ، والتحفَ<sup>(٧)</sup> عليه هواء ، وإنني لأؤثر تحبيبَ هذا الغلام إليك ، بأن أخفَّ ثمنَه عليك ، فزنْ مئتي درهم إن شئت ، واشكر لي ما حييت ، فقدتُه المبلغ في الحال ، كما يُنْقَدُ في الرخيص الحال ، ولم يخطر لي ببال ، أن كل مرخصٍ غال . فلما تحققَت الصفة<sup>(٨)</sup> ، وحقَّت الفرقة ، هَمَّلَتْ<sup>(٩)</sup> عيناً الغلام ، ولا هُمول دفع الغمام<sup>(١٠)</sup> ، ثم أقبل على صاحبه وقال: [من الوافر]

لحاكَ<sup>(١١)</sup> اللهُ هل مثلي يباعُ  
لكيما تَشَبَّعَ الْكَرْشُ<sup>(١٢)</sup> الجياعُ  
أَكَلَفُ خُطَّةَ<sup>(١٤)</sup> لا تُسْتَطَاعُ  
وهل في شِرْعَة<sup>(١٣)</sup> الإنصاف أَنِي  
وأنْ أَبْلَى بِرَفْعٍ بَعْدَ رَفْعٍ  
ومثلي حينَ يُبَلَّى لَا يُرَاعُ

(١) القدر.

(٢) النظر بجانب العين مع أعراض أو غضب.

(٣) القيمة.

(٤) دار وحام من قولهم حلق الطائر إذا ارتفع في طيرانه أي لم يحم حول ما خطط بفكري.

(٥) نزر كرم نزاراً قل.

(٦) جمع مؤنة الشدة والثقل.

(٧) اشتتمل.

(٨) البيعة.

(٩) هملت كنصر وضرب هملاً وهملاناً وهمولاً عينه فاضت دموعاً.

(١٠) أي المطر.

(١١) قبحك ولعنك.

(١٢) بفتح الكاف وكسر الراء عيال الرجل من صغار ولده يقال جاء يجر كرشه أي عياله ج كراش وكروش.

(١٣) الطريقة إلى الماء ج شِرْع وشِرْع وشِرْع وشِرْع.

(١٤) الأمر ج خطط.

نصائح لم يُمازِجها خداع  
فُعْدُتُ وفي حبائلي السَّباع  
مطاوِعةً وكان بها امتناع  
وغمُّنٌ<sup>(٥)</sup> لم يكن لي فيه باع<sup>(٦)</sup>  
فيُكشَفَ في مُصارحتي القِناع  
على عَيْبٍ يُكتَمُ أو يُذَاعُ  
كما نَبَدَتْ بُرَايَتها<sup>(٨)</sup> الصَّناع<sup>(٩)</sup>  
وأن أُشْرِى كما يُشْرِى المَتَاع  
حديثَكَ يوم جَدَّ بنا الوداع  
سَكَاب<sup>(١٢)</sup> فَمَا يُعَارُ ولا يُبَاعُ  
طِبَاعُكَ فوقَها تلك الطِّبَاعُ

أَمَا جَرَبْتَني فَخَيَرْتَ مني  
وكم أَرْصَدْتَني شرِكًا لصِيدِ  
وُنْطَتْ بي المصاعب<sup>(١)</sup> فاستقادَتْ<sup>(٢)</sup>  
وأَيْ كريهة<sup>(٣)</sup> لم أُبَلِ<sup>(٤)</sup> فيها  
وما أَبْدَتْ لي الأَيَامُ جُرمًا  
ولم تَعْثُرْ<sup>(٧)</sup> بِحَمْدِ اللهِ مني  
فَأَئِي سَاعَ عَنْدَكَ نَبْذُ عَهْدِي  
ولِمْ سَمَحْتُ قَرْوُنَكَ<sup>(١٠)</sup> بِامْتَهانِي؟<sup>(١١)</sup>  
وهلَّا صَنَتْ عَرْضِي عَنِي صَوْنِي  
وَقَلَّتْ لِمَنْ يَسَاوِمُ فِي هَذَا  
فَمَا أَنَا دُونَ ذَاكَ الطِّرْفِ<sup>(١٢)</sup> لَكْنَ

(١) جمع مُضَعَّب وهو الفحل والمراد هنا الشدائد.

(٢) انقادت.

(٣) الحرب.

(٤) أُبْلِي في الحرب أُظْهِرَ فيها جَلَادَتِهِ.

(٥) الغنيمة.

(٦) المراد هنا البطش أو الحظ.

(٧) عَثْرَ كَنْصَرْ عَثْرًا وعَثْرَرًا على السُّرِّ وغَيْرِهِ اطْلَعَ عَلَيْهِ.

(٨) ما يلقى من الشيء الذي يصنع وما ينحت من الأديم والقلم عند بريه.

(٩) المرأة الحاذقة بالصنعة.

(١٠) نفسك.

(١١) أي ياذلالي وأصل المهنة الخدمة والمهن الخادم.

(١٢) مبني على الكسر اسم فرس لرجل من بنى تميم طلب منه بعض الملوك فمنعه إيه.

وأنشد: [من الوافر]

أَيَّتَ اللَّعْنَ إِنْ سَكَابَ عِلْقُ نَفِيسُ لَا يُعَارُ ولا يُبَاعُ

(١٣) الفرس الكريم ج طروف وأطراف يريد أنني لست أقل من ذلك الفرس الذي منعه صاحبه من طلب الملك لكن طبع صاحبه فوق طباعك حيث كان يؤثره على جميع عياله.

على أَنِّي سَأَنْشُدُ عِنْدَ بَيْعِي «(١) أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتَّى أَضَاعُوا» قال: فلما وَعَى الشِّيخُ أَبْيَاتَهُ ، وَعَقَلَ مَنَاغَاتَهُ<sup>(٢)</sup> ، تَنَفَّسَ الصُّعَداءُ ، وَبَكَى حَتَّى أَبْكَى الْبُعَداءَ ، ثُمَّ قَالَ لِي: إِنِّي أَحِلُّ هَذَا الْغَلامَ مَحْلًّا وَلَدِي ، وَلَا أَمِيزُهُ عَنْ أَفْلَادٍ<sup>(٣)</sup> ، كَبِدي ، وَلَوْلَا خُلُوُّ مَرَاحِي<sup>(٤)</sup> وَخُبُوُّ مَصْبَاحِي ، لَمَا دَرَجَ عَنْ عُشَّي<sup>(٥)</sup> ، إِلَى أَنْ يُشَيَّعَ نَعْشِي ، وَقَدْ رَأَيْتَ مَا نَزَلَ بِهِ مِنْ لَوْعَةِ الْبَيْنِ<sup>(٦)</sup> ، وَالْمُؤْمِنُ هَمِينٌ لَّيْنَ<sup>(٧)</sup> ، فَهَلَ لَكَ فِي تَسْلِيَةِ قَلْبِهِ ، وَتَسْرِيَةِ كَزْبِهِ ، بَأْنُ تُعاَهِدَنِي عَلَى الإِقَالَةِ فِيهِ مَتَى اسْتَقْلَتُ<sup>(٨)</sup> ، وَأَنْ لَا تَسْتَقْلَنِي إِذَا ثَقَلَتُ ، فَفِي الْآثَارِ الْمُتَنَقَّاةِ<sup>(٩)</sup> ، الْمَرْوِيَّةُ عَنِ الثَّقَاتِ ، مِنْ أَقَالَ نَادِمًا بَيْعَتَهُ ، أَقَالَهُ اللَّهُ عَثْرَتَهُ .

قال الحارث بن همام: فوعدته وعداً أَبْرَزَهُ الْحَيَاءُ ، وَفِي الْقَلْبِ أَشْيَاءُ ، فَاسْتَدَنَّى حِينَئِذٍ الْغَلامَ إِلَيْهِ ، وَقَبَّلَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَأَنْشَدَ وَالْدَّمْعُ يَرْفَضُ<sup>(١١)</sup> مِنْ جَفْنِيَّهُ: [من الجز]  
خَفْضٌ<sup>(١٢)</sup> - فَدَنْتَ النَّفْسُ - مَا تَلَاقَي من بُرَحَاءِ الْوَجْدِ وَالإِشْفَاقِ

(١) أي لم يعرفوا قدرى وهذا شطر بيت للعزجي وتمامه:  
أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتَّى أَضَاعُوا لِيَوْمَ كَرِيهَةٍ وَسَدَادَ ثَغْرٍ

(٢) الكلام وأصل المنااغة تكليم الطفل الصغير بما يسره ويعجبه كما تفعل الأمهات بأولادها.

(٣) جمع فلذة بالكسر وهي القطعة.

(٤) المنزل.

(٥) استعار به عن البيت أي ما خرج من بيتي.  
(٦) حرقة الفراق.

(٧) سهل الأخلاق.

(٨) الإزاله.

(٩) أي طلبت الإقالة وهي فسخ البيع.  
(١٠) المختاراة.

(١١) يتراشق ويتفرق.

(١٢) أي هوّن عليك.

فَمَا تَطْسُلُ مُدَّةُ الْفَرَاقِ      وَلَا تَنِي<sup>(١)</sup> رَكَابُ التَّلَاقِ  
بِحُسْنِ عَوْنِ الْقَادِرِ الْخَالِقِ

ثم قال له: استودعك منْ هو نِعْمَ المولى ، وشَمَرَ ذيلهُ وولَى . فلبث  
الغلامُ في زَفَيرٍ<sup>(٢)</sup> وغَوْيلٍ<sup>(٣)</sup> ، رَيْتَمَا يقطعُ مدَى ميل<sup>(٤)</sup> ، فلما  
استفاق<sup>(٥)</sup> ، وكفَفَ<sup>(٦)</sup> دمعَهُ المهراق<sup>(٧)</sup> ، قال: أتدري لم أَعْوَلْتُ<sup>(٨)</sup>?  
وعَلَامَ عَوْلَتُ<sup>(٩)</sup>? فقلت: أظُنُّ فراقَ مولاكَ ، هو الذي أبكاكَ ، فقال:  
إنك لفي وادٍ وأنا في وادٍ<sup>(١٠)</sup> ، ولكم بين مُرِيدٍ ومراد ، ثم أنسد:  
لم أبك - والله - على إلْفٍ<sup>(١١)</sup> نَزَحَ<sup>(١٢)</sup>      ولا على فَوتٍ نَعِيمٍ وَفَرَحَ<sup>(١٣)</sup>  
على غَبَّيٍ لحظَهُ حين طَمَحَ<sup>(١٤)</sup>      وإنما مدمعُ أَجفانِي سَفَحٌ<sup>(١٥)</sup>  
وَرَطَهُ<sup>(١٦)</sup> حتى تَعَنَّى<sup>(١٧)</sup> البيضُ الْوَاضِحُ<sup>(١٨)</sup>

(١) لا تفتر ولا تضعف من وني يبني.

(٢) إخراج النفس بشدة.

(٣) البكاء بصياح.

(٤) هو مدَّ البصر وقيل ثلاثة آلاف ذراع.  
(٥) أفق.

(٦) منع وغضِّ.

(٧) المنصب.

(٨) صحت بالبكاء.

(٩) عزمت واعتمدت.

(١٠) مثل يضرب في اختلاف المقاصد أي يبني وبينك بون بعيد.  
(١١) المحبوب ج آلاف.

(١٢) بُعد.

(١٣) سال.

(١٤) ارتفع بصره ونظر شديداً.

(١٥) أوقعه في ورطة وهي الهلكة وكل أمر تعسر النجاة منه.  
(١٦) تعب.

(١٧) أي الراهم.

(١٨) حلي من فضة والجمع أوضاح وفي الصلاح الوضع الدرهم الصحيح والوضع  
البياض.

ويكَ أَمَا ناجْتُكَ هاتِيكَ الْمَلَحُ<sup>(١)</sup> بِأَنْتِي حُرُّ وَبَيْعِي لَمْ يُؤْخِ  
إِذْ كَانَ فِي يُوسُفَ مَعْنَى قَدْ وَضَعَ

قال: فتَمَثَّلتُ<sup>(٢)</sup> مَقَالَهُ فِي مِزَاهَ الْمُدَاعِبِ<sup>(٣)</sup> ، وَمَعْرِضِ الْمُلَاعِبِ ،  
فَتَصْلَبَ تَصْلَبَ الْمُحْقِقِ ، وَتَبَرَّأَ مِنْ طِينَةِ الرَّقِ<sup>(٤)</sup> ، فَجَلَنَا فِي مَخَاصِمَةِ ،  
وَاتَّصلَتْ بِمَلَاكِمَةِ<sup>(٥)</sup> ، وَأَفْضَلَتْ<sup>(٦)</sup> إِلَى مَحاكِمَةِ<sup>(٧)</sup> . فَلَمَّا أَوْضَحْنَا لِلْقَاضِي  
الصُّورَةِ ، وَتَلَوْنَا عَلَيْهِ السُّورَةِ<sup>(٨)</sup> ، قَالَ: أَلَا إِنَّ مِنْ أَنْذَرَ ، فَقَدْ أَعْذَرَ<sup>(٩)</sup> ،  
وَمِنْ حَذَرَ ، كَمَنْ بَشَّرَ ، وَمِنْ بَصَرَ ، فَمَا قَصَرَ ، وَإِنْ فِيمَا شَرَحْتَهُ دَلِيلًا  
عَلَى أَنَّ هَذَا الْغَلامَ قَدْ نَبَهَكَ فَمَا ارْعَوْيَتِ<sup>(١٠)</sup> ، وَنَصَحَ لَكَ فَمَا  
وَعَيْتِ<sup>(١١)</sup> ، فَاسْتَرْتَ دَاءَ بَلَهْكَ وَاكْتَمَهُ ، وَلَمْ نَفْسَكَ وَلَا تَلْمَهُ ، وَحَذَارِ<sup>(١٢)</sup>  
مِنْ اعْتِلَاقِهِ<sup>(١٣)</sup> وَالظَّمَعِ فِي اسْتِرْقَاقِهِ ، فَإِنَّهُ حُرُّ الْأَدِيمِ<sup>(١٤)</sup> ، غَيْرُ مُعَرَّضِ  
لِلتَّقْوِيمِ<sup>(١٥)</sup> ، وَقَدْ كَانَ أَبُوهُ أَحْضَرَهُ أَمْسِ ، قَبْلِ أَفْوَلِ<sup>(١٦)</sup> الشَّمْسِ ،

(١) جَمْعُ مُلْحَةٍ وَهِيَ مِنَ الْأَحَادِيثِ مَا لَذَ وَاسْتَمْلَحَ مِنْهَا.

(٢) تَصْوِرَتْ.

(٣) الْمَمَازِحُ مِنَ الدُّعَابَةِ وَهِيَ الْمَزَاحُ.

(٤) أَيْ اسْتَنْكَفَ وَتَحَاشَى عَنْ كُونِهِ رَقِيقًا.

(٥) مِنَ الْلَّكْمَ وَهُوَ الضَّرْبُ بِجَمْعِ الْكَفِ.

(٦) وَصَلَتْ.

(٧) هِيَ الْذَهَابُ إِلَى الْحَامِكِ.

(٨) أَيْ الْوَاقِعَةُ.

(٩) صَارَ مَعْذُورًا.

(١٠) أَيْ فَمَا انتَهَتْ وَلَا انْكَفَفتْ.

(١١) أَيْ فَمَا أَدْرَكَتْ وَمَا التَّفَتْ لِنَصْيَحَتِهِ.

(١٢) مَبْنَى عَلَى الْكَسْرِ اسْمُ فَعْلٍ بِمَعْنَى احْذَرْ.

(١٣) أَيْ إِمسَاكَهُ.

(١٤) الْجَلَدُ وَالْمَوَادُ لَيْسَ بِهِ شَائِبَةُ رَقِ.

(١٥) أَيْ لِجَعْلِهِ ذَا قِيمَةِ كَالْمَبِيعَاتِ.

(١٦) الْغَرُوبُ.

واعترف بأنه فرعُه الذي أنشأه<sup>(١)</sup> ، وأن لا وارث له سواه.

فقلت للقاضي : أو تعرف أباه ، أخزاه الله ! فقال : وهل يجهل أبو زيد الذي جرّحه جبار<sup>(٢)</sup> ، وعند كل قاض له أخبار وإخبار ؟ فتحرّقتْ حينئذ وحوّقلتْ<sup>(٣)</sup> وأفقت ولكن حين فات الوقت ، وأيقنتُ أن لثامه كان شرك مكيدته ، وبيت قصيده<sup>(٤)</sup> ، فنكس<sup>(٥)</sup> طرفي ما لقيت ، وأاليتُ أن لا أعمال ملثماً ما بقيت ، ولم أزل أناًّا<sup>(٦)</sup> لخسر صفتني ، وافتضاحي بين رفقتي .

قال لي القاضي ، حين رأى امتعاضي<sup>(٧)</sup> ، وتبيّن حرج ارتماضي<sup>(٨)</sup> ، يا هذا ! ما ذهب من مالك ما عظاك<sup>(٩)</sup> ، ولا أجرم إلينك من أيقظك ، فاتّعظ بما نابك . وكانت أصحابك ما أصابك ، وتذكّر أبداً ما دهمك ، لتنقى الذكرى دراهمك ، وتخلّق بخلقٍ منْ ابْتُلِيَّ فَصَبَرَ ، وتَجَلَّتْ له العبر فأعتبر .

قال الحارث بن همام : فَوَدَعْتُه لابساً ثوبَ الْخَجَلِ والْحُزْنِ ، ساحباً

(١) يعني أنه ابنه الذي ولده.

(٢) الهدر في الحديث جرح العجماء جبار أي هدر لا قصاص فيه.

(٣) أي قلت لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(٤) بيت القصيدة مثل يضرب في النادر العزيز.

(٥) طأطأه من ذل.

(٦) أتوجع.

(٧) القلق والتحرق وقيل الغضب.

(٨) الاحتراق والمراد حرقة توجعي يقال رممت قدمه احترقت من الرمضاء وهي الحجارة التي اشتد عليها وقع الشمس فحميت وارتضى فلان كذا اشتد عليه غضبه.

(٩) هذا مثل يضرب ومعناه الذي ذهب من مالك يحذرك أن يذهب منك غيره فتوجعك وندامتك تدعوه إلى الحرصن عليه فيكون بقاوه لك عوضاً مما ذهب منك .

ذَلِيلَ الغَبْنِ وَالغَبْنِ<sup>(١)</sup> ، وَنُوِيتَ مَكَاشِفَةً أَبِي زِيدَ بِالْهَجْرِ ، وَمَصَارِمَتِهِ<sup>(٢)</sup>  
 يَدَ الدَّهْرِ<sup>(٣)</sup> ، فَجَعَلَتْ اتَّنَكُبُ<sup>(٤)</sup> عَنْ ذَرَاهِ<sup>(٥)</sup> ، وَأَتَجَبَتْ أَنْ أَرَاهُ ، إِلَى أَنْ  
 غَشِينِي<sup>(٦)</sup> فِي طَرِيقِ ضَيْقٍ ، فَحِيَانِي تَحْيَةً<sup>(٧)</sup> شَيْقٍ ، فَمَا زَدَتْ عَلَى أَنْ  
 عَبَسَتْ<sup>(٨)</sup> ، وَمَا نَبَسَتْ<sup>(٩)</sup> ، فَقَالَ : مَا بِالْكَ؟ شَمَخَتْ<sup>(٩)</sup> بِأَنْفُكَ عَلَى  
 إِلْفَكِ<sup>(١٠)</sup> ، فَقَلَتْ : أَنْسَيْتَ أَنَّكَ احْتَلَتْ وَخَتَلَتْ<sup>(١١)</sup> ، وَفَعَلْتَ فِعْلَتَكَ الَّتِي  
 فَعَلْتَ؟ فَأَضْرَطَ<sup>(١٢)</sup> بِي مُتَهَازِيَا<sup>(١٣)</sup> ، ثُمَّ أَنْشَدَ مُتَلَافِيَا<sup>(١٤)</sup> : [مِنْ مَجْزُوءِ  
 الْكَامِلِ]<sup>(١٥)</sup>

يَا مَنْ بَدَا مِنْهُ صُدُو د<sup>(١٥)</sup> مُوْحَشٌ وَتَجَهُّمٌ<sup>(١٦)</sup>

- (١) الأول باسكان الموحدة وهو البيع بأزيد من القيمة والثاني بفتحها وهو ضعف العقل.
- (٢) المقاطعة.
- (٣) أي مدة نعمة الدهر وهي الحياة إلى آخر العمر.
- (٤) أي أعدل وأبعد.
- (٥) منزله وبيته.
- (٦) لقيني وقابلني.
- (٧) سلام مشتاق شديد الحب.
- (٨) ما تكلمت وأكثر استعمال هذا اللفظ في النفي.
- (٩) شمخ كفتح شمخاً وشموخاً أنفه وبأنفه رفعه اعتزاً وتكبراً.
- (١٠) محبوك.
- (١١) خدعت بابه نصر وضرب.
- (١٢) أي سخر مني وأصله أن يضع الشخص ظهر يده على فمه وينفخ فيخرج صوت كصوت الضرطة.
- (١٣) الساخر.
- (١٤) متداركاً ما فات.
- (١٥) الإعراض.
- (١٦) تجهمه وتجهم له استقبله بوجه عبوس كريه.

وَغَدَا يَرِيشَ<sup>(١)</sup> مَلَاوِمَا  
وَيَقُولُ هَلْ حُرْزِيَا  
أَفْصِرْ<sup>(٤)</sup> فَمَا أَنَا فِيهِ بِذِ  
قَدْ بَاعَتِ الْأَسْبَاطُ<sup>(٥)</sup> قَبْلِي  
هَذَا وَأَقْسِمُ بِالْتَّالِي<sup>(٦)</sup>  
وَالظَّائِفِينَ بِهَا وَهُمْ  
مَا قَمَتُ ذَاكَ الْمَوْقَفَ إِلَى  
فَاعْذُرْ أَخَاكَ وَكُفَّ عَنْ  
ثُمَّ قَالَ: أَمَا مَعْذِرَتِي فَقَدْ لَاحَتْ ، وَأَمَا دَرَاهِمَكَ فَقَدْ طَاحَتْ<sup>(١٠)</sup> ،  
فَإِنْ كَانَ اقْشِعَارَكَ<sup>(١١)</sup> مَنِي ، وَازْوَارَكَ<sup>(١٢)</sup> عَنِي ، لَفِرْطَ شَفْقَتِكَ ، عَلَى  
غُبَرَ<sup>(١٣)</sup> نَفْقَتِكَ ، فَلَسْتُ مَمْنَنْ يَلْسَعَ<sup>(١٤)</sup> مَرْتَينَ ، وَيَوْطَئَ عَلَى جَمْرَتِينَ ،

(١) أصله وضع الريش على السهم وأراد أنه يهين له الكلام المؤلم.

(٢) جمع ملامة.

(٣) الأسود والمراد الفرس الأسود أو العبد الأسود.

(٤) كف عن اللوم.

(٥) كالقبائل وهم أولاد سيدنا يعقوب - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - سيدنا يوسف وإخوته.

(٦) أراد الكعبة شرفها الله.

(٧) الذاهب إلى تهامة.

(٨) جمع أشعث أي المغبر والمتبتد.

(٩) جمع ساهم ذايل الشفتين هزاً وقيل الساهم المتغير الوجه من وهج الشمس.

(١٠) ذهبت وفيت.

(١١) الانقباض.

(١٢) الميل.

(١٣) جمع غابر غير الشيء بقایاه.

(١٤) يلدغ وقيل اللسع للذوات الإبر واللدغ بالفم فالعقرب تلسع والحيثة تلدغ وهذا اقتباس من حديث مرفوع «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين».

وإن كنتَ طويتَ<sup>(١)</sup> كشحَكَ ، وأطعتَ شُحَكَ ، ل تستنقذَ ما عِلَقَ  
بأشراكِي ، فلتباكي على عقلِك البواكِي .

قال الحارث بن همام : فاضطَرْني بلفظهِ الحالب ، وسحرهِ الغالب ،  
إلى أن عُدْتُ له صفيَا ، وبه حَفِيَا<sup>(٢)</sup> ، ونبَذْتُ فعلَتَه ظِهْرِيَا<sup>(٣)</sup> ، وإن كانت  
شيئاً فريَا<sup>(٤)</sup><sup>(٥)</sup> .

\* \* \*

(١) أي أعرضت .

(٢) العطوف المبالغ في الإكرام .

(٣) أي خلف ظهري منسية وكسر الظاء من تغييرات النسب .

(٤) أي أمراً عظيماً .

(٥) شرح مقامات الحريري . ٣٧٠-٣٨٣ .

## عتابٌ وتأنيب

للقاضي الفاضل<sup>(١)</sup>

اتصل بالقاضي الفاضل أن أخاه عبد الكريم نال الأمير علم الدين بن النحاس بأذى وجفاء . فكتب إليه يؤتّبه<sup>(٢)</sup> :

سبب إصدار هذه المكاتبة إلى الأخ - أصلحه الله - إعلامه ما صحَّ عندي من الأحوال التي أخفاها والله مبديها في حق الأمير علم الدين ، وبالله أقسم لئن لم تداو ما جرحتَ وتستدرك<sup>(٣)</sup> ما فعلتَ ، وتمحُّ ما أثبتَ ، وتستأنف ضدَّ القبيح الذي كتبت به وشافهت<sup>(٤)</sup> ، وتعذر

(١) هو أبو علي عبد الرحيم البيساني العسقلاني (٥٩٦ - ٥٢٩ هـ) تعلم كتابة الدواوين في مصر ودخل ديوان قاضي الإسكندرية وامتاز ببنوغه ، فاشتغل في ديوان الظافر في القاهرة؛ وقامت الدولة الأيوبية فكان وزيراً لصلاح الدين ومدبر ملكه وصاحب سره ، وكذلك كان لولده ثم لأخيه حتى توفي .

القاضي الفاضل من أبطال الطريقة العميدية ومجددها - طريقة الصناعة والتتكلف والاسجاع والقوافي - وزاد عليها الإغراء في التورية والجناس وكان له التأثير في الكتابة في عصره وبعد عصره ما كان لعبد الحميد الكاتب وابن العميد لوظيفتهم ومنصبهم ولم تزل مؤثرة عند الأدباء حتى فقدت مكانتها بتأثير ابن خلدون ومقتضيات العصر الجديد على أنه لا تزال منها بقية . وهذه الرسالة البلغة على غير طريقته العادية .

(٢) يويغه .

(٣) تصلح ما فات .

(٤) خاطبت مواجهة .

بالجميل فيما قاطعت الله به وبارزت ، ليكونن الحديث مني بغير الكتب ، ولأزيلن السبب الذي قدرت به على مقدرة الأصحاب ، وما أشد معرفتي بأن الطياع لا تغير ، وبأنك ستحوجني بعد هذا الكتاب إلى ما لا يتأخر ، وبالجملة فاستدرك بفعلك لا بأيمانك لي وتنصلك<sup>(١)</sup> إلى : [من المنسوح] فالدم في النصل شاهد عجب

وويل لمن كانت غنيمتة من الأيام عقد القلوب على البغضاء ، وإطلاق الألسنة بالذم<sup>(٢)</sup> . ولو لا أنني شريك في كل ما تستوجهه من الناس لأنقيت حبك على غاربك<sup>(٣)</sup> ، وتركتك وما اخترت لنفسك ولكن : [من الخفيف]  
كيف بمن يرمي وليس برامي

لكنَّ سكوت الناس عن قبيحك مقابلة لجميل كثير مني ، فإذا أنت لا تنفق إلا من كيسى ، فأشفق على نفسك إن كنت تنظر في غد ، وعلى بيتك إن كنت تنظر في أمس ، وعلى مكانك مني إن كنت لا تنظر إلا في اليوم ، ولا تجاوبني إلا بلسان الرجل شاكراً لك فإنه وإن كان والله ما ذمك فقد ذممتك به عنه .

وما أظن أنك تذكر أنني كتبت إليك كتاباً ولا كنت أؤثره ، ولو لا حافر<sup>(٤)</sup> غيظ ما كتبته ، ولو لا علمي أن الكثير مما قيل عنك في أمر الرجل هو القليل مما فعلته لأضررت عن هذا كما أضررت عن غيره ، وستعرّفك الأيام ما كنت تجهل ، والله يأخذ بناصيتك إلى رضاه ، ويغمد سيف حليلتك عن مقتلك ، والسلام!<sup>(٥)</sup> .

\* \* \*

(١) تصل إلى فلان من الجناية أي خرج وتبرأ عنده منها .

(٢) جمع مذمة .

(٣) الكاهل أو ما بين الظهر أو السنام والعنق ، والغارب أعلى كل شيء ج غوارب .

(٤) الدافع .

(٥) كمال الدين بن العديم العقيلي في تذكرته .

## وصفُ مجالس ابن الجوزي<sup>(١)</sup>

لابن جبير الأندلسى<sup>(٢)</sup>

ثم شاهدنا صبيحة يوم السبت بعده مجلس الشيخ الفقيه الإمام الأول جمال الدين أبي الفضائل بن علي الجوزي بإزاء داره على الشط بالجانب الشرقي وفي آخره على اتصال من قصور الخليفة وبمقربة من باب البصلية آخر أبواب الجانب الشرقي ، وهو يجلس به كل يوم سبت ، فشاهدنا مجلس رجل ليس من عمرو ولا زيد ، وفي جوف الفرا كل الصيد<sup>(٣)</sup> آية الزمان ، وقرة عين الإيمان ، رئيس الحنبلية ، والمخصوص في العلوم

(١) مرت ترجمته في الجزء الأول.

(٢) هو محمد بن أحمد بن جبير الأندلسى (٥٤٠ - ٦٦٤هـ) سمع من أبيه بشاطبة ، ومن أبي عبد الله الأصيلي وأبي الحسن بن أبي العيش وأخذ عنه القراءات ، وعني بالأداب فبلغ الغاية فيها وتقدم في صناعة القرىض وصناعة الكتابة ونال بها دنيا عريضة ثم رفضها وزهد فيها ، وحدث بكتاب الشفاء عن أبي عبد الله محمد بن عيسى التميمي السبتي عن القاضي عياض وتوجه إلى الحج ودخل بغداد والشام وسمع بهما ، وقدم مصر فسمع منه الحافظان أبو محمد المنذري والحافظ أبو الحسين يحيى بن علي القرشي وصنف الرحلة المشهورة وذكر ما شاهده من عجائب البلدان وغرائب المشاهد وبدائع المصانع وهو كتاب مؤنس ممتع.

(٣) مقتبس من المثل السائر «كل الصيد في جوف الفرا» الفرا حمار الوحش . أصل المثل أن ثلاثة رجال خرجوا يصطادون ، فاصطاد أحدهم أربناً والأخر ظبياً والثالث حمار وحش . فاستبشر الأولان وتطاولا فقال الثالث: كل الصيد في جوف الفرا أي أنه أعظم الصيد فمن ظفر به أغناه عن كل صيد .

بالرتب العلية ، إمام الجماعة ، وفارس حلبة<sup>(١)</sup> هذه الصناعة ، والمشهور له بالسبق الكرم في البلاغة والبراعة ، مالك أزمة الكلام في النظم والنشر ، والغائص في بحر فكره على نفائس الدر ، فأما نظمه فرضيُّ الطياع ، مهياري الانطباع<sup>(٢)</sup> وأما نثره فيصدع سحر البيان ، ويعطل المثل بقسى وسحبان<sup>(٣)</sup> . ومن أبهر آياته وأكبر معجزاته أن يصعد المنبر ويبدئ القراء بالقرآن وعددهم نيف على العشرين قارئاً فيتنزع الاثنان منهم أو ثلاثة آية من القرآن يتلونها على نسق بتطريب وتشويق ، فإذا فرغوا تلت طائفة أخرى على عددهم آية ثانية . ولا يزالون يتناوبون آيات من سور مختلفات إلى أن يتكاملوا قراءة وقد أتوا بآيات مشتبهات لا يكاد المتقد الخاطر يحصلها عدداً أو يسميهها نسقاً . فإذا فرغوا أخذ هذا الإمام الغريب الشأن في إيراد خطبته عجلأً مبتدرأً ، وأفرغ في أصداف الأسماع من ألفاظه درراً ، وانتظم أوائل الآيات المقروءات في أثناء خطبته . فقرأ وأتى بها على نسق القراءة لها لا مقدماً ولا مؤخراً . ثم أكمل الخطبة على قافية آخر آية منها ، فلو أن أبدع منْ في مجلسه تكلف تسمية ما قرأ القراء به آية على الترتيب لعجز عن ذلك فكيف بمن يتنظمها مرتجلاً ويورد الخطبة الغراء بها عجلأً «أَفَسِحَرْ هَذَا أَمْ أَنْشَأَ لَأْنَبِرُونَ» [الطور : ١٥] . فحدث ولا حرج عن البحر ! وهياهات ليس الخبر عنه كالخبر<sup>(٤)</sup> . ثم أنه أتى بعد أن فرغ من خطبته برائقق من الوعظ وآيات بينات من الذكر طارت لها

(١) الحلبة بالتسكين خيل تجمع للسباق من كل أوب لا تخرج من اصطفل واحد.

(٢) لعله منسوب إلى الشريف الرضي صاحب نهج البلاغة ، ومهياري الانطباع

منسوب إلى أبي الحسين مهيار بن مرزويه الكاتب الفارسي الديلمي كان مجوسياً فأسلم ويقال إن إسلامه كان على يد الشريف الرضي وعليه تخرج في نظم الشعر وكان شاعراً جزل القول .

(٣) قس بن ساعدة الأيداري أسقف نجران ، وكان أحد حكماء العرب . وسحبان اسم رجل من وائل كان لسنا بليغاً يضرب به المثل في البيان .

(٤) كالخبر بالضم أي الاختبار بالمشاهدة .

القلوب اشتياقاً ، وذابت بها الأنفس احتراقاً ، إلى أن علا الضجيج ، وتردد بشهقاته النشيج ، وأعلن التائبون بالصياح ، وتساقطوا عليه تساقط الفراش<sup>(١)</sup> على المصباح . كل يلقي ناصيته بيده فيجزها ويمسح على رأسه داعياً له ، ومنهم من يغشى عليه فيرفع في الأذرع إليه فشاهدنا هولاً يملاً النفوس إنبأة وندامة ، ويدركها هول يوم القيمة ، فلو لم نركب ثيج<sup>(٢)</sup> البحر ، ونعتسف<sup>(٣)</sup> مفازات<sup>(٤)</sup> القفر ، إلا لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل وكانت الصفة الرابحة ، والوجهة المفلحة الناجحة . والحمد لله على أن من بلقاء من يشهد الجمادات بفضله ، ويضيق الوجود عن مثله . وفي أثناء مجلسه ذلك يتذرون المسائل وتطير إليه الرقاع فيجاوب أسرع من طرفة عين وربما كان أكثر مجلسه الرائق من نتائج تلك المسائل . والفضل بيد الله يؤتى من يشاء لا إله سواه .

ثم شاهدنا مجلساً ثانياً له بكرة يوم الخميس الحادي عشر لصفر بباب بدر في ساحة قصور الخليفة ومنظاره مشرفة عليه . وهذا الموضوع المذكور هو من حرم الخليفة ، وخاص بالوصول إليه والتكلم فيه ليس معه من تلك المناظر الخليفة ووالدته ومن حضر من الحرم ، ويفتح الباب للعامة فيدخلون إلى ذلك الموضوع وقد بسط بالحصر ، وجلوسه بهذا الموضوع كل يوم خميس . فبكرنا لمشاهدته بهذا المجلس المذكور ، وقعدنا إلى أن وصل هذا الحبر المتكلم ، فصعد المنبر وأرخى طيلسانه<sup>(٥)</sup> عن رأسه تواضعاً لحرمة المكان ، وقد تسطر القراء أمامه على كراسٍ موضوعة . فابتدرروا القراءة على الترتيب وشوقوا ما شاؤوا ، وأطربوا ما أرادوا

(١) الفراش جمع فراشاً طائر صغير يتهافت على السراج فيحترق .  
(٢) أي الوسط .

(٣) من الاعتساف وهو الركوب على الطريق من غير هداية ولا دراية .

(٤) جمع مفازة وهي الفلة .

(٥) كساء أخضر يلبسه الخواص من المشايخ والعلماء وهو من لباس العجم .

وبادرت العيون بإرسال الدموع . فلما فرغوا من القراءة وقد أحصينا لهم تسع آيات من سور مختلفات ، صدعا بخطبته الزهراء الغراء وأتى بأوائل الآيات ، في أثنائها منتظمات ، ومشى الخطبة على فقرة آخر آية منها في الترتيب إلى أن أكملها . وكانت الآية : ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْيَلَلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ . . . ﴾ [غافر: ٦١] فتمادى على هذا السين ، وحسن أي تحسين ، فكان يومه في ذلك أعجب من أمسه . ثم أخذ في الثناء على الخليفة والدعاء له ولوالدته ، وكني عنها بالستر الأشرف ، والجناح الأرأف ، ثم سلك سبيله في الوعظ . كل ذلك بديهة لا روية ، ويصل كلامه في ذلك بالآيات المقرؤات على النسق مرة أخرى فأرسلت وابلها العيون ، وأبدت الفوسس سر شوقها المكتون ، وتطارح الناس عليه بذنبهم معترفين ، وبالتالي معلنين ، وطاشت الألباب والعقول ، وكثير الوله<sup>(١)</sup> والذهول ، وصارت النفوس لا تملك تحصيلاً ، ولا تميز معقولاً ، ولا تجد للصبر سبيلاً .

ثم في أثناء مجلسه ينشد بأشعار من التسيب<sup>(٢)</sup> مبرحة التشويق ، بدبيعة الترقيق ، تشعل القلوب وجداً ، ويعود موضعها النسيبي زهداً ، وكان آخر ما أنسده من ذلك وقد أخذ المجلس مأخذة من الاحترام ، وأصابت المقاتل<sup>(٣)</sup> سهام ذلك الكلام : [من المسرح]

أين فؤادي أذابهُ الوجُدُّ      وأين قلبي فما صحا<sup>(٤)</sup> بعد  
يا سعد زدني جوئي بذكرهم      بالله! قل لي فُديت يا سعد

(١) الوله أي التحير من شدة الوجد .

(٢) التسيب وهو ذكر الشاعر المرأة بالحسن والإخبار عن تصرف هواها به ، وليس هو الغزل وإنما الغزل الاشتهر بمودات النساء والصبوة إليهن ، والنسيب ذكر ذلك والخبر عنه .

(٣) جمع مقتل وهو العضو الذي إذا أصيب لا يكاد صاحبه يسلم .

(٤) أفاق .

ولم يزل يرددّها والانفعال قد أثّر فيه ، والمدامع تكاد تمنع خروج الكلام من فيه ، إلى أن خاف الإفحام ، فابتدر القيام ، ونزل عن المنبر دهشاً عجلأً ، وقد أطار القلوب وجلاً ، وترك الناس على أحّر من الجمر ، يشيعونه بالمدامع الحمر ، فمن معلن بالانتخاب<sup>(١)</sup> ، ومن متعرّف في التراب ، فيا له من مشهد ما أهول مرآه ! وما أسعد من رآه ! نفعنا الله ببركته ، وجعلنا ممن فاز به بنصيب من رحمته بمنه وفضله !

وفي أول مجلسه أنسد قصيدةً نير القبس ، عراقي النفس ، في الخليفة أوله : [من الرجز]

في شغل من الغرام شاغل    ما هاجه البرق بسفح عاقل  
يقول فيه عند ذكر الخليفة :

يا كلماتِ اللهِ كوني عودةً    من العيونِ للإمامِ الكامل  
ففرغ من إنشاده وقد هزَّ المجلس طرباً. ثم أخذ في شأنه وتمادي في إيراد سحر بيانيه وما كانا نحسب أن متكلماً في الدنيا يعطي من ملكة النفوس والتلاعب بها ما أعطى هذا الرجل ! فسبحان من يخص بالكلام من يشاء من عباده لا إله غيره .

وشاهدنا بعد ذلك مجالس لسواء من وعاظ بغداد ومن يستغرب شأنه بالإضافة لما عهدهناه من متكلمي الغرب . وكنا قد شاهدنا بمكة والمدينة «شرفهما الله» مجالس من قد ذكرناه في هذا التقىيد ، فصغرت بالإضافة لمجلس هذا الرجل الفذ في نفوتنا قدرأً ، ولم تستطع لها ذكرأً ، وأين تقعان مما أريد وشتان بين اليزيدين<sup>(٢)</sup> ! وهيهات الفتيان كثير ، والمثل

(١) أي البكاء الشديد مع التنفس الشديد.

(٢) إيماء إلى قول الشاعر : [من الطويل]  
لشتان ما بين اليزيدين في الندى  
يزيد سليم والأغرّ بن حاتم

بمالك<sup>(١)</sup> يسير. ونزلنا بعده بمجلس يطيب سماعه ، ويروق استطلاعه . وحضرنا له مجلساً ثالثاً يوم السبت الثالث عشر لصفر بالموضع المذكور ، بإزاء داره على الشط الشرقي فأخذت معجزاته البيانية مأخذها فشاهدنا من أمره عجباً صعد بوعظه أنفاس الحاضرين سحباً ، وأسائل من أدمعهم وابلاً سكباً<sup>(٢)</sup> ، ثم جعل يردد في آخر مجلسه أبياتاً من النسيب شوقاً زهدياً وطرباً إلى أن غلبته الرقة فوثب من أعلى منبره والها مكتئباً ، وغادر الكل متندماً على نفسه متتحجاً ، لهfan ينادي يا حسرتا! واحربا!! . والنادبون يدورون بنحيبهم دور الراحا ، وكل منهم بعدُ من سكرته ماصحا<sup>(٣)</sup> .

\* \* \*

(١) هو مالك بن نويرة قتله سيدنا خالد بن الوليد (رضي الله عنه) وكان أخوه متمم شديد الحب له طويل الحزن عليه وكان الناس يعزونه ويذكرون له من قتل من فتیان العرب ويتأسى بهم فيقول: فتى ولا كمالك.

(٢) وابلاً سكباً أي المطر الشديد مع الهطلان الدائم.

(٣) رحلة ابن جبير ص ٢١٩ من طبعة جب - وص ١٥٩ من ط دار التحرير ١٣٨٨ هـ . م ١٩٦٨ /

## مهر المحبة والجنة

للعلامة ابن القيم<sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى

ثم فرض عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم ، فقال : « وَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ » [البقرة : ١٩٠]. ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة وكان محرماً ، ثم مأذونا به ، ثم مأموراً به لمن برأهم بالقتال ، ثم مأموراً به لجميع المشركين ؛ إما فرض عين على أحد القولين ، أو فرض كفاية على المشهور . والتحقيق أن جنس الجهاد فرض عين إما بالقلب وإما باللسان وإما بالمال وإما باليد ، فعلى كل مسلم أن يجاهد بنوع من هذه الأنواع . أما الجهاد بالنفس ففرض كفاية ، وأما الجهاد بالمال ففي وجوبه قولان وال الصحيح وجوبه لأن الأمر بالجهاد به وبالنفس في القرآن سواء ، كما قال تعالى : « أَنفِرُوا خَفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِإِمْوَالِكُمْ وَأَنْفِسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ » [التوبة : ٤١] . وعلق النجاة من النار به ومغفرة الذنب ودخول الجنة .

(١) أبو عبد الله محمد شمس الدين المعروف بابن قيم الجوزية كان آية من آيات الله في غزارة العلم والتنوع في الفضائل وحسن التأليف وكثرة العبادة . وكان من أجل تلاميذه الإمام ابن تيمية رحمه الله . له اليد الطولى في جميع العلوم الدينية ، وهو صاحب التصانيف الكثيرة كزاد المعاد ، وأعلام الموقعين ، ومدارج السالكين شرح منازل السائرين ، وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، وكتاب الروح ، وشفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليق ، وغيرها . تمتاز كتاباته بالإشراق الروحي والعدوبي والسلاسة . توفي في ٢٣ رجب سنة ٧٩١ هـ .

قال : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَذْلَكُهُ عَلَى بَحْرَةِ نُجِيَّكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ يَأْمُرُوكُمْ ذَلِكُمُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَنْكِنُونَ ۝ يَقْفَرُ لَكُمْ ذُنُوبُكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّتَ تَجْرِي مِنْ تَحْنَاهَا الْأَنْهَرُ وَسِكَنَ طَيْهَةً فِي جَنَّتٍ عَدِينٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ 』 [الصف : ١٠ - ١٢]. وأخبر أنهم إن فعلوا ذلك أعطاهم ما يحبون من النصر والفتح القريب . فقال : ﴿ وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا ۝ 』 [الصف : ١٣] أي ولكم خصلة أخرى تحبونها في الجهاد وهي نصر من الله وفتح قريب . وأخبر سبحانه أنه : ﴿ أَشَرَّئِي مِنْ أَمْوَالِكُمْ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ يَأْكُلُهُمُ الْجَنَّةُ ۝ 』 [التوبية : ١١١] وأغضضهم عليهما الجنة ، وإن هذا العقد والوعد قد أودعه أفضل كتبه المنزلة من السماء وهي التوراة والإنجيل والقرآن ، ثم أكد ذلك بإعلامهم أنه لا أحد أوفي بعهده منه تبارك وتعالى ، ثم أكد ذلك بأن أمرهم بأن يستبشروا ببيعهم الذي عاقدوه عليه ، ثم أعلمهم أن ذلك هو الفوز العظيم . فليتأمل العاقد مع ربه عقد هذا التابع ما أعظم حطره وأجله ! فإن الله عز وجل هو المشتري ، والثمن جنات النعيم والفوز برضاه والتتمتع برؤيته هناك . والذي جرى على يده هذا العقد أشرف رسالته وأكرمههم عليه من الملائكة والبشر ، وإن سلعة هذا شأنها لقد هيئت لأمير عظيم وخطيب جسيم : [من البسيط]

قَدْ هَيَّوْكَ لِأَمْرٍ لَوْ فَطِنْتَ لَهُ فَأَرْبَأْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَرْعَى مَعَ الْهَمَلِ

مهر المحبة والجنة بذل النفس والمال لمالكهما الذي اشتراهما من المؤمنين فما للجبان المعرض المُفْلِس وسوء هذه السلعة ، بالله ! ما هزلت فيستامها المفلسوں ، ولا كسدت فيبيعها بالنسبيۃ المعسرین . لقد أقيمت للعرض في سوق من يزيد فلم يرض ربه لها بشمن دون بذل النفوس ، فتأخر البطالون وقام المحبوون يتظرون أيهم يصلح أن يكون نفسه الثمن . فدارت السلعة بينهم ، ووقدت في يد أذلة على المؤمنين أعزه على الكافرين لما كثر المدعون للمحبة طولبوا بإقامة البينة على صحة الدعوى ، ولو يعطى الناس بدعواهم لادعى الخلي حرقة الشجي فتنوع

المدعون في الشهود فقيل لا تثبت هذه الدعوى إلا بينة: ﴿قُلْ إِنْ كُثُرْ تُجْبَوْنَ اللَّهَ فَاتَّمِعُونِي يُحِبِّبُكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]. فتأخر الخلق كلهم وثبت أتباع الرسول في أفعاله وأقواله وهديه وأخلاقه فطولبوا بعدهلة البينة ، وقيل لا تقبل العدالة إلا بتزكية: ﴿يُجَهَّدُونَ فِي سَيِّلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةً لَآئِمَّةً﴾ [المائدة: ٥٤] فتأخر أكثر المدعين للمحبة ، وقام المجاهدون. فقيل لهم: إن نفوس المحبين وأموالهم ليست لهم ، فسلموا ما وقع عليه العقد ، فإن الله اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، وعقد التباعي يوجب التسليم من الجانيين. فلما رأى التجار عظمة المشتري وقدر الثمن ، وجلالة قدر من جرى عقد التباعي على يديه ، ومقدار الكتاب الذي أثبت فيه هذا العقد ، عرفوا أن للسلعة قدرًا وشأنًا ليس لغيرها من السلع ، فرأوا من الخسران البين والغبن الفاحش أن يبيعوها بشمن بخس دراهم معدودة ، تذهب لذاتها وشهوتها ، وتبقى تبعتها وحسرتها ، فإنَّ فاعل ذلك معدود في جملة السفهاء فعقدوا مع المشتري بيعة الرضوان رضاء واختياراً من غير ثبوت خيار ، وقالوا: والله! لا نقيلك<sup>(١)</sup> ولا نستقيلك ، فلما تم العقد وسلموا المبيع قيل لهم: قد صارت أنفسكم وأموالكم لنا ، والآن فقد ردناها عليكم أوفر ما كانت وأضعاف أموالكم معها. ﴿وَلَا تَحْسَبَنَ الَّذِينَ قُتُلُوا فِي سَيِّلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءً عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ٦٩] لم نتبع منكم نفوسكم وأموالكم طلباً للربح عليكم بل ليظهر أثر الجود والكرم في قبول المعيب والإعطاء عليه أجل الأثمان ، ثم جمعنا لكم بين الثمن والمثمن. تأمل هنا قصة جابر رضي الله عنه وقد اشتري منه عليه بغيره ، ثم وفاه الثمن وزاده ورد عليه البعير ، وكان أبوه قد قُتل وهو مع النبي عليه في وقعة أحد فذكره بهذا الفعل حال أبيه مع الله وأخبره أن الله أحياه وكلمه كفاحا<sup>(٢)</sup> وقال:

(١) من الإقالة.

(٢) مواجهة.

يا عبدي ! تمن علىي . فسبحان من عظم جوده وكرمه أن يحيط به علم الخلائق ! فقد أعطى السلعة وأعطى الثمن ، ووفق لتمكيل العقد وقبل المبيع على عبيه ، وأعراض عليه أجل الأثمان ، واشتري عبده من نفسه بمائه وجمع له بين الثمن والمثمن ، وأثنى عليه ، ومدحه بهذا العقد ، وهو - سبحانه - الذي وفقه الله له وشاءه منه : [من الطويل]

فَحَيَّهَا إِنْ كُنْتَ ذَا هَمَةً فَقَدْ  
وَقُلْ لِمَنَادِي حَبَّهُمْ وَرَضَاهُمْ  
وَلَا تَنْظِرِ الْأَطْلَالَ<sup>(١)</sup> مِنْ دُونِهِمْ فَإِنْ  
وَلَا تَنْتَظِرْ بِالسِّيرِ رِفْقَةَ قَاعِدِ  
وَخُذْ مِنْهُمْ زَادًا إِلَيْهِمْ وَسِرْ عَلَى  
وَأَحْيِ بِذِكْرِاهُمْ شِرَاكَ إِذَا دَنَثَ  
وَإِمَّا تَخَافَنَ الْكَلَالَ<sup>(٢)</sup> فَقُلْ لَهَا  
وَخُذْ قَبَاسًا مِنْ نُورِهِمْ ثُمَّ سِرْ بِهِ  
وَحَيِّ عَلَى وَادِي الْأَرَاكِ فَقُلْ بِهِ  
وَإِلَّا فِي نَعْمَانَ عَنِي مُعَرَّفُ الـ  
وَإِلَّا فِي جَمْعِ بَلِيلِتِهِ فَإِنْ  
وَحَيِّ عَلَى جَنَاتِ عَدْنِ فَإِنَّهَا  
وَلَكِنْ سِيَاكَ الْكَاشِحُونَ لِأَجْلِ ذَا  
وَحَيِّ عَلَى يَوْمِ الْمَزِيدِ بِجَنَّةِ الـ  
فَدَعْهَا رُسُومًا دَارِسَاتِ فَمَا بِهَا

حَدَّا بَكَ حَادِي الشَّوَّقِ فَاطِّي الْمَراحلِ  
إِذَا مَا دَعَا لَبَيْكَ أَلْفًا كَوَامِلاً  
نَظَرَتِ إِلَى الْأَطْلَالِ عُذْنَ هَوَائِلَا  
وَدَعْهُ فَإِنَّ الشَّوَّقَ يَكْفِيكَ حَامِلاً  
طَرِيقَ الْهُدَى وَالْحُبُّ تَصْبِحُ وَاصِلاً  
رَكَابِكَ فَالذَّكْرِي تُعِيدُكَ عَامِلاً  
أَمَامِكَ وَرْدُ الْوَصْلِ فَابْغِي الْمَنَاهِلَا  
فَنُورُهُمْ يَهْدِيكَ لَيْسَ الْمَشَاعِلَا  
عَسَاكَ تَرَاهُمْ ثُمَّ إِنْ كُنْتَ قَائِلًا  
أَحَبَّةِ فَاطِلْبُهُمْ إِذَا كُنْتَ سَائِلًا  
تَفْتُ فَمْتَيْ يَا وَيْنَحْ مَنْ كَانَ غَافِلًا  
مَنَازِلُكَ الْأُولَى بِهَا كُنْتَ نَازِلًا  
وَقَفْتَ عَلَى الْأَطْلَالِ تَبَكِي الْمَنَازِلَا  
سُخُولِدِ فَجُدْ بِالنَّفْسِ إِنْ كُنْتَ باذْلًا  
مَقْبِلٌ<sup>(٣)</sup> وَجَاؤْهَا فَلِيَسْتُ مَنَازِلًا

(١) جمع طلل وهو ما شخص من آثار الدار.

(٢) التعب والإعياء.

(٣) من القيلولة أي موضع القيلولة.

قتيلٌ وكم فيها لذا الخلق قاتلا  
عليه سرى وفُد الأَحْبَةِ آهلا  
فعنَّ اللقا ذا الكُدُّ يُصْبِحُ زائلا  
ويُصْبِحُ ذو الأحزان فرحاً جاذلا<sup>(٢)</sup>

رسوماً عَفَتْ<sup>(١)</sup> يَنْتَابُهَا<sup>(٢)</sup> الْخُلُقُ كم بـها  
وَخُذْ يَمْنَةً عنـها على المنهـج الذي  
وَقُلْ سـاعـدي يا نـفـسـ بالصـبـرـ ساعـةـ  
فـماـ هـيـ إـلاـ ساعـةـ ثـمـ تـنـقـضـيـ

لقد حرك الداعي إلى الله وإلى دار السلام النفوس الأبية ، والهمـ  
العالية ، وأسمع منادي الإيمان من كانت له أذن واعية ، وأسمع الله من  
كان حـيـاـ فـهـزـهـ السـمـاعـ إـلـىـ مـنـازـلـ الـأـبـرـارـ ، وـحدـاـ بهـ فيـ طـرـيقـ سـيـرهـ ، فـماـ  
حـطـّـتـ بهـ رـحـالـهـ إـلـاـ بـدارـ الـقـرـارـ فـقـالـ «ـاـنـتـدـبـ<sup>(٤)</sup>ـ اللهـ لـمـنـ خـرـجـ فـيـ سـبـيلـهـ  
لـاـ يـخـرـجـهـ إـلـاـ إـيمـانـ بـيـ وـتـصـدـيقـ بـرـسـلـيـ أـنـ أـرـجـعـهـ بـمـاـ نـالـ مـنـ أـجـرـ أوـ غـنـيـمـةـ  
أـوـ أـدـخـلـهـ الجـنـةـ ، وـلـوـلـاـ أـشـقـ عـلـىـ أـمـتـيـ ماـ قـعـدـتـ خـلـفـ سـرـيـةـ وـلـوـدـدـتـ  
أـنـيـ أـقـتـلـ فـيـ سـبـيلـ اللهـ ثـمـ أـحـيـاـ ثـمـ أـقـتـلـ». وـقـالـ : «ـمـثـلـ  
المـجـاهـدـ فـيـ سـبـيلـ اللهـ كـمـثـلـ الصـائـمـ القـائـمـ القـانتـ بـآيـاتـ اللهـ لـاـ يـفـتـرـ مـنـ  
صـيـامـ وـلـاـ صـلـاـةـ حـتـىـ يـرـجـعـ المـجـاهـدـ فـيـ سـبـيلـ اللهـ ، وـتـوـكـلـ اللهـ لـلـمـجـاهـدـ  
فـيـ سـبـيلـهـ بـأـنـ يـتـوـفـأـ أـنـ يـدـخـلـهـ الجـنـةـ أـوـ يـرـجـعـهـ سـالـمـاـ مـعـ أـجـرـ أوـ غـنـيـمـةـ».  
وـقـالـ : «ـغـدوـةـ فـيـ سـبـيلـ اللهـ أـوـ رـوـحـةـ خـيـرـ مـنـ الدـنـيـاـ وـمـاـ فـيـهـاـ» ، وـقـالـ فـيـماـ  
يـرـوـيـ عـنـ رـبـهـ تـبـارـكـ وـتـعـالـىـ : «ـأـئـمـاـ عـبـدـ مـنـ عـبـادـ خـرـجـ مـجـاهـدـاـ فـيـ سـبـيلـيـ  
إـبـتـغـاءـ مـرـضـاتـيـ ضـمـنـتـ لـهـ أـنـ أـرـجـعـهـ بـمـاـ أـصـابـ مـنـ أـجـرـ أوـ غـنـيـمـةـ ، وـإـنـ  
قـبـضـتـهـ أـنـ أـغـفـرـ لـهـ وـأـرـحـمـهـ وـأـدـخـلـهـ الجـنـةـ<sup>(٥)</sup>ـ .

\* \* \*

(١) درست ومحـتـ.

(٢) يأتيها مـرـةـ بـعـدـ أـخـرـىـ .

(٣) فـرـحـاـ .

(٤) أـجـابـ .

(٥) زـادـ المـعـادـ ٧١ / ٣ - ٧٧ .

## آراء في التعليم

لابن خلدون<sup>(١)</sup>

### ١ - كثرة التأليف في العلوم عائقه عن التحصيل :

اعلم أنه مما أضر بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التأليف ، واختلاف الاصطلاحات في التعليم وتعدد طرقها ، ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك . وحيثئذ يسلم له منصب التحصيل ، فيحتاج المتعلم إلى حفظها كلها أو أكثرها ومراعاة طرقها ، ولا يفي عمره بما كُتب في صناعة واحدة إذا تجرد<sup>(٢)</sup> لها فيقع القصور - ولا بدّ - دون رتبة التحصيل .

وَتَمَثَّلَ ذلك من شأن الفقه في المذهب المالكي بكتاب المدونة مثلاً وما كتب عليها من الشروحات الفقهية مثل كتاب ابن يونس ، واللخمي ، وابن بشير ، والتنبيهات ، والمقدمات والبيان والتحصيل على العتبية . وكذلك كتاب ابن الحاجب وما كتب عليه ثم إنه يحتاج إلى تمييز الطريقة القيروانية<sup>(٣)</sup> من القرطبية<sup>(٤)</sup> والبغدادية والمصرية وطرق المتأخرین عنهم والإحاطة بذلك كله . وحيثئذ يسلم له منصب الفتيا ، وهي كلها متكررة

(١) تقدمت ترجمته في الجزء الأول.

(٢) أي تفرغ لها وجد فيها.

(٣) منسوبة إلى القيروان مدينة بناها عقبة ابن عامر الصحابي (رضي الله عنه).

(٤) منسوبة إلى قرطبة.

والمعنى واحد والمتعلم مطالب باستحضار جميعها وتمييز ما بينها ، والعمر ينقضي في واحد منها .

ولو اقتصر المعلمون بالمتعلمين على المسائل المذهبية فقط لكان الأمر دون ذلك بكثير وكان التعليم سهلاً وأخذه قريباً ، ولكنه داء لا يرتفع لاستقرار العوائد<sup>(١)</sup> عليه ، فصارت كالطبيعة التي لا يمكن نقلها ولا تحويلها .

ويمثل أيضاً علم العربية من كتاب سيبويه وجميع ما كتب عليه وطرق البصريين والковيين والبغداديين والأندلسيين ومن بعدهم وطرق المتقدمين والمتاخرين مثل ابن الحاجب وابن مالك وجميع ما كتب في ذلك . وكيف يطالب به المتعلم ، وينقضي عمره دونه ، ولا يطبع أحد في الغاية منه إلا في القليل النادر ، مثل ما وصل إلينا بالغرب لهذا العهد من تأليف رجل من أهل صناعة العربية من أهل مصر يعرف بابن هشام ظهر من كلامه فيها أنه استولى على غاية من ملكة تلك الصناعة لم تحصل إلا لسيبويه وابن جني وأهل طبقتهما لعظم ملكته ، وما أحاط به من أصول ذلك الفن وتفاصيله وحسن تصرفه فيه .

ودلَّ ذلك على أن الفضل ليس منحصراً في المتقدمين ، سيما مع ما قدمناه من كثرة الشواغب<sup>(٢)</sup> بتعدد المذاهب والطرق والتآليف . ولكن فضل الله يؤتيه من يشاء . وهذا نادر من نوادر الوجود وإلا فالظاهر أن المتعلم لو قطع عمره في هذا كله فلا يفي له بتحصيل علم العربية مثلاً الذي هو آلة من الآلات ووسيلة فكيف يكون في المقصود الذي هو الثمرة ولكن الله يهدي من يشاء .

(١) جمع عادة وتجمع أيضاً عادات وعاد وعيد ، والعوائد كأنه جمع عائدة وهي المنفعة .

(٢) جمع شاغبة وهي المهيجة والمؤدية إلى الشر .

## ٢ - كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم مخلة بالتعليم:

ذهب كثير من المتأخرین إلى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم يولعون<sup>(١)</sup> بها ويذونون منها برنامجاً مختصراً في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار في الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن ، وصار ذلك مخلاً بالبلاغة وعسيراً على الفهم . وربما عمدوا إلى الكتب الأمهات المطولة في الفنون للتفسير والبيان فاختصروها تقريباً للحفظ ، كما فعله ابن الحاجب في الفقه وأصول الفقه ، وابن مالك في العربية ، والخولنجي في المنطق وأمثالهم ؛ وهو فساد في التعليم وفيه إخلال بالتحصيل . وذلك لأن فيه تخليطاً على المبتدئ بالقاء الغايات من العلم عليه وهو لم يستعد لقبولها بعد . وهو من سوء التعليم كما سيأتي .

ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم بتبع الألفاظ الاختصار العويسقة<sup>(٢)</sup> للفهم بتزاحم المعاني عليها ، وصعوبة استخراج المسائل من بينها ، لأن الألفاظ المختصرات تجدها لأجل ذلك صعبة عويسقة فينقطع في فهمها خطٌ صالح من الوقت . ثم بعد ذلك كله فالملكة الحاصلة من التعليم في تلك المختصرات إذا تم على سداده ولم تعقبه آفة فهي ملكة قاصرة عن الملكات التي تحصل من الموضوعات البسيطة المطولة بكثرة ما يقع في تلك من التكرار والإطالة المفیدین لحصول الملكة التامة . وإذا اقتصر على التكرار قصرت الملكة لقلته كشأن هذه الموضوعات المختصرة فقصدوا إلى تسهيل الحفظ على المتعلمين فأركبوهم صعباً يقطعنهم عن تحصيل الملكات النافعة وتمكنها ، ومن يهدى الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١) أولع به أحبه وعلق به شديداً.

(٢) ما يصعب فهمها .

### ٣ - وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق إفادته:

اعلم أن تلقينَ العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدريج شيئاً فشيئاً وقليلأً قليلاً ، يلقي عليه أولاً مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ، ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال ، ويراعي في ذلك قوة عقله ، واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى يتنهى إلى آخر الفن ، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم إلا أنها جزئية وضعيفة ، وغايتها أنها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسائله .

ثم يرجع به إلى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها ويستوفي الشرح والبيان ويخرج عن الإجمال ويدرك له ما هنالك من الخلاف ووجهه إلى أن يتنهى إلى آخر الفن فتجود<sup>(١)</sup> ملكته . ثم يرجع به وقد شدا فلا يترك عويساً ولا مبهماً ولا مغلقاً إلا وضّحه وفتح له مقلده فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته . هذا وجه التعليم المفيد وهو كما رأيت إنما يحصل في ثلاث تكرارات وقد يحصل للبعض في أقل من ذلك بحسب ما يخلق له ويتيسر عليه .

وقد شاهدنا كثيراً من المعلمين لهذا العهد الذي أدركنا يجهلون طرق التعليم وإفادته ويحضرون المتعلم في أول تعليمه المسائل المقفلة من العلم ويطالبونه بإحضار ذهنه في حلها ويحسبون ذلك مراناً<sup>(٢)</sup> على التعليم وصواباً فيه ويكلفونه وعي ذلك وتحصيله ، ويخلطون عليه بما يلقون له من غaiات الفنون في مبادئها ، وقبل أن يستعد لفهمها فإن قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجياً ، ويكون المتعلم أول الأمر عاجزاً عن الفهم بالجملة إلا في الأقل وعلى سبيل التقريب والإجمال وبالأمثال الحسية . ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلاً قليلاً بمخالفة

(١) تصير جيدة.

(٢) التمرين .

مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه والانتقال فيها من التقرير إلى الاستيعاب الذي فوقه حتى تتم الملكة في الاستعداد ثم في التحصيل ويحيط هو بمسائل الفن . وإذا أقيمت عليه الغايات في البدايات وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعي وبعيد عن الاستعداد له كُلَّ ذهنه عنها وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه فتكتاسل عنه وانحرف عن قبوله وتمادي في هجرانه ، وإنما أتى ذلك من سوء التعليم .

ولا ينبغي للمعلم أن يزيد متعلمه على فهم كتابه الذي أكبَّ على التعلم منه بحسب طاقته وعلى نسبة قبوله للتعليم مبتدئاً كان أو متديناً ، ولا يخلط مسائل الكتاب بغيرها حتى يعيه من أوله إلى آخره ، ويحصل أغراضه ، ويستولي منه على ملكة بها ينفذ في غيره ، لأن المتعلم إذا حصل ملكة ما في علم من العلوم استعد بها لقبول ما بقي وحصل له نشاط في طلب المزيد والنھوض إلى ما فوق حتى يستولي على غايات العلم ، وإذا خلط عليه الأمر عجز عن الفهم وأدركه الكلال<sup>(١)</sup> وانطمس<sup>(٢)</sup> فكره ، ويس من التحصيل وهجر العلم والتعليم والله يهدي من يشاء .

وكذلك ينبغي لك أن لا تطوي على المتعلم في الفن الواحد بتفريق المجالس وتقطيع ما بينها لأنه ذريعة إلى النسيان وانقطاع مسائل الفن بعضها من بعض فيعسر حصول الملكة بتفريقها ، وإذا كانت أوائل العلم وأواخره حاضرة عند الفكرة مجانية للنسوان كانت الملكة أيسراً حصولاً وأحكماً ارتباطاً وأقرب صبغة لأن الملكات إنما تحصل بتتابع الفعل وتكرره وإذا تنوسي الفعل تنوسيت الملكة الناشئة عنه والله علّمكم ما لم تكونوا تعلموه ! .

ومن المذاهب الجميلة والطرق الواجبة في التعليم أن لا يخلط على

(١) أي التعب والإعياء .

(٢) أي انمحى واندرس (القاموس : طمس) .

المتعلم علماً معاً فإنه حيثُ قلَّ أن يظفر بوحدةٍ منها لـما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحدٍ منها إلى تفهم الآخر ، فيستغلان معاً ويستصعبان ويعودان منها بالخيالية ، وإذا تفرّغ الفكر لـتعلم ما هو بسبيله مقتضياً عليه فربما كان ذلك أجرأ بتحصيله والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب<sup>(١)</sup> .




---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤٧٢ - ٤٧٥ طبعة كتاب التحرير ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م  
و ٣/٢٤٨ - ٢٥٤ من طبعة باريس سنة ١٨٥٨ بتحقيق المستشرق الفرنسي أ. م. كاتر مير .

## تأثير البيئة والصناعة في الأدب

ل محمود بن محمد الجونفوري<sup>(١)</sup>

والارتباطات الخياليات بالأسباب الخارجية الاتفاقية من صناعة أو عرف عام ، فتتفاوت بالأمم وليس منضبطة انصباط الارتباط العقلي والوهمي بل كثيراً ما تقارن صورة في خيال أرباب صناعة خاصة أو أهل عرف لكون صناعتهم أو عرفهم جاماً بينهما ولا تقارنهما في خيال أصحاب صناعة أخرى أو أهل عرف عام آخر كالثوب يقارب الدين<sup>(٢)</sup> ،

(١) الشيخ الإمام العالم الكبير محمود بن محمد العمري الجونفوري أحد نوابع الهند ، لم يكن في زمانه مثله في العلوم الحكيمية والمعارف الأدبية. ولد بجونفور سنة ثلاط وتسعين وتسعين ، ونشأ في مهد جده شاه محمد ، وقرأ عليه الكتب الدراسية ثم لازم الشيخ الأستاذ محمد أفضل بن حمزة العثماني الجونفوري وأخذ عنه وأقبل على المنطق والحكمة إقبالاً كلياً حتى برع فيها وبرع أقرانه وله سبع عشرة سنة. وكان غاية في الذكاء والفطنة وسيلان الذهن وقوه الحفظ والإدراك. كان يحضر المجالس والمحافل في صغره فيتكلم وينظر ويفحى الكبار ويأتي بما يتحير منه أعيان البلدة في العلم. قال السيد غلام علي البلجريامي في سبحة المرجان: لا ريب أنه لم يظهر بالهند مثل فاروقين: أحدهما في الحقائق وهو مولانا الشيخ أحمد السرهدني رحمة الله ، والثاني في العلوم الحكيمية والأدبية وهو الملا محمود الجونفوري. وله مصنفات عديدة أشهرها: الشمس البازغة في الحكمة ، والفرائد شرح الفوائد؛ وهذا الفصل مأخوذ منه. وتوفي لتسع خلون من ربيع الأول سنة اثنين وستين ألف بمدينة جونفور.

(٢) الرائق العظيم لا يقدر إلا أن يحرف له ج دنان.

والعفص<sup>(١)</sup> في خيال الصباغ دون الخياط ، والتمر قد يقارن الجراد في خيال العرب دون الهند. فربما يجيء الوصل لوجود الجامع الخيالي بحسب صناعة المتكلم أو المخاطب أو عرفه فيتلقاء العارف بالقبول وإن وقف له الجاهل موقف النكير فلا يستنكر قوله تعالى : « أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ حُقِّتْ » [الغاشية: ١٧] ، إلا من يجهل أن الخطاب مع العرب وما في خيالهم إلا الإبل ، وأرض ترعاها ، وسماء تسقيهم وإياها ، وجبال هي معاقلهم<sup>(٢)</sup> عند شن الغارات. فإن العرب أعني أهل الوبر منهم لما لم يكونوا متدينين حتى تيسّر لهم التجارات التي إنما تريح وتروج في المدن والصناعات التي إنما تتعلم وتنتفع بها غالباً فيها ولا كانت أراضيهم جيدة الإنبات ، طيبة النبات ، غزيرة<sup>(٣)</sup> الحياض والأبار ، كثيرة العيون والأنهار حتى يتمكنوا من الزراعة والفلاحة لا جرم نيطت معيشتهم بالمواشي . ولما كانت الإبل أجلها منفعة وأقلها مؤنة عقدت بها هممهم فهي أول ما هو مركوز في ضمائيرهم مستحضر في خواطرهم . ثم لما كان بقاها والانتفاع بها لا يتحمل إلا بأن ترعى وتشرب كان جل مرمى غرضهم نزول المطر وأهم مسارح<sup>(٤)</sup> نظرهم السماء ثم لا ضطرارهم إلى التحصن لشن الغارات بينهم وشيوخ الواقعات فيهم إذ لم يكونوا متدينين في الجاهلية بشريعة تزجرهم عن المفسدة ، ولا منقادين لسياسة تحجز<sup>(٥)</sup> عن الفتنة كانت أعناق قلوبهم ممتدة إلى الجبال التي هي معاقلهم وحصونهم . وإذا تذر طول مكثهم بمواشيهم في منزل كان التنقل من أرض تمتعوا بمائها ومرعاها إلى أرض معشبة<sup>(٦)</sup> سواها من عزم الأمور

(١) دواء معروف يقال له بالفارسية مازو.

(٢) جمع معقل الملجأ.

(٣) كثيرة.

(٤) هي المواقع التي يجول فيها النظر.

(٥) تمنع.

(٦) كثيرة العشب.

عندهم. فلذلك أموروا في مقام الاستدلال بالأثر على المؤثر بالنظر في أقرب الصور حضوراً عندهم فالأقرب على الترتيب ، ولك أن تقول أقرب الصور عندهم هي الإبل . ثم لما كانت السماء والجبال والأرض مستحضرة عندهم بعدها انتقل إليها من أعلىها إلى أسفلها بالترتيب ، وإذا قد عرفت عدم انضباط الخيالات واختلافها باختلاف العادات مع ابتناء ما هو من معضلات<sup>(١)</sup> مباحث الفن يعني معرفة حسن الوصل وقبحه على معرفتها جداً علمت احتياج صاحب المعاني إلى بذل الجهد في التدرب<sup>(٢)</sup> فيها ، ولها في فن البلاغة منافع أخرى مهمة فإن التبحر في التشبيهات والاستعارات وغيرها من شعوب الكلام أيضاً مبني على معرفة الصور الخيالية ووضوحها وخفائها وتناسبها وتجانبها .

ولا بأس في أن ن ملي عليك من ملح الأخبار والأشعار ما يفيتك زيادة في الاستبصر:

يحكى أن صاحب سلاح ملك وصائغاً وصاحب بقرة ومعلم صبية<sup>(٣)</sup> انظمهم سلك طريق فركبوا مركب الجد ووصلوا سير النهار بسير الليل الأليل<sup>(٤)</sup> . فيينا هم في وحشة الظلام ومقاساة خوف الضلال والزلل آنسهم البدر بوجهه الكريم وأضاءات لهم أنواره كل مظلم بهيم<sup>(٥)</sup> ، فأفاض ، كل منهم في ثنائه وترشيح بأحلى ما في إنائه فشببه السلاхи بالترس المذهب يرفع عند الملك ، والصائع بالسيكة من الإبريز تفتر عن وجهها البوقة<sup>(٦)</sup> ، والبقاء بالجبن الأبيض يخرج من قالبه

(١) مشكلات.

(٢) أي التعود.

(٣) جمع صبي.

(٤) أي الطويل الشديد السود.

(٥) أي الأسود.

(٦) الوعاء الذي يذيب فيه الصائغ المعدن.

طرياً<sup>(١)</sup> والمعلم برغيف أحمر يصل إليه من بيت ذي مروءة.

ويحكى عن وراق يصف حاله: عيشي أضيق من محبرة<sup>(٢)</sup> ، وجسمي أدق من مسطرة<sup>(٣)</sup> ، وجاهي أرق من الزجاج ، وحظي أخفى من شق القلم ، ويدني أضعف من قصبة ، وطعامي أمر من العفص ، وشرابي أشد سواداً من البحر<sup>(٤)</sup>.

وسوء الحال ألزم بي من الصمغ ، وروى لحداد: [من البسيط]  
مطارق<sup>(٥)</sup> الشوق في قلبي لها أثر  
يطرقنَ سندانَ قلب حشوةٌ فَكَرَ  
ونارُ كير الهوى في القلب مضرمةٌ  
ومبرد<sup>(٦)</sup> الشوق لا يُقي ولا يَذْرُ

لتُنْفِي بها ناري وَيَهْدَا<sup>(٧)</sup> وساوسي  
وإجاص هجران وتربد آنس  
طرحت هوакم بين خمس مجالس<sup>(٨)</sup>

[من الطويل]

شربَتُ لكم في القلب متى شُرْبةً  
بعناب بين مع سبستان سلوة  
وَصَقَّيْتُهُ حتى إذا عمل الدوا

(١) غضاًلينا.

(٢) الدواة.

(٣) ما يسيطر به الكتاب.

(٤) المداد.

(٥) جمع مطرقة آلة معروفة للحدادين يضربون بها على السنдан ، السندان هو ما يطرق عليه الحديد.

(٦) آلة للحدادين يقال له بالفارسية سوهان.

(٧) يسكن.

(٨) قال صاحب الفرائد في حاشيته عليها يخاطب الأحبة ويخبرهم عن ذهب هوامه عن قلبه وتسليه عن حبهم فيقول: إني عالجت قلبي بدواء مسهل يسهل الأخلاط الرديئة والمواد الفاسدة من وساوس الهوى وهواجس الصبي فركب الدواء من العناب والسبستان والإجاص والتربيد فإن ذلك دواء معروف لتليين الطبيعة وإسهال المواد الرديئة من غير عنف ، وفسر العناب بالبين أي الفراق وأراد به بعد المسافة فأضاف العناب إلى البين إضافة بيان على نحو لجين الماء وذلك لأن البين يورث فتوراً في الحب وسلواً عن الحبيب ، وكذلك أضاف السبستان إلى السلوة =

وقال بعضهم بعد ما أنسد للأمير سيف الدولة في وصف قوس قرطش:

[من الطويل]

فقام وفي أجفانه سنة الغمض<sup>(١)</sup>  
فما بين منقضى علينا ومنفض  
على الجود كنا<sup>(٥)</sup> والحواشي على الأرض  
على أصفر في أخضر تحت مبيض  
صبغة والبعض أقصر من بعض<sup>(٨)</sup>  
كأذىال خود<sup>(٦)</sup> أقبلت في غلائل<sup>(٧)</sup>  
إن هذا من التشبيهات الملوكة التي لا يكاد يحضر مثلها للسوقة<sup>(٩)</sup>.

وساق صبيح المصبوح دعوته  
يطوف بكأسات العقار<sup>(٢)</sup> كأنجم  
وقد نشرت أيدي الجنوب<sup>(٣)</sup> مطارفا<sup>(٤)</sup>  
يطرزها قوس السحاب بأحمر  
كأذىال خود<sup>(٦)</sup> أقبلت في غلائل<sup>(٧)</sup>

=  
والإجاص إلى الهجران وأراد به قطع الألفة وترك الصحبة لا بعد المسافة حتى  
لا يلزم التكرار ، وأضاف التrepid إلى الآنس أي المصاحب الذي هو غيرهم يؤنسه  
ويتسلى بصحبته عنهم؛ ثم قال: لما عمل الدواء طرحت هوامن بين خمس  
مجالس كما يطرح الثقل والأخلاط بعد المسهل بين خمس مجالس في الخلاء أي  
خمس مرات.

(١) النوم.

(٢) الظلام.

(٣) بالفتح الريح التي تقابل الشمال.

(٤) جمع مطرف بكسر الميم وضمها رداء من خز ذو أعلام.

(٥) جمع أذىال من الدكنة وهو لون يضرب إلى السواد.

(٦) المرأة الشابة.

(٧) جمع غلالة شعار يلبس تحت الثوب.

(٨) يقول إن السافي لما كان في سنة الغمض وطاف بكأسات العقار في تلك الحالة  
لم يتمالك عن كأسات العقار المتلائمة كالأنجم فمنها ما كانت ساقطة من يده  
كالكوكب المنقضى من السماء مجتمعاً ومنها ما كانت متفرقة رشحاتها كالكوكب  
المتفرق نوره في الجو.

(٩) الرعية.

وبالجملة فإن تخالف الأنام في شجون<sup>(١)</sup> الكلام يبنتى غالباً على اختلاف الصور في خزائن خيالاتهم غيبة وحضوراً وخفاء وظهوراً وائلاماً واختلافاً لتباین مذاهبهم واختلاف مشاربهم.

ومن هنا ترى الشعراء من العرب العرباء قلماً يجاوزون ذكر النوق والجمال والأدوية والجبار والبطائح<sup>(٢)</sup> والرمال والدمن<sup>(٣)</sup> والأطلال<sup>(٤)</sup> ويلوح من أشعارهم آثار الجدب والجوع وحرش الضب واليربوع واستيطان المفازة والبواقي والاستئناس بالوحوش الصوادي<sup>(٥)</sup> لكن الله تعالى ليَن لهم الحديد وهون عليهم الشديد فترى كلامهم أسهل من الماء مع أنه أجزل من الصخرة الصماء وتخاله مع صعوبة أسلوبه ووعورة شعوبه أرق من دمع المستهeam<sup>(٦)</sup> وأروق من راح رفرق بماء الغمام.

وأما المولدون فلما نشّوا في الحضارة ونادموا أولي الإمار وذاقوا حلاوة العيشة وغطّفها وشاهدوا زهرة الدنيا وخرفها وشحوا عباراتهم بالجواهر والدرر وضمّخوا استعاراتهم بالمسك والعنبر وتفرجت في حدائق أشعارهم الأنوار والأزهار وتجثجت<sup>(٧)</sup> في رياض حوارهم العيون والأنهار وحسنت أبيات قصائدهم بالديباج واللوشي وزينت خرائد مقاصدهم بالحرير والحلبي ولذلك راحت بضاعتهم عند المتأخرین من الرواة والأدباء فأحلوها المقام العالي وربحت لدى المتظرفين من الولاة والأمراء فشروها بكل ثمن غالٍ وأما الناقد البصير الماهر النحرير فلا يغتر

(١) جمع شجن بالتحريك الغصن ومنه الحديث ذو شجون.

(٢) جمع بطحاء مسيل واسع فيه رمل ودقاق الحصى.

(٣) جمع دمنة وهي آثار الدار.

(٤) جمع طلَّ وهو الشاخص من الآثار.

(٥) جمع صادية من الصدى وهو العطش.

(٦) أي الهائم.

(٧) أي تسلسلت.

بزبر جهم ولا ينخدع ببهرجهم ولقد أنطق الله تعالى المتنبي بالحق حيث  
قال : [من البسيط]  
حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفي البداؤة حسن غير مجلوب<sup>(١)</sup>



## المَدِينَةُ الْغَرْبِيَّةُ

للسيد مصطفى لطفي المنفلوطي<sup>(١)</sup>

سأوَدَّع في هذه النظرة الخيال والشعر وأدع من يعلم أن الأمر أعظم شأناً وأجل خطرًا من أن يبعث فيه العابث بأمثال هذه الطرائف التي هي بالهزل أشبه منها بالجد. والتي إنما يلهمها الكاتب في مواطن فراغه ولعبه لا في مواطن جده وعمله.

إن في أيدينا معشر الكتاب من نفوس هذه الأمة وديعة يجب علينا تعهّدها ، والاحتفاظ بها ، والحدب<sup>(٢)</sup> عليها حتى نؤديها إلى أخلاقنا من بعدها كما أذأها إلينا أسلافنا سالمة غير مأروضة<sup>(٣)</sup>. ولا متأكلة<sup>(٤)</sup> ، فإن فعلنا فذاك وإنما فرحة الله على الصدق والوفاء ، وسلام على الكتاب الأمانة !

الأمة المصرية أمة مسلمة شرقية ، فيجب أن يبقى لها دينها وشرقيتها ما جرى نيلها في أرضها ، وذهبت أهرامها<sup>(٥)</sup> في سمائها ، حتى تبدل

(١) تقدمت ترجمته في الجزء الأول.

(٢) الحدب على الشيء التعطف عليه والعنابة به.

(٣) التي أكلتها الأرضة.

(٤) المنخورة.

(٥) جمع هرم وهو المخروط المضلعل الذي تكون قاعدته مثلثة أو مربعة أو كثيرة الأضلاع وهي مقابر الملوك المشهورة في مصر.

الأرض غير الأرض والسماءات . إن خطوة واحدة يخطوها المصري إلى الغرب تدني إليه أجله ، وتدنيه من مهوى<sup>(١)</sup> سحيق<sup>(٢)</sup> يقبر فيه قبراً لا حياة من بعده إلى يوم يبعثون .

لا يستطيع المصري - وهو ذلك الضعيف المستسلم - أن يكون من المدنية الغربية إن دانها إلا كالغربال<sup>(٣)</sup> من دقيق الخبز يمسك خشاره<sup>(٤)</sup> ، ويفلت لبابه ، أو الراووق<sup>(٥)</sup> من الخمر يحتفظ بقارنه ، ويستهين برحيقه ، فخير له أن يتتجنبها جهده ، وأن يفر منها فرار السليم من الأجرب<sup>(٦)</sup> .

يريد المصري أن يقلد الغربي في نشاطه وخفته ، فلا ينشط إلا في غدواته وروحاته وقعدته وقومته ، فإذا جد الجد وأراد نفسه على أن يعمل عملاً من الأعمال المحتاجة إلى قليل من الصبر والجلد<sup>(٧)</sup> دب الملل إلى نفسه دبيب الصهباء<sup>(٨)</sup> في الأعضاء ، والكري<sup>(٩)</sup> بين أهداب<sup>(١٠)</sup> الجفون .

يريد أن يقلد في رفاهيته ونعمته فلا يفهم منها إلا أن الأولى التأثر في الحركات والثانية الاختلاف إلى مواطن الفسق ومخابيء<sup>(١١)</sup> الفجور .

(١) ما بين الجبلين ونحو ذلك ج مهاو .

(٢) بعيد .

(٣) المنخل ج غرabil .

(٤) الرديء من كل شيء ، ما لا يلبيه من الشعير .

(٥) المصفاة .

(٦) من أصحابه الجرب .

(٧) الصبر والقوة .

(٨) الخمر .

(٩) النوم .

(١٠) جمع هدب وهو شعر أشعار العينين .

(١١) جمع مخبأ وهو موضع الاختباء .

يريد أن يقلّده في الوطنية فلا يأخذ منها إلا نعيقها<sup>(١)</sup> ونعيبيها ، وضجيجها<sup>(٢)</sup> وصفيرها ، فإذا قيل له : هذه المقدمات فأين النتائج ؟ أسلم رجليه إلى الرياح الأربع واستن<sup>(٣)</sup> في فراره استنان المهر<sup>(٤)</sup> الأرن<sup>(٥)</sup> فإذا سمع صفير الصافر مات وجلاً ، وإذا رأى غير شيء ظنه رجلاً .

يريد أن يقلّده في السياحة فلا يزال يتربّص بفصل الصيف ترقب الأرض الميتة فصل الربيع ، حتى إذا حان حينه طار إلى مدن أوربا طيران حمام الزاجل<sup>(٦)</sup> لا يبصر شيئاً مما حوله ، ولا يلوى على شيء مما وراءه ، حتى يقع على مجتمع اللهو ومكامن الفجور وملاعب القمار ، وهنا يبذل من عقله وماله ما يعود فقير الرأس والجيب ، لا يملك من الأول ما يقوده إلى طريق السفينة التي تحمله في أوبته ، ولا من الثاني أكثر الجعالة<sup>(٧)</sup> التي يجعلها<sup>(٨)</sup> منه صاحب الجريدة ليكتب له بين حوادث صحيفته حادثة عودته موشأة<sup>(٩)</sup> بحمل الإجلال والاحترام مطرزة<sup>(١٠)</sup> بوشائع<sup>(١١)</sup> الإكرام والإعظام .

يريد أن يقلّده في العلم فلا يعرف منه إلا كلمات يرددتها بين شدقية

(١) صوت الغراب وكذا النعيب .

(٢) الصياح .

(٣) استن الفرس في جريه أي غداً إقبالاً وإدباراً .

(٤) ولد الفرس ج مهار وأمهار ومهارة .

(٥) الشيط .

(٦) هو الذي يعودونه الطيران برسالة يعلقونها بعنقه إلى حيث عودوه أن يطير .

(٧) بتثليث الجيم أجر العامل .

(٨) أي يأخذها .

(٩) المُنْقَشَّةُ يقال وشى الثوب أي حسنه بالألوان ونممه ونقشه .

(١٠) المزينة بالخيوط الملونة والرسوم وما شاكلها .

(١١) جمع وشاح بضم الواو وكسرها شبه قلادة من نسيج عريض يرصع بالجوهر تشد المرأة بين عانقها وكشحها ويجمع أيضاً على وشح وأوشحة .

ترديداً لا يلجمأ فيه إلى ركن من العلم وثيق ، ولا يعتصم به من جهل شأنه .

يريد أن يقلّده في الإحسان والبَرِّ فيترك جيرانه وجاراته يطروون حنا الضلوع على أمعاء تلتهب فيها نار الجوع التهاباً حتى إذا سمع دعوة إلى اكتتاب في فاجعة نزلت في القطب الشمالي أو كارثة المَّتْ بسداً يأجوج وأماجوج سجّل اسمه في فاتحة الكتاب ، ورصد هبته في مستهل جريدة الحساب .

يريد أن يقلّده في تعليم المرأة وتربيتها فيقتنه من علمها مقالة تكتبه في جريدة أو خطبة تخطبها في محفل ، ومن تربيتها التفنن في الأزياء والمقدرة على استهواء النفوس ، واستلاب الألباب .

هذا شأنه في الفضائل الغربية يأخذها صورة مشوهة وقضية معكوسة ، لا يعرف لها مغزى ، ولا يتحي بها مقصدأ ، ولا يذهب فيها إلى مذهب فيكون مثله كمثل جهله المتدلين الذين يقلدون السلف الصالح في تطهير الثياب وقلوبهم ملأى بالأقدار والأكدار ويتجاوزونهم في أداء صور العبادات وإن كانوا لا ينتهون عن فحشاء ولا عن منكر ، أو كمثل الذين يتشبهون بعمر رضي الله عنه في ترقيع الثياب وإن كانوا أحقرص على الدنيا من صيارة اليهود .

أما شأنه في رذائلها فإنه أقدر الناس على أخذها كما هي فيتحر كما يتحر الغربي ويتحد كما يلحد ويستهتر في الفسوق استهتاره ويترسم في الفجور آثاره .

إن في المصريين عيوباً جمة ، في أخلاقهم وطبعهم ومذاهبهم وعاداتهم ، فإن كان لا بد لنا من الدعوة إلى إصلاحها فلندع إلى ذلك باسم المدنية الشرقية لا باسم المدنية الغربية .

إن دعواناهم إلى الحضارة فلنضرب لهم مثلاً بحضارة بغداد وقرطبة

وثيبة وفينيقيا ، لا بباريس ورومة وسويسرا<sup>(١)</sup> ونيويورك . وإن دعوناهم إلى مكرمة فُلَستَلُ عليهم آيات الكتب المُتَّزَلَة وأقوال أنبياء الشرق وحكماه ، لا آيات روسو وباكون ونيوتون وسبنسر<sup>(٢)</sup> . وإن دعوناهم إلى حرب ففي تاريخ خالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص وموسى بن نصير وصلاح الدين ما يغنينا عن تاريخ نابليون ولوتلجتون وواشنطن ونلسن وبيلوخر<sup>(٣)</sup> ، وفي وقائع القادسية وعمورية وإفريقية والحروب الصليبية

(١) Thebes مدينة قديمة في مصر ، كانت عاصمة الشمال ، يقال إن مدة حكمها بين ١٦٠٠ قبل الميلاد وبين ١١٠٠ قبل الميلاد ولا تزال آثارها وأطلالها موجودة على بعد ٣٠٠ ميل من القاهرة في الجهة الشمالية الشرقية.

- فينيقيا (Phoenicia) منطقة ممتدة من ساحل البحر إلى جبل لبنان ، نهض فيها الساميون في عام ١٥٠٠ ق.م ودام حكمهم إلى ٧٥٠ ق.م ، وكانت منطقة مشهورة في الحرف والصناعات.

- سويسرا (Suisse) جمهورية اتحادية واقعة في أوروبا الوسطى ، عاصمتها برن ، تتكلم أربع لغات: الفرنسية ، الألمانية ، الإيطالية ، الرومانشية.

(٢) روسو (Rousseau) (١٧١٢ - ١٧٧٨م) فيلسوف فرنسي وكاتب ، نال كتابه: Social Contract (Social Contract) قسطاً أوفر من الشهرة والقبول بالنسبة إلى أعماله الأدبية الأخرى ، فقد كان هذا الكتاب هو الدافع الأكبر وراء الحركات الثورية في أوروبا.

- باكون (Roger Bacon) (١٢١٤ - ١٢٩٤م) راهب فرنسي حبس في السجن بتهمة السحر لعدة سنوات ، ودعا بدعوة البحث عن الحق والحرية في العلوم ، واخترع أشياء ، منها المجهرة ، والمضخة الهوائية ، وكتب مقالات في العلوم الطبيعية.

- نيوتن (Sir Isaac Newton) (1642 - 1727م) فيلسوف إنجليزي ، اكتشف جاذبية الأرض لأول مرة.

- سبنسر (Herbert Spencer) (1820 - 1903م) فيلسوف إنجليزي له مؤلفات ومقالات في علم الحياة ، وعلم الأخلاق ، وعلم الاجتماع ، وعلم النفس . أهم مؤلفاته: (Synthetic Philosophy) الذي قدم فيه فلسفة جديدة على أساس الربط والجمع بين نظريات مختلفة تسمى «فلسفة النفعية» (Utilitarianism).

(٣) - نابليون (Napoleon) (1769 - 1824) قائد فرنسي معروف ، احتلَّ عرش =

ما يغنينا عن وقائع واترلو وترافلغار وأوستر ليتز والسبعين<sup>(١)</sup>.

إن عاراً على التاريخ المصري أن يعرف المسلم الشرقي في مصر من تاريخ بونابارت ما لا يعرف من تاريخ عمرو بن العاص ، ويحفظ من تاريخ الجمهورية الفرنسية ما لا يحفظ من تاريخ الرسالة المحمدية ، ومن مبادئ ديكارت وأبحاث داروين<sup>(٢)</sup>. مالا يحفظ من حكم الغزالي

فرنسا وفتح أكثر البلدان الأوروبية ، حتى لاقى هزيمة نكراء في «واترلو» = (Waterloo) وتخلّى عن عرش الحكم.

- ولنجلتون (Wellington) (١٧٦٩ - ١٨٥٢م) قائد إنجليزي معروف ، والفضل في شهرته يعود إلى كسره لـ«نابليون» وحبسه له.

- واشنطن (George Washington) (١٧٣٢ - ١٧٩٩م) مؤسس الولايات المتحدة الأمريكية ورئيسها الأول ، خاض حرباً لتحرير أمريكا من ربيبة الاستعمار البريطاني.

- نلسن (Horatio Nelson) (١٧٥٨ - ١٨٠٥م) أمير البحر البريطاني ، إنه هزم القوة البحرية المتحدة لفرنسا وإسبانيا في معركة «ترافلغار» (Trafalgar) (وأصله «طرف الغار») في ٢٧ أكتوبر عام ١٨٠٥م ، ولكنه جرح في نفس المعركة ومات.

- بلوخ (Bluicher) قائد روسي ، دحر حملة نابليون على روسيا في عام ١٨١٥م ، وردها على أعقابها.

(١) - أوسترليتز (Austerlitz) مدينة في «تشيكو سلوفاكيا» حيث هزم «نابليون» القوات المتحدة لكل من روسيا والنمسا.

- «السبعين» (Seven Years) عنوان حرب دارت بين إمبراطور روسيا «فريدرick» (Fredrick The Great) و«ماريا تريزا» (Maria Theresa) ملكة النمسا ، سبع سنين ، وذلك من سنة ١٧٥٦م إلى سنة ١٧٦٣م ، واكتوت بنارها الدول الأوروبية كلها ، وكانت صدمة عنيفة لسياسة المستعمرات للحكومة الفرنسية واشتلت قبضة الحكم الإنجليزي على أمريكا الشمالية والهند.

(٢) - «بونابارت» هو «نابليون» نفسه ، وقد تقدّم ذكره.

- «ديكارت» (Rene Descartes) مؤسس فلسفة جديدة جعل التشكيك أساسها ، كما أنه وضع نظرية (Algebraic Geometry).

- «داروين» (Charles Robert Darwin) (١٨٠٩ - ١٨٨٢م) عالم بريطاني =

وأبحاث ابن رشد ، ويروي من الشعر لشكسبير وهو جو<sup>(١)</sup> ما لا يروي للمنتبي والمعرّي .

لا مانع من أن يعرب لنا المعربون المفید النافع من مؤلفات علماء الغرب والجيد الممتع من أدب كتابهم وشعراً لهم على أن ننظر فيه نظر الباحث المنتقد لا الضعيف المستسلم ، فلا نأخذ كل قضية علمية مسلمة ولا نطرد لكل معنى أدبي طرفاً متهوراً ، ولا مانع من أن ينقل إلينا الناقلون شيئاً من عادات الغربيين ومصطلحاتهم في مدنتهم على أن ننظر إليه نظر مَنْ يريد التبسيط في العلم والتَّوسيع في التجربة والاختبار ، لا على أن نقللها ونتحلّها ونتخاذلها قاعديتنا في استحسان ما نستحسن من شؤوننا واستهجان ما نستهجن من عادتنا .

وبعد : فليعلم كُتَّابُ هذه الأمة وقادتها أنه ليس في عادات الغربيين وأخلاقهم الشخصية الخاصة بهم ما نحسدهم عليه كثيراً ، فلا يخدعوا أمتهم عن نفسها ولا يفسدوا عليها دينها وشرقيتها . ولا يزيّنوا لها تلك المدنية تزييناً يرزّوها في استقلالها النفسي ، بعد ما رزّأتها السياسة في استقلالها الشخصي<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

= شهير في علم الأحياء وهو صاحب نظرية «النشوء والارتقاء» المشهورة .

(١) - «شكسبير» (William Shakespeare) (١٥٦٤ - ١٦٢٦م) شاعر إنجليزي وكاتب مسرحي شهير ، وكان يمارس التمثيل أيضاً ، له مسرحيات تُعدُّ من روائع الأدب الإنجليزي ومفاخره .

- «هوجو» (Victor-Marie Hugo) (١٨٠٢ - ١٨٨٥م) شاعر فرنسي وروائي ، بدأ الكتابة وهو في الرابعة عشرة من عمره ، وأنتج عدداً صخماً من المسرحيات والقصص والمقالات والدواين .

(٢) النظارات (١٠٨ - ١٠٥).

## وحيُ الهِجْرَة

للسيد مصطفى صادق الرافعي<sup>(١)</sup>

نشأ النبي ﷺ في مكة ، واستتبّأه على رأس الأربعين من سنه ، وغُبر<sup>(٢)</sup> ثلث عشرة سنة يدعوا إلى الله قبل أن يهاجر إلى المدينة ، فلم يكن في الإسلام أول بدأته إلا رجل وامرأة وغلام ، أما الرجل فهو ﷺ ، وأما المرأة فزوجه خديجة ، وأما الغلام فعليّ ابن عمّه أبي طالب .

ثم كان أول النمو في الإسلام بحرّ وعبد! أما الحر فأبو بكر ، وأما العبد فبلال . ثم اتسق<sup>(٣)</sup> النمو قليلاً ببطء الهموم في سيرها ، وصبر

(١) السيد مصطفى صادق الرافعي أديب راسخ لا يزال ولا ينحرف ، وصيّر في حاذق . كان كلماته دنانير مصقوله ، يلفظ الدر وينفتح السحر وإذا حكى حادثة قديمة أو بني على أساس رواية تاريخية أو جملة فكأنما ردّ التاريخ على أعقابه ، وإذا قلد ابن المقفع أو تنكر به فكأنما أبرز نسخة خطية لكتاب «كليلة ودمنة» وناهيك بما قال الأمير شكيب أرسلان ما معناه أن العربية لم تنجب مثله من عدة قرون ، إلا أنه قد يغلو في التقلصف في الأدب ويُعَدُّ . توفي في العاشر من مايو سنة ١٩٣٧ م. له إعجاز القرآن ، ووحي القلم مجموع مقالات له ، ورسائل أدبية عديدة .

(٢) مكث بابه نصر .

(٣) انتظم .

الحر في تجلّده ، وكأن التاريخ واقف لا يتزحزح<sup>(١)</sup> ضيق لا يتسع ، جامد لا ينمو ! وكأن النبي ﷺ أخو الشمس يطلع كلاهما وحده كل يوم ، حتى إذا كانت الهجرة من بعد فانتقل الرسول إلى المدينة ، بدأت الدنيا تتقلّقل<sup>(٢)</sup> كأنما متر بقدمه على مركزها فحرّكها ، وكانت خطواته في هجرته تخطّي الأرض ، ومعانيها تخطّي التاريخ ، وكانت المسافة بين مكة والمدينة ، ومعناها بين المشرق والمغرب .

لقد كان في مكة يعرض الإسلام على العرب كما يعرض الذهب على المتوحشين يرونـه بريقاً وشعاعاً ثم لا قيمة له . وما بهم حاجة إليه وهو حاجة بني آدم إلا المتوحشين وكانوا في المعاداة<sup>(٣)</sup> والمخالفة الحمقاء . والبلوغ بدعوته مبلغ الأوهام والأساطير ، كما يكون المرض بذات صدره مع الذي يدعوه في ليلة قارّة<sup>(٤)</sup> إلى مداواة جسمه بأشعة الكواكب ، وكانت مكة هذه صخراً جغرافياً يتحطم<sup>(٥)</sup> ولا يلين . وكأنّ الشيطان نفسه وضع هذا الصخر في مجرى الزمن ليصدّ به التاريخ الإسلامي عن الدنيا وأهلها .

وأوذى رسول الله ﷺ وكذب وأهين ، ورجف به الوادي يخطو فيه على زلزال تقلب ، نابذه<sup>(٦)</sup> قومه ، وتذامروا<sup>(٧)</sup> فيه ، وحضر بعضهم بعضاً عليه ، وانصفق<sup>(٨)</sup> عنه عامة الناس ، وتركوه إلا من حفظ الله منهم . فأُصيب كبيراً باليتم من قومه ، كما أُصيب صغيراً باليتم من أبويه . وكان

(١) لا ينتهي .

(٢) تتحرّك .

(٣) المعاداة .

(٤) الباردة .

(٥) ينكسر .

(٦) خالقه وفارقـه عن عداوة .

(٧) تحاضوا على القتال .

(٨) انصرف وارتـد وردع .

لا يسمع بقادم يقدمُ من العرب له اسم وشرف إلاّ تصدى<sup>(١)</sup> له . فدعاه إلى الله وعرض نفسه عليه ، ومع ذلك بقيت الدعوة تلوح وتختفي كما يشق البرق من سحابة على السماء : ليس إلاّ أن يرى ثم لا شيء بعد أن يرى .

فهذا تاريخ ما قبل الهجرة في جملة معناه ، غير أنني لم أقرأه تاريخاً ، بل قرأت فيه فصلاً رائعاً من حكمة إلهية . وضعه الله كالمقدمة لتاريخ الإسلام في الأرض ، مقدمة من الحوادث والأيام تحيا وتمر في نسق الرواية الإلهية المنطوية على رموزها وأسرارها ، وتظهر فيها رحمة الله تعلم بقسوة ، وحكمة الله تتجلّى في غموض . فلو أنت حققت النظر لرأيت تاريخ الإسلام يتأنّه في هذه الحقبة<sup>(٢)</sup> ، بحيث لا تقرأ النفس المؤمنة إلا خاشعة كأنّها تصلي ، ولا تتدبره إلا خاضعة كأنّها تتعبد .

بدأ الإسلام في رجل وامرأة وغلام ثم زاد حراً وعبدًا ، أليست هذه الخمس هي كل أطوار البشرية في وجودها ، مخلوقة في الإنسانية والطبيعة ومصنوعة في السياسة والمجتمع؟ فههنا مطلع القصيدة ، وأول الرمز في شعر التاريخ .

ولبث النبي ﷺ ثلاث عشرة سنة لا يبغيه قومه إلا شرّاً على أنه دائم<sup>(٣)</sup> يطلب ثم لا يجد ، ويعرض ثم لا يقبل منه ، ويُخْفَق<sup>(٤)</sup> ثم لا يعتريه اليأس ، ويجهد ثم لا يتخونه<sup>(٥)</sup> الملل ، ويستمر ماضياً لا يتحرف<sup>(٦)</sup> ، ومتزماً لا يتحوال . أليس هذه هي أسمى معاني التربية الإنسانية أظهرها الله كلها في نبيه فعمل بها وثبت عليها؟ وكانت ثلاث عشرة سنة في هذا

(١) تعرض له .

(٢) المدة من الوقت ج حقب وحقوب .

(٣) المجتهد في العمل .

(٤) أخفق الرجل طلب حاجة فلم يدركها .

(٥) لا يتنقصه .

(٦) لا ينحرف .

المعنى كعمر طفل ولد ونثأ وأحكام تهذيبه بالحوادث حتى تسلمه<sup>(١)</sup> الرجولة الكاملة بمعانيها من الطفولة الكاملة بوسائلها.

أليس هذا فضلاً فلسفياً دقيقاً يعلم المسلمين كيف يجب أن ينشأ المسلم غناه في قلبه ، وقوته في إيمانه ، وموضعه في الحياة موضع النافع قبل المنتفع ، والمصلح قبل المقلد ، وفي نفسه من قوة الحياة ما يموت به في هذه النفس أكثر ما في الأرض والناس من شهوات ومتام؟

ثم أليست تلك العوامل الأخلاقية هي هي التي أقيمت في منع التاريخ الإسلامي ليعتَـ<sup>(٢)</sup> منها تياره<sup>(٣)</sup> ، فتدفعه في مجراه بين الأمم ، وتجعل من أخص الخصائص الإسلامية في هذه الدنيا - الثبات على الخطوة المتقدمة وإن لم تقدم ، وعلى الحق وإن لم يتحقق ، والتبرؤ من الأثرة<sup>(٤)</sup> وإن شَـحَـتْ عليها النفس ، واحتقار الضعف وإن حكم وسلط ، ومقاومة الباطل وإن ساد وغلب ، وحمل الناس على محض الخير وإن ردوا بالشر ، والعمل للعمل وإن لم يأت بشيء ، والواجب للواجب وإن لم يكن فيه كبير فائدة ، وبقاء الرجل رجلاً وإن حطمه كل ما حوله؟

ثم هي هي البرهانات القائمة للدهر قيام المنارة في الساحل - على نبوة محمد ﷺ - ثبتت ببرهان الفلسفة وعلوم النفس أنه روح ، وغاياتها المحتملة بالقدر لا جسم ، ووسائله المتغلبة بالطبيعة ، ولو كان رجلاً ابتعثته نفسه ، لتمخل<sup>(٥)</sup> الحيل لسياسته ، ولاحدث طمعاً من كل مطعم ولركد مع الحوادث وهبّ ، ولما استمر طوال هذه المدة لا يتوجه وهو فرد إلا اتجاه الإنسانية كلها كأنما هو هي .

(١) قبضته.

(٢) عب البحر عبابة كثر موجه وارتفع بابه نصر.

(٣) موج البحر الهائج.

(٤) اختصاص المرء نفسه بأحسن الشيء دون غيره.

(٥) احتال في الطلب.

ولو هو كان رجل الملك أو رجل السياسة لاستقام والتوى<sup>(١)</sup> ولأدرك ما يبتغي في سنوات قليلة ولأوجد الحوادث يتعلق عليها ، ولما أفلت<sup>(٢)</sup> ما كان موجوداً منه يتعلق به ، ولما انتزع نفسه من محله في قومه وكان واسطة فيهم ، ولا ترك عوامل الزمن تبعده وهي كانت تُدْنِيهِ .

قالوا: إن عمه أبا طالب بعث إليه حين كَلَمَتْهُ قريش فقال له يا بن أخي! إن قومك قد جاؤوني فقالوا لي كذا وكذا فأبقي<sup>(٣)</sup> على وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق. فظنّ رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بداء<sup>(٤)</sup> وأنه خاذلٌ ومُسْلِمٌ ، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه ، فقال: يا عمه! لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته. ثم استعبر<sup>(٥)</sup> ﷺ فبكى.

يا دموع النبوة! لقد أثبتت أن النفس العظيمة لن تعزى<sup>(٦)</sup> عن شيء منها بشيء من غيرها ، كائناً ما كان لا من ذهب الأرضِ وفضتها ، ولا من ذهب السماء وفضتها إذا وضعَتِ الشمس في يدِ القمر في الأخرى.

وكل حادث المدة قبل الهجرة على طولها ليست إلا دليلاً ذلك الزمن على أنه زمنُنبيٍّ ، لا زمنُ ملك أو سياسي أو زعيم. ودليل الحقيقة على أن هذا اليقين الثابت ليس يقين الإنسان الإلهي من جهة قوته بل يقين الإنسان الإلهي من جهة قلبه ، ودليل الحكمة على أن هذا الدين ليس من العقائد الموضوعية التي تنشرها عدوى النفس للنفس ، فها هو ذا لا يبلغ

(١) انعطاف.

(٢) فات وسبق.

(٣) أبقي عليه رحمه وشفق عليه.

(٤) أي نشأ له رأي جديد فيه وهذا كما يقولون: رجع عن رأيه.

(٥) أي جرت عبرته.

(٦) لن تتصرّب.

أهله في ثلاث عشرة سنة أكثر مما تبلغ أسرة توالد في هذه الحقبة ، ودليل الإنسانية على أنه وحي الله بإيجاد الإخاء العالمي والوحدة الإنسانية ، أفلم يكن خروجه عن موطنه هو تتحققه في العالم؟

ثلاث عشرة سنة ، كانت ثلاثة عشر دليلاً ثبت أن النبي ﷺ ليس رجل ملك ، ولا سياسة ، ولا زعامة ، ولو كان واحداً من هؤلاء لأدرك في قليل ، وليس مبدعاً شريعة من نفسه وإنما غير في قومه وكأنه لم يجدهم وهم حوله . وليس صاحب فكرة تعمل أساليب النفس في انتشارها ، ولو كانه لحملهم على محضها<sup>(١)</sup> وممزوجها ، وليس رجلاً متعلقاً بالمصادفات الاجتماعية ، ولو هو كان لجعل إيمان يوم كفر يوم ، وليس مصلح عشيرة يهذب منها على قدر ما تقبل منه سياسة ومخادعة ، ولا رجل وطنه تكون غايته أن يشمغ<sup>(٢)</sup> في أرضه شموخ جبل فيها دون أن يحاول ما بلغ إليه من إطلاله<sup>(٣)</sup> على الدنيا إطلال السماء على الأرض ، ولا رجل حاضره إذ كان واثقاً دائماً أن معه الغد وآتيه ، وإن أدرى عنه اليوم وذاهبه ، ولا رجل طبيعته البشرية يلتمس لها ما يلتمس الجائع لبطنه ، ولا رجل شخصيته يستهوي بها ويسحر ، ولا رجل بطشه يغلب به ويسلط ، ولا رجل الأرض في الأرض ولكن رجل السماء في الأرض .

هذه هي حكمة الله في تدبيره لنبيه قبل الهجرة! قبس عنه أطراف الزمن وحصره من ثلاث عشرة سنة في مثل سنة واحدة ، لا تصدر به الأمور مصادرها كي تثبت أنها لا تصدر به ، ولا تستحق به الحقيقة على أنها ليست من قوته وعمله .

وكان ﷺ على ذلك هو في حدود نفسه وضيق مكانه يتسع في الزمن

(١) الحال الذي لم يخالطه غيره ج محاضن .

(٢) يعلو بابه فتح .

(٣) اشرافه .

من حيث لا يرى ذلك أحد ولا يعلمه ، وكأنما كانت شمس اليوم الذي سينتصر فيه قبل أن تشرق<sup>(١)</sup> على الدنيا بثلاث عشرة سنة مشرقة في قلبه عَلَيْهِ السَّلَامُ .

والفصل من السنة لا يقدمه الناس ولا يؤخرونه لأنه من سير الكون كله ، والسحابة لا يشعلون برقها بالمصابيح ومع النبي من مثل ذلك برهان الله على رسالته إلى أن نزل قوله تعالى : ﴿ وَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلّهِ ﴾ [الأفال : ٣٩] فحلَّ الفصل وانطلقت الصاعقة وكانت الهجرة .

تلك هي المقدمة الإلهية للتاريخ ، وكان طبيعياً أن يطرد التاريخ بعدها حتى قال الرشيد للسحابة ، وقد مرت به : أمطري حيث شئت فسيأتيني خراجك<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

(١) تضيء .

(٢) وحي القلم للرافعي ج ٢ - ١٩ .

## تحيَّة الأندلُس

للأستاذ محمد كرد علي<sup>(١)</sup>

عشقتها ولم تسعدي<sup>(٢)</sup> الأيام بإمتاع<sup>(٣)</sup> النظر في جمالها ، واستطلعت<sup>(٤)</sup> طلع أخبارها فروى الرواة عنها عجائب أقلها مما يستهوي

(١) هو محمد كرد علي بن عبد الرزاق التاجر. أصله من أكراد الأيوبيه. ولد سنة ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦ م) ، أتم الدراسة الرشدية ودراسة الثانوية وأفاد من العلامة الشيخ طاهر الجزائري والسيد سليم البخاري والشيخ محمد المبارك وتعلم الفرنسية. وكتب وهو في السادسة عشرة من عمره وحرر أول جريدة ظهرت في دمشق وكتب في مجلة «المقتطف» وبذلك امتدت شهرته؛ وسافر إلى مصر وحضر دروس الشيخ محمد عبده ، وتولى تحرير جرائد ومجلات في مصر ، وأصدر «المقتبس» اليومي من دمشق ، وزار باريس سنة ١٩٠٩ وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى دخل في رئاسة ديوان المعارف ، وفي سنة ١٩١٩ افتتح إنشاء مجمع علمي عربي واختير أول رئيس له ، واختير مرتين للوزارة طاف في خلالهما الأقطار الأوربية وتوفي في ٢ نيسان ١٩٥٣ م وهو في السابعة والسبعين ، ودفن في مقبرة الباب الصغير بجوار قبر معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهمـ . كان الأستاذ محمد كرد علي صحيفياً ومنشأً متربلاً بعمل القافة الغربية الجديدة ، والثقافة العربية القديمة ، يمتاز أسلوبه بالرقى من غير تفخيم وسهولة في التعبير من غير تكليف ويرسل النفس على سجيتها . ومن أعظم كتبه «خطط الشام» في ستة أجزاء واسعة ، و«الإسلام والحضارة العربية» في جزأين ، وهو كتاب يرجو به من الله خيراً للدفاع عن الإسلام وبيان محاسنه ، و«أمراء البيان» في جزأين و«كتوز الأجداد» وحقق كتبًا كثيرة ونشرها مصححة ومنتقحة .

(٢) أسعده على الأمر عاونه وأسعده الله جعله سعيداً .

(٣) التمعن .

(٤) استطلع رأي فلان واستطلعه رأيه نظر ما عنده من رأي والطلع بكسر الطاء الاسم من اطلع .

النفوس المتمردة ويأخذ بمجامع القلوب الجافة العاصية ، تفردت بين بنات جيلها<sup>(١)</sup> بما خصّت به من معاني الحسن والإحسان فكثر الخطاب والطلاب ، وهي لا تفتّأ تبدي لمن أم حماها صنوفاً من اللطف والظرف وتخاطب البعيد والقريب بثغر باسم وترشقهم<sup>(٢)</sup> بنظرات ، لا تخروا من غمزات ت يريد بها الهزء بنكبات الزمان ، والاستخفاف بسخافة<sup>(٣)</sup> الإنسان .

عشقتها منذ عهد الصبا ، وعشق الصبا شديد ، لما قرأته الباصرة من وصف سجاياتها وحملته إلى البصيرة ففكرت فيه ، وتدبرت خوافيه وحواشيه ، وزادني غراماً بها ما سمعت من أن أناساً قبلـي أصيـوا بما أصـبتـ به ، وعدـوا التـزـولـ فيـ حـمـاـهاـ ولوـ ساعـةـ سـعادـةـ العـمـرـ ، وـ حـسـنةـ الدـهـرـ . العـشـقـ فـنـونـ وـ عـشـقـيـ كـانـ لـأـرـضـ الـأـنـدـلـسـ عـلـيـهاـ مـنـ كـلـ عـرـبـيـ أـلـفـ أـلـفـ سـلـامـ عـلـىـ مـرـ العـصـورـ وـ الـأـيـامـ .

عشقتها لكثرة ما تلوت من آثار من درجوا<sup>(٤)</sup> على أديمها<sup>(٥)</sup> من أبنائها وغير أبنائها ، وكانت المخيّلة تصوّرها في مظاهر صح بعضها يوم اللقاء ، وأخر كان بالطبع كالخيال ، في الأندلس تم نحو نصف مدينة العرب الباهرة ، وقضوا في أرجائها نحو ثمانية قرون كانت بجمالتها وتفاصيلها عهد السعادة والغبطة<sup>(٦)</sup> ، ودور ظهور النوابع<sup>(٧)</sup> وأرباب الإبداع<sup>(٨)</sup> والقرائح<sup>(٩)</sup> . وكم من أمّة من أمّم الحضارة الحديثة على كثرة ما اقتبست

(١) الصنف من الناس ج أجيال وجيلان.

(٢) تحد النظر إليهم بابه نصر.

(٣) الضعف.

(٤) مشوا.

(٥) سطح الأرض وظهورها.

(٦) حسن الحال ، المسرة.

(٧) جمع نابغة أي الرجل العظيم الشأن.

(٨) الإجادـةـ فـيـ الـعـلـمـ .

(٩) جمع قريحة وهي ملكة يقتدر بها الإنسان على الإجادـةـ فـيـ نـظمـ الشـعـرـ أوـ الـكـتـابـةـ .

وأوجدت ، لم يتيسر لها حتى يوم الناس هذا أن تبلغ مكانة الأندلس ، فكان هذا الصقع<sup>(١)</sup> في منقطع أرض المغرب وأخر أرض العرب بين البحرين المتوسط والمحيط برهاناً أزلياً على فرط استعداد العرب للعلوم والصناعات وناعياً على من أنكروا لإفراطهم في الشعوبية<sup>(٢)</sup> فضل هذه الأمة على الحضارة.

أقام الغربيون ضرورياً من المصانع من بيع<sup>(٣)</sup> وأديار ومتاحف<sup>(٤)</sup> ومكاتب ومدارس وجسور وسدود وطرق ومعابر وتماثيل ونصب<sup>(٥)</sup> وبرك ، ولكنهم لم يضعوا على كثرة تفنتهم في هذا الشأن ، منذ عهد اليونان والرومان ، طرزأً من البناء يكلمك ولا لسان له فيقول ، وينظر إليك فيعمل في شغاف<sup>(٦)</sup> قلبك ولا عين له فينظر ، ويطربك بتساقق<sup>(٧)</sup> نغماته من دون ما صنّاجة<sup>(٨)</sup> ولا وتر ولا ألحان.

مصانع كثيرة بقيت بقاياها في طليطلة وقرطبة وإشبيلية وغرناطة سلبتها الفتنة والجهل تارة شطراً من بهائهما ، وسالمتها حيناً فأبقيت عليها ، أو رممت شيئاً مما أضرت به عوامل الأيام وإن لم تعد إليها نصرتها الأولى.

**سلام على أرض طيبة خصّها الخالق بأجمل الهبات الطبيعية ، فلم**

(١) بالضم النافية ح أصناع.

(٢) العصبية للجنسية والقومية غالباً يستعملون هذه الكلمة لتصغير شأن العرب وعدم تفضيلهم على العجم.

(٣) جمع بيعة معبد للنصارى واليهود ويجمع أيضاً على بيعات وبيعات.

(٤) جمع متاحف وهو المكان الذي يوضع فيه الأشياء النادرة والنفيسة والمراد به دار الآثار.

(٥) كل ما جعل علمـاً.

(٦) بالفتح غلاف القلب ، حبة القلب ح شُفَّ وأشفة.

(٧) التتابع.

(٨) آلة غناء.

ينقصها زكاء تربة في نجادها<sup>(١)</sup> ووهاها عذبة دافقة من هضابها<sup>(٢)</sup> على شعابها<sup>(٣)</sup> ، ولا أشجاراً باسقة وزروعاً خصبة في سهلها ووعرها<sup>(٤)</sup> ، ولا اعتدال مواسم وجمال إقليم ، ومصحة<sup>(٥)</sup> أبدان زانها الصانع السماوي بإيجاده كما زانها الصانع الأرضي بإبداعه وما أجمل الطبيعي والصناعي . إذا تواعدا إلى الاجتماع في خير البقاع .

ليالي الأنس ، في جزيرة الأندلس ، وأيامها الغر ، في سالف الدهر ، فيك قامت سوق الآداب . بما ارتفعت به رؤوس العرب على غابر الأحقاب ، وكمل في ريوشك<sup>(٦)</sup> الذوق العربي حتى ظن بعضهم أنك نسيت كل شيء ما عدا الأدب ، وما هذه الآثار الأبدية إلا ثمرة علمك وصناعاتك وزراعاتك .

سلام على أرواح علمائك ، وفلسفتك ونوابفك وأدبائك وأمرائك ما كان أرجح أحالمهم ، يوم سنوا للعرب سنة الأخذ من السعادتين ، وشرعوا لهم شرعة المدنية المثلثي<sup>(٧)</sup> . حملوا فأجملوا من الشرق إلى الغرب تعاليم في الدين والدنيا ، كانت صفة العقول إلى عهدهم فادهشوا من عاصرهم ، وخلفوا من الأجيال ، ونسجوا لهم على غير مثال نسيجاً رقيقاً ، كتبوا لهم فيه سجلأً رقت حواشيه . ونظماماً متقدناً في حكم الإنسان للإنسان ، يطبع في تاليه إذا تدبره طبيعة حسن الذوق والطبع ، وينشئه

(١) جمع نجد ما أشرف من الأرض وارتفع .

(٢) جمع وهلة الأرض المنخفضة .

(٣) جمع هضبة ما ارتفع من الأرض ويجمع أيضاً على هضب وهضب وجج أهاضيب .

(٤) جمع شعب ما انفوج بين الجبلين .

(٥) المكان الصلب ضد السهل ج أوّر ووعور وأوعار ووّعورة .

(٦) بفتح الصاد وكسرها ما يجلب الصحة ويحفظها وأرض مصحة بريئة من الوباء .

(٧) جمع رب الدار ويجمع أيضاً على رباع وأربيع وأربع .

(٨) مؤنة الأمثل وهو الأفضل .

على أرق مثال من الخيال في الكمال والجمال ، مثال حيّ من حضارة العرب في القارة الأوربية عامة ، وفي شبه جزيرة إسبانيا خاصة ، يفترخ به العرب على اختلاف أصقاعهم وحق لهم الفخر ، لأن الأندلس العربية الإسلامية كانت وما زالت مدرسة الغرب المسيحي ، نزل طلابه في قرونهم المظلمة على علماء العرب فأوسعوهم من مكارم أخلاقهم ، وأكرموا مثواهم بما علموهم ، وما أسخن العربي على طالب قراه<sup>(١)</sup> والممعتصم بحماه.

فلما جاء دور الانحطاط ، وأزف<sup>(٢)</sup> رحيل ذلك الرعيل<sup>(٣)</sup> من أرض كان الغرب كله يعدهم فيها أثقل دخيل ، أبقوا لهم تلك المصانع ناطقة بفضلهم معلمة لهم معاني ليس في معاجم<sup>(٤)</sup> نفائسهم ، ومكذبة على غابر الأيام من ينكر المحسوس ، ويغمط<sup>(٥)</sup> الحق لصاحبها ، ويستهويه الغرض ، فيشوه وجه الحق الجميل .

إلى اليوم لم يزل في الغربيين أناس يصعب عليهم الاعتراف بمزية للعرب بباعت من بواعث النفوس اللئيمة ، فلا يكادون يصدقون حتى بما ورد عن هذه الأمة في كتبهم دع كتبها من أعمال هذه الحضارة العربية ، وما ذاك الأثر الضئيل الباقى من عadiات<sup>(٦)</sup> الأندلس العربية إلا برهان جلي على ما هناك من عدل شامل ، وعقل كامل ، ونظر نافذ ، ويد صناع ، أربت<sup>(٧)</sup> على ما عمل من مثلها في سائر البقاع والأصقاع<sup>(٨)</sup> .

\* \* \*

(١) بالكسر التزل والضيافة .

(٢) قرب بابه سمع .

(٣) اسم كل قطعة متقدمة من خيل أو طير أو رجال ج رعال .

(٤) جمع معجم وهو القاموس أي كتاب اللغة .

(٥) غمطه احتقره وازدرى به بابه ضرب وسمع يقال غمط الحق جمدده .

(٦) الأشياء القديمة الباقة .

(٧) فاقت وزادت .

(٨) حاضر الأندلس وغابرها للأستاذ كرد علي .

## الصّديق

للأستاذ عباس محمود العقاد<sup>(١)</sup>

أقبل الصّديق رضي الله عنه على الإسلام وهو عالم بالذى هو مقبل عليه . لم يقل له أحد ولا قال هو لنفسه إن الأمر أهون مما توقع ، وإن البلاء بعقيدته التي تحول إليها أخف مما وجد ، فلم يجد نصباً وكان يرجو الراحة ، ولم يجد غرماً وكان يرجو المنفعة ، ولم يجد عداءً من قومه وكان يرجو منهم المودة ، ولم يجد خطراً وكان يرجو السلامة ، وإنما دخل في شيء يتوقع ما هو ملقيه فيه ، ويراه دون حقه من المصايرة والحفظ والاحتمال لأن الدين ، لأن الحياة الفانية والحياة الباقية ، لأن الحق ودونه الباطل ، الهدى ودونه الضلال .

(١) ولد الأستاذ عباس محمود العقاد بأسوان سنة ١٨٨٩ م ، ودرس في مدرسة أسوان الابتدائية ثم الثانوية وكان نهماً بالقراءة فشقق بنفسه واشتغل بالوظائف الحكومية ثم اشتغل بالصحافة ثم بالتعليم ، وانتخب عضواً لمجلس الثواب ثم عُين عضواً لمجلس الشيوخ ، فعضواً لمجمع اللغة العربية .

كان العقاد محباً للعزلة ، كثير القراءة ، كثير الكتابة ، يكتب في كل موضوع وفي كل غرض ، شديد الكراهية للإشتراكية بأنواعها ، حسن الرد على شبكات المستشرقين ، مجيد الكتابة في الشخصيات وتحليلها ، له ما يزيد على ستين مؤلفاً في الأدب والنقد والتاريخ والفلسفة ، وقد استن طريقة جديدة في كتابة التاريخ والسير بعصرياته المعروفة . يمتاز العقاد بالعمق وسعة الدراسة والثقافة والتحليل العلمي ، يكاد يكون صاحب مدرسة في الأدب الحديث ، مات سنة ١٩٦٤ م .

فما أقبل إنسان قط أصدق من هذا الإقبال ، وما تأهّب<sup>(١)</sup> إنسان قط لبلاء في سبيل ضميره وربه أعظم من هذه الأبهة<sup>(٢)</sup> ، وما نفس الصدق عند إنسان قط أغلى من هذه النفاسة . فهي سلامـة النفس وسلامـة الآباء والأبناء وسلامـة المال والعتاد وسلامـة الدنيا بأسرها يعلقها بكلمة صدق من رجل صادق وإن أناساً ليصدقون غـایـة التـصـدـيق ثم لا يخاطرون في سبيل الصدق بـرـزـق يوم ولا بـراـحة ساعـة . إنه الصـدـيق !

وما وصف بكلمة واحدة هي أجمع لخلائقه من كلمة الصـدـيق ! ولقد رأينا أناساً من النـاقـدين يستنكرون على عـربـي في الجـاهـلـية أن يقـوـمـ الـهـدـاـيـةـ الـدـيـنـيـةـ بـهـذـهـ الـقـيـمـةـ الـتـيـ لـاـ تـعـلـوـهـ قـيـمـةـ .

ولكنهم مخطئون ! لأن العـربـيـ الجـاهـلـيـ عـرفـ «ـالـحـقـ»ـ وـعـرـفـ بـعـ الحـيـاـةـ فـيـ سـبـيلـ «ـالـحـقـ»ـ كـمـاـ يـرـاهـ :ـ حـقـ الـجـوارـ أوـ حـقـ الـعـرـضـ أوـ حـقـ الشـرـفـ وـالـذـمـارـ .

وأبو بكر خاصة كان ممن يرعون الحقوق ويـكـفـلـونـهـ لأـهـلـهـ ،ـ وـكـانـ مـمـنـ يـكـرـهـونـ الـبـغـيـ وـيـنـقـمـونـهـ عـلـىـ أـهـلـهـ .

فإذا عـرـفـ «ـالـحـقـ»ـ الـأـكـبـرـ فـغـيرـ عـجـيبـ أنـ يـرـعـاهـ هـذـهـ الرـعـاـيـةـ وـأـنـ يـكـفـلـهـ هـذـهـ الـكـفـالـةـ ،ـ وـهـوـ مـهـيـأـ لـعـرـفـانـهـ بـكـرـمـ الـخـلـيـفـةـ وـطـيـبـ النـحـيـزـةـ<sup>(٣)</sup>ـ وـاسـتـقـامـةـ الـفـطـرـةـ وـصـفـاءـ الـقـرـيـحةـ .

وقد عـاشـ أبوـ بـكرـ فيـ زـمـنـ كـانـ عـقـلـاؤـهـ فيـ كـلـ أـرـضـ يـتـطـلـعـونـ إـلـىـ هـدـاـيـةـ مـنـ السـمـاءـ ،ـ وـيـخـيـلـ إـلـيـنـاـ أـنـ اـنـتـظـارـ الـهـدـاـيـةـ مـنـ السـمـاءـ لـمـ يـطـلـ فـيـ زـمـنـ مـنـ الـأـزـمـانـ ،ـ وـلـاـ سـيـماـ الزـمـنـ الـذـيـ يـعـمـ فـيـ الـفـسـادـ وـتـعـيـاـ بـهـ حـيـلـةـ الـإـنـسـانـ .ـ وـحـسـبـنـاـ أـنـاـ بـعـدـ الـإـسـلـامـ رـأـيـنـاـ أـنـاـ يـتـرـقـبـونـ «ـالـمـهـدـيـ»ـ الـذـيـ يـنـشـرـ

(١) تـهـيـأـ وـاستـعـدـ .

(٢) أي العـدـدـ .

(٣) الطـبـيـعـةـ .

العدل كلما عم الجور ، ويأمر بالعرف كلما فشا المنكر ، ويهدي إلى سواء السبيل كلما استحکم الضلال .

و قبل البعثة المحمدية كان أناس ينتظرون الهدى من نسل داود أو ينتظرونه من نسل إسماعيل بن إبراهيم - عليهم الصلاة والسلام !

و سمع أبو بكر ما سمع من هذا في رحلته إلى اليمن و رحلته إلى الشام وفي حديثه مع ورقة بن نوفل ، وحديثه مع المنكرين لظلم العجالة والمستشرفين<sup>(١)</sup> إلى كل نور جديد .

وهذا محمد بن عبد الله يدعوه دعوة إبراهيم - دعوة الأب الأكبر الذي يشمل العرب جميعاً ، ومن فوقها دعوة الله التي تعم جميع الناس .

فمن أولى منه بالدعوة ! ومن أولى منه بالتصديق !

إنه استشار خلقه القويم فهداه ، وإن مشورة العقل وحدها لتهديه هذه الهدایة حينما وازن وقابل ، فأحسن الموازنة والمقابلة بين جميع ما ينتظم فيها من شؤون ذلك الزمان .

كان أبو بكر في اهتدائه إلى الإسلام هو أبو بكر في نشأته وسليقته وجملة أحواله وأحوال قومه وعهده .

و كان أبو بكر في إسلامه هو أبو بكر فيما وصف به وفيما جد عليه من إيمان المصدق بدینه و حماسة المعجب بيطله .

كان إسلامه إسلام الرجل الكريم السمح الودود ، يستمسك بالصدق والتصديق ويخالص في الإعجاب بالبطل الذي هداه إخلاصاً لأشية<sup>(٢)</sup> فيه ، فهو يلين في كل حالة ، ويشتد في حالة هو فيها أشد الأشداء : مرجعها إلى كل ما اتصل عنده بقوة التصديق وقوة الإعجاب .

(١) المتطلعين .

(٢) كل لون بخلاف معظم لون الشيء .

قال بعد مبaitته بالخلافة : «إنما أنا متبوع ولست بمبتدع» فجمع إسلامه أجمع صفة وأحسنها في هذه الكلمات .

وربما عرض له من الأمر ما ليس يتضح فيه طريق الاتباع ، فيخرج إلى الناس يسألهم ثم يقول : «الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ علينا سنة نبينا» .

فلا يبتدع إلا بعد استقصائه<sup>(١)</sup> كل مرجع من مراجع الاتباع .

وفي هذا هو شديد غاية الشدة ، بعيد من اللين والهوا<sup>(٢)</sup> غاية بعد ، وهو الرجل الذي اتسم<sup>(٣)</sup> في حياته كلها باللين والهوا .

فتتصديق المؤمن وإعجاب المعجب ببطله العزيز عليه ، هما تفسير كل شدة يشتدّها الصديق الحليم الودود .

هو شديد في تسيير جيش أسامة رضي الله عنه ، لأن النبي ﷺ ولاه وأمر بتسييره ، وما يكون له أن يتزع رجلاً استعمله رسول الله ﷺ « ولو تخطفته الذئاب ولم يبق في القرى أحد غيره » .

هو شديد في حرب الردة ، لأنه لا يترك عقالاً<sup>(٤)</sup> كان رسول الله ﷺ يأخذه من المرتدين .

وإذا رأيناه يتعدد بين الهوا و الشدة في محاسبة بعض الناس فالشدة التي مرجعها التزام جادة الرسول والاقتداء بقدوته في كل شيء هي أقرب التفسيرين إلى فهم علمه ، وهي أغلب في طبعه من اللين والهوا ، على اشتهر بهما في كل ما عدا ذاك .

ويتبين لنا مناط الشدة واللين عنده في جنائية واحدة استصغر فيها

(١) المبالغة في الطلب .

(٢) اللين والرفق .

(٣) أي جعل لنفسه سمة يعرف بها .

(٤) حبل يشد به البعير في وسط ذراعه .

العقوبة على امرأة واستكبر العقوبة نفسها على امرأة أخرى . وذلك إذ كتب إليه المهاجر بن أبي أمية المخزومي يقول له إن مغنيتين تغنت إحداهما بثلب رسول الله ﷺ وتغنت الأخرى بثلب المسلمين ، فقطع يديهما ونزع ثنایاهما لتكتفا عن الغناء ، فخطأه أبو بكر لأن الأولى كانت أحق بالقتل ، وأن الثانية كانت أحق بالصفح وأوصاه أن يقبل الديمة وأن يحدّر المثلة «إنها مأثم ومنفرة إلا في قصاص» .

ففي تعظيم النبي ﷺ كل شدة قليلة ، وفي أمر غيره كل صفح جائز بل مستحب محمود ، وليس هي المحبة التي يعزّزها التفكير قد فرقـت هذه التفرقة بين العقابين ، لأن هجو النبي ﷺ قدح في لباب الدين وأسـ النظام ، وهجو المسلمين وزر قد يأتيه المسلم في خلاف بيـنه وبين قوـمه ، ولكنـها على هذا حادثـة قد عرضـت لنا طبع أبي بـكر في حالـته: لـين وهوـادة ، وإعظام لا لـين فيه ولا هوـادة ، وإنـما هي الشـدة كأشـد ما تكونـ.

وربـما تـهـيب<sup>(١)</sup> الأـمـرـ فيـهـ نـفعـ لـاـ شـكـ فيـهـ إـذـاـ لمـ يـسبـقـهـ النـبـيـ ﷺـ إـلـىـ صـنـعـهـ أوـ صـنـعـ مـثـلـهـ ، لـفـرـطـ اـنـقـائـهـ أـنـ يـصـنـعـ مـاـ تـرـكـ أوـ يـتـرـكـ مـاـ صـنـعـ ، كـمـاـ تـهـيـبـ جـمـعـ الـقـرـآنـ فـيـ الـمـصـحـفـ حـيـنـ أـشـارـ بـهـ عـمـرـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ ، فـقـالـ: «كـيـفـ أـفـعـلـ شـيـئـاـ لـمـ يـفـعـلـهـ رـسـوـلـ اللـهـ ﷺـ؟ـ»ـ ثـمـ اـسـتصـوـبـ جـمـعـهـ لـمـاـ فـيـهـ خـيـرـ .

فسـماـحةـ أـبـيـ بـكـرـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ كـانـتـ طـبـيعـةـ فـيـهـ لـأـنـهـ طـبـعـ عـلـىـ الرـفـقـ وـالـأـنـاءـ وـالـأـخـذـ بـالـحـيـطةـ وـاسـتـبـقاءـ الـمـوـدةـ .

وـشـدـةـ أـبـيـ بـكـرـ كـانـتـ طـبـيعـةـ فـيـهـ ، لـأـنـهـ طـبـعـ عـلـىـ تـصـدـيقـ مـنـ هـوـ أـهـلـ لـتـصـدـيقـهـ وـالـإـعـجـابـ بـمـنـ هـوـ أـهـلـ لـإـعـجـابـهـ ، وـلـنـ تـرـىـ شـدـةـ فـيـ إـنـسـانـ كـشـدـةـ الرـجـلـ السـمـحـ فـيـ تـنـزـيـهـ صـفـيـهـ وـحـبـيـهـ وـمـوـضـعـ إـعـجـابـهـ ، وـلـاـ حـرـصـاـ

(١) خـافـ .

في إنسان كحرصه على القدوة بذلك الصفي الحبيب المعجب به ،  
واجتناب التخلف عنه والحدى عن طريقه .

وفيما عدا هذه الشدة لم يكن أبو بكر إلا حلماً غالباً ورحمة غالبة ،  
ولم تنفرج أمامه طريقان : إحداهما إلى العفو ، والأخرى إلى البطش إلا  
أخذ بالأولى وأعرض عن الثانية .

شاوره النبي ﷺ في أسرى بدر فقال : « يا نبي الله ! هؤلاء بنو العم  
والعشيرة والإخوان ! فإني أرى أن تأخذ منهم الفدية ، فيكون ما أخذنا  
منهم قوة ، وعسى الله أن يهدى لهم فيكونوا لنا عضداً »<sup>(١)</sup> .

شاوره حين اجتمعت قريش لصدده وصد المسلمين عن البيت فنادى  
بالناس : « أشيروا أيها الناس عليّ ! أترون أن أميل إلى عيالهم وذراري  
هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت ، فإن فاتونا كان الله قد قطع  
 علينا من المشركين ، وإلا تركناهم محروبين » .

فقال أبو بكر : « يا رسول الله ! خرجت عامداً لهذا البيت ، لا تريد  
قتال أحد ولا حرباً ، فتوجه له فمن صدنا قاتلناه » . . . يقاتل من صدده عن  
البيت ولا يقاتل من لم يصدده .

وشيع<sup>(٢)</sup> جيش أسامة فلم ينس أن يوصيه بالضعفاء وهو ذاهب إلى  
القتال :

« لا تخونوا ولا تغلووا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ،  
ولا شيخاً كبيراً ، ولا امرأة ، ولا تعقرنوا نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا  
شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا ل maka لة ، وسوف  
تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهن وما فرغوا أنفسهم  
له ، وسوف تقدمون على قوم يأتيكم بآنية فيها ألوان الطعام فإذا أكلتم منها

(١) أي أعواضاً .

(٢) خرج ليودع .

شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها ، وتلقون أقواماً قد فحصوا أو ساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم<sup>(١)</sup> بالسيف خفقاً . اندفعوا<sup>(٢)</sup> باسم الله! ».

وليس أكثر من الشواهد التي تشهدنا على قوة الدين في نفوس من آمن به إلا أننا لا نعلم بينها شاهداً أصدق في الدلالة على تلك القوة من أن يدين المرء نفسه بالدين أمام أعدائه ، كما يدينها به أمام إخوانه في اعتقاده . ومن شواهد ذلك في إسلام الصديق أنه كره المثلة بأعدى الأعداء في ميدان القتال ، فلما بعث إليه عمرو بن العاص برأس بنان بطريق الشام أنكر فعله أشد إنكاراً ، ولم يخف من إنكاره قول عقبة بن عامر له: إنهم يصنعون بنا بل قال: أيسنتون بفارس والروم؟ لا يحمل إلى رأس . إنما يكفي الكتاب والخبر .

فهو مسلم مع من يحب ومع من يكره ولو في قتال . وهذا بلاغ الدين القويم في نفس إنسان<sup>(٣)</sup> .

\* \* \*

(١) اضربوهم.

(٢) امضوا.

(٣) عبقرية الصديق . ٨٩ - ٩٤ .

## ذكْرِي المَوْلَد

للأستاذ أحمد حسن الزيات<sup>(١)</sup>

ذكرى مولد الرسول ﷺ هي ذكرى قيامة الروح وولادة الحرية ونشرور الخلق ، فكأن مولده كان البعث الأول الذي طهر النفس وعمر الدنيا وقرر الحق للإنسان ، كما أن البعث سيخلص الروح ويبتدىء الآخرة ويعلن الملك لله .

كان العالم يومئذ يضطرب في رق المادة وعبودية الشهوة وسلطان

(١) ولد في ٢ من أبريل عام ١٨٨٥ م في إحدى ضواحي القاهرة ، وانتقل إلى القاهرة والتحق بالجامع الأزهر وتلقى العلوم الأزهرية على أساتذته من أساطين العلم منهم السيد علي المرصفي والشيخ محمد عبده ،قرأ على الأول ديوان الحماسة وال الكامل للمبرد والأمالى لأبي علي القالى والمفصل للزمخشري ، وعلى الثاني كتابي «دلائل الإعجاز» و«أسرار البلاغة» للجرجاني . ثم التحق بالجامعة المصرية القديمة وتلقى تاريخ الأدب العربي والفرنسي على المستشرقين الإيطاليين «كويدي» و«فريينو» ودرس الحقوق الفرنسية في مدرسة الحقوق الفرنسية بالقاهرة وأتم تعليمه العالي للحقوق في جامعة باريس ، وعاد وتقلب في وظائف تدريس الأدب العربي في القاهرة وبغداد ، حتى استقر بالقاهرة وأصدر سنة ١٩٣٣ مجلة «الرسالة» التي بقيت تخدم الأدب العربي عشرين سنة كانت فيها ملتقى الكتاب النابغين ومدرسة الأدباء الناشئين ، وتولى رئاسة تحرير مجلة الأزهر وهو عضو في المجمع اللغوي العربي بالقاهرة والمجمع العلمي بدمشق . وقد أساء الأستاذ الزيات إلى أدبه وشهرته إساءة كبيرة حين قارن بين الوحدة المحمدية والصلاحية والوحدة الناصرية ، وصرح بفضل الأخيرة على الأولين ، وتباً بيقائهما وخلودها ، ويا ليته مات قبل أن يصدر عن قلمه هذا المقال المخنول ، ونعود بالله من العhor بعد الكور . مات سنة ١٩٦٩ م .

القوة ، فلم يكن للممثل الأعلى وجود في ذهنه ، ولا للغرض النبيل أثر في سعيه ، ولا للشعور الإنساني مجرى في حسه ، ولا للسمو الإلهي معنى في نفسه ، إنما كان حيوانياً شهوته الغلب ، مادياً شهيته اللذة ، أنانياً شريعته الهوى؛ ثم أسرف في البهيمية حتى جعل كل أنسى مباحة لكل ذكر ، في المادة حتى اتخد إلهه من خشب أو حجر وفي الأنانية حتى قتل أولاده خشية الإملاق<sup>(١)</sup> والضرر. فلما أتى النبي العربي فتح في غار حراء باباً إلى السماء ، تزلت منه الملائكة والروح على هذا الهيكل المنحل والجسد المعتل ، فنفخت فيه سر الحياة ومعنى الخلود وحقيقة الله ، وحيثئذٍ شعر سليل الأرض أن له أسباباً إلى السماوات رثت<sup>(٢)</sup> على طول غفلته ، وأن له حياة خيراً من هذه الحياة استسر علمها في جهالته ، فتشوف<sup>(٣)</sup> إلى الأفق البعيد ، واستشرف إلى السمت العالي ، وأرسل نظره وراء النظر النبوى من فوق الجبل في صمت حراء المفكر ، وفي سكون الوادي الملهم ، وفي غيابة الفضاء الرهيب ، يفكر في الملوك الدائم ، ويسبح للجلال القائم ويفنى في الوجود المطلق.

كانت العقيدة قبل محمد ﷺ أن تموت الروح أو يموت الجسم ، وأن يحكم الله أو يحكم الإنسان ، وأن يظهر الدين أو تظهر الدنيا. أما تقرير الصلة بين المعنى والذات ، وبين المصباح والمشكاة ، وبين الحياة الأولى والحياة الأخرى ، وبين الإرادة السفلية والإرادة العليا ، فذلك هو القصد الإلهي من رسالة محمد ، والتنفيذ المحمدي لإرادة الله - عليه صلوات الله وسلمه .

وكان العالم قبل يوم محمد يرسف<sup>(٤)</sup> في عبودية عقلية تقتل التفكير ،

(١) الإفلاس.

(٢) بليت.

(٣) تطلع.

(٤) يمشي مشية المقيد.

وعبودية جسمية تعقل التصرف ، فلم يكن للأسرة نظام ، ولا للقبيلة قانون ، ولا للأمة دستور ، ولا للعقيدة شريعة ، إنما هو طغيان عاسف<sup>(١)</sup> يتحكم في الفرد ويسيطر على الجماعة ؛ فالآب يملك على بنيه الموت والحياة بحكم الطبيعة ، والشيخ يفرض على عشيرته الأمر والنهي بمقتضى العرف ، والملك يخضع نفوس الشعب باسم الدين ، والكافر ينسخ عقول الناس بقوة الجهل ، والناس أجمعون عدا هؤلاء الأربعه اتباع وأوزاع<sup>(٢)</sup> وهمل .

فلما بعث الرسول الكريم رحمة للعالمين بعث الحرية من قبرها ، وأطلق العقول من أسرها ، وجعل التنافس في الخير ، والتعاون على البر ، والتفاصل بالتقوى ؛ ثم وصل بين القلوب بالمؤاخاة ، وعدل بين الحقوق بالمساواة ، ودخل بين النفوس بالمحبة ، حتى شعر الضعيف أن جند الله قوته ، والفقير أن بيت المال ثروته ، والوحيد أن المؤمنين جميعاً إخوته ، ثم محا الفروق بين أجناس الإنسان ، وأزال الحدود بين مختلف الأوطان ، فأصبحت الأرض كلها وطنًا مشاعراً<sup>(٣)</sup> ، والعالم كله أسرة متحدة ، لا يهيمن على علاقتها إلا الحب ، ولا يقوم على مرافقتها إلا الإنصاف ، وليس فيها بين المرء وخليقته حجاب ، ولا بين العبد وربه واسطة .

يا رعى الله ذراك ! المقدسة يا غار (ثور) ! لقد كنتَ ببعث الحرية كما كان غار (حراء) ببعث الروح فأنت في جبل الخلاص هو في جبل التجلي .

وكان العالم قبل مولد محمد ﷺ يعاني تفكك الخلق وتحلل الرجاله

(١) شديد .

(٢) الجماعات ولا واحد لها .

(٣) مشتركاً .

وتحل الأثرة وتحكم السفاهة ، فسطوة اليد تسرف على العدل ، وعصبية الدم تبغي على الحق ، وسلطان المال يجني على الإنسانية ، وسورة الترف<sup>(١)</sup> تعندي على المروءة ، فالتجارة بخس وتطفيق<sup>(٢)</sup> ، والعقود ، نقض وتسويف ، والناس يعيشون عيش الوحش : تنافر وتدابر واحتياط واغتيال<sup>(٣)</sup> وشهوة!! فلما ظهر البطل العظيم والإنسان الكامل كانت شمائله وأفعاله رسالة أخرى في الخلق كان تطبيقاً لقوانين الدين بالمثل ، وتعليناً لآداب النفس بالعمل ، وتنظيمًا لغراائز الحياة بالقدوة ، ثم فعلت شخصيته ودعوته في نفوس رويت بالدماء ونغلت<sup>(٤)</sup> بالعداء وعاشت على الفرقة فألفهم على المودة وجمعهم على الوحدة ، ثم جعل لهم من كتاب الله نوراً ومن سنته دستوراً ، ورمى بهم فساد الدنيا فأصلحوا الأرض ومدنوا العالم وهذبوا الأرض.

ذلك ما تلقى ذكرى مولد الرسول في روع<sup>(٥)</sup> المؤمن العقول الذاكر ! فليت شعري ماذا يجد اليوم في نفسه وفي قومه من روح محمد وحرية محمد وخلق محمد! ... ألسنا نعيش اليوم صوراً كقطع الشطرنج ، وأتباعاً كعبيد الأرض ، وهمجاً<sup>(٦)</sup> كهمج الجاهلية؟ وهل كان ذلك يكون لو أنها اتخذنا من أحكام الله منهاجاً ، ومن كلام رسوله علاجاً ، ومن حياة السابقين الأولين قدوة؟

إن ذكرى مولد الرسول ذكرى انطلاق الإنسانية من أسر الأوهام وطغيان الحكام وسلطان الجهالة ، مما أجدر القلوب الوعية الحرة على

- (١) التنعم.
- (٢) أي نقص لكيل قليلاً.
- (٣) إهلاك من حيث لا يدرى.
- (٤) أي فساد.
- (٥) القلب.
- (٦) الرعاع من الناس الحمقى.

اختلاف منازعها ومشارعها أن تخشع إجلالاً لذكرى رسول التوحيد والوحدة ، ونبي الحرية والديمقراطية وداعية السلام والوئام<sup>(١)</sup> والمحبة<sup>(٢)</sup> .




---

(١) الموافقة.

(٢) وحي الرسالة.

## الْعَقِيْدَةُ وَالْحَيَاةُ

للأستاذ سيد قطب<sup>(١)</sup>

عمر الفرد الفاني محدود ، وأيامه على الأرض معدودة ، وهو بالقياس إلى هذا الكون الهائل الذي يعيش فيه ذرة تائهة لا مستقر لها ولا قيمة ، وعمره بالقياس إلى الزمن الهائل من الأزل إلى الأبد ومضة<sup>(٢)</sup> برق أو غمضة عين ولكن هذا الفرد الفاني ، هذه الذرة التائهة ، هذا

(١) هو سيد قطب بن الحاج قطب إبراهيم ، هاجر جده السادس الفقير عبد الله من الهند إلى مصر وتديراها. ولد في سنة ١٩٠٦ م في مديرية أسيوط وحفظ القرآن وانتقل إلى القاهرة والتحق بدار العلوم في سنة ١٩٢٩ م ونال منها شهادة في التعليم واشتغل في وزارة المعارف التي أرسلته سنة ١٩٤٩ م إلى أمريكا للدراسة نظم التعليم هناك ورجع منها سنة ١٩٥١ م وقد رأى إخفاق الحضار الغربية وميلها إلى الانهيار واعتزل الوظيفة وانقطع إلى التأليف والكتابة. الأستاذ قطب من أركان الأدب الإسلامي الحديث والدورة الإسلامية العلمية ، كان من أساتذة النقد الأدبي ومن المتجددين من مدرسة الأستاذ العقاد حتى أثرت فيه دراسة القرآن أثناء تأليفه «التصوير الفني في القرآن» و«مشاهد القيامة في القرآن» وأكرمه الله بالإيمان الجديد القوي بدينه وصلاحه للخلود والقيادة والسيادة فدعا إلى ذلك على بصيرة وكتب وألف العديد من الكتب. مات شهيداً سنة ١٩٦٦ م.

(٢) لمعة.

اللَّقَى<sup>(١)</sup> الصائغ يملك في لحظة أن يتصل بقوة الأزل والأبد وأن يمتد طولاً وعرضًا في ذلك الكون الهائل أن يرتبط به في أعماقه وأمشاجه<sup>(٢)</sup> بوشائع<sup>(٣)</sup> من القربى لا تنفص<sup>(٤)</sup> أن يشعر أنه من تلك القوى الهائلة وإليها ، أنه يملك أن يصنع أشياء كثيرة وأن ينشيء أحاداثاً ضخمة وأن يؤثر في كل شيء ويتأثر ، يملك أن يحس الوجود في الماضي والاستقرار في الحاضر والاستمداد في الآتي ، يملك أن يستمد قوته من تلك القوة الكبرى التي لا تنضب ولا تنحسر ولا تضعف وأنه قادر إذاً على مواجهة الحياة والأحداث والأشياء بمثل قوتها وأقوى ، فما هو باللَّقَى الصائغ ولا بالفرد العاجز وهو يستند إلى قوة الأزل والأبد وإلى ما بينه وبينها من وشائع ، تلك وظيفة العقيدة الدينية وذلك أثرها في النفس والحياة وذلك سر قوة النفس وسر قوة النفس بالعقيدة ، سر تلك الخوارق التي صنعتها العقيدة في الأرض وما تزال في كل يوم تصنعها الخوارق التي تغير وجه الحياة من يوم إلى يوم وتدفع بالفرد وتدفع بالجماعة إلى التضحية بالعمر الفاني المحدود في سبيل الحياة الكبرى التي لا تنضي وتقف بالفرد القليل الضئيل<sup>(٥)</sup> أمام قوى السلطان وقوى المال وقوى الحديد والنار . فإذا هي كلها تنهمز أمام العقيدة الدافعة في روح فرد مؤمن وما هو الفرد الفاني المحدود الذي هزم تلك القوى جميعاً ، ولكنها القوة الكبرى الهائلة التي استمدت منها تلك الروح ، والينبوع<sup>(٦)</sup> المتفجر الذي لا ينضب ولا ينحصر ولا يضعف ، وما تملك عقيدة أخرى غير العقيدة الدينية أن تصل الكائن الفاني بقوة الأزل والأبد وأن تمنع الفرد الضعيف ذلك العون

(١) الشيء الملقي المطروح ج ألقاء.

(٢) المشيخ المختلط المكون من عناصر مختلفة باختلاف مواد الغذاء.

(٣) الوشيج اشتباك القرابة ج وشائع.

(٤) لا تنكسر.

(٥) الضئيل الحقير.

(٦) عين الماء.

والسند ، وأن تصغر في عينيه قوى الجاه والمال وقوى المركز والسلطان ، وقوى الحديد والنار ، وأن تصره على الحرمان والأذى ، وتقدره على الصبر والكفاح<sup>(١)</sup> وتدفعه إلى الموت الذي يخلق الحياة والفناء الذي يمنح الخلود ، والتضحية التي تورث النصر - ومن ثم قيمتها الكبرى في حياة الأفراد وحياة الجماعات سواء ومن ثم ذلك الإصرار الذي نصره على مواجهة مشكلاتنا الاجتماعية ومشكلاتنا القومية ومشكلاتنا العالمية بحلول تباع من عقيدتنا الدينية ، إن هذه العقيدة قوة هائلة في أيدينا وقوة عميقة في كياننا قوة لا يتخلى عنها صاحبها في زحمة الصراع إلا أن يكون به حمق أو سفه .

ونحن نواجه صراعاً ضخماً في الداخل وفي الخارج ، نواجه قوى هائلة متكثلة أكبر من طاقتنا المجردة فإذا كانت عقيدتنا تسعننا في هذا الصراع الضخم بقوى حقيقة واقعة وبحلول عملية واقعة كذلك ؛ فأي ضمير يملك أن يفرط في تلك القوى وأن يتخلى عن هذه الحلول لمجرد أنها نابعة من تلك العقيدة؟

إن بعض النظم الأخرى قد تقدم لنا بعض الحلول لبعض المشكلات في بعض الأحيان ولكن قيمة العقيدة التي ندعو إليها ليست مجرد تقديم الحلول الوقتية للمشكلات الوقتية إن قيمتها أن تقدم هذه الحلول وتقديم معها القوة الضامنة لتحقيقها وحمايتها قوة الدافع الفطري العميق للعقيدة الدينية ، ذلك الدافع الذي لا تملأ فراغه في النفس الإنسانية فكرة فلسفية ولا مذهب اجتماعي ولا نظرية اقتصادية . ذلك أنه أعمق في النفس البشرية من مستوى الفكر والمذاهب والنظريات ، إنه جوعة فطرية لا يسدّها إلا الإيمان جوعة الجسد إلى الطعام والشراب وسائر الضرورات ، وكم يخطئ الذين يخدعهم خمود هذا الدافع فترة أو

(١) مواجهة العدو .

تواريه ، فيحسبونه قد مات ، ويحسبون أنهم يستطيعون بملء فراغه في نفوس الأفراد والجماعات ، بمذاهب فلسفية أو نظريات اقتصادية أو أفكار اجتماعية وسرعان ما يتبيّن لهم خطؤهم حينما تنقض العقيدة الخامدة من حيث لا يحسبون ، فتأتي بالخوارق في حياة الفرد وفي حياة الجماعة هذه العقيدة التي كانت منذ لحظة خامدة هامدة لا توحّي بأمل ولا ينبث منها رجاء وإن هي إلا فترة كموت يحسبها الجاهلون موتاً ، ويدرك العارفون أنها طور من أطوار النفس البشرية المليئة بالمسارب والمداخل وبالمنعرجات والدروب .

تلك الخوارق التي تأتي بها العقيدة الدينية في حياة الأفراد وفي حياة الجماعات لا تقوم على خرافات غامضة ولا تعتمد على التهاويل والرؤى ، إنها تقوم على أسباب مدركة وعلى قواعد ثابتة ، إن العقيدة الدينية فكرة كلية تربط الإنسان بقوى الكون الظاهرة والخفية ، وتثبت روحه بالثقة والطمأنينة ، وتحمّل القدرة على مواجهة القوى الزائلة والأوضاع الباطلة بقوّة اليقين في النصر وقوّة الثقة في الله ، وهي تفسر للفرد علاقاته بما حوله من الناس والأحداث والأشياء وتوضح له غايته واتجاهه وطريقه وتجمع طاقاته وقواه كلها وتدفعها في اتجاهه . ومن هنا كذلك قوتها قوة تجميع القوى والطاقة حول محور واحد وتوجيهها في اتجاه واحد تمضي إليه مستنيرة الهدف في قوّة وفي ثقة وفي يقين ، والشخصية الإنسانية السوية وحدة متماسكة ، فهي في حاجة إلى عقيدة موحدة تصدر عنها في كل اتجاه وتستلهمها في الشعور والسلوك وتستهددها في مواجهة الكون والحياة وترجع إليها في كل صغيرة وكبيرة . وفضل هذه العقيدة في حياة كل إنسان أن تكون نقطة ارتكاز تجمع إليها خيوط حياته ونشاطه ، فلا تتمزق شخصيته وتتبعر ولا يدركها القلق والحيرة والاضطراب وكلما قويت هذه النقطة واشتلت صلاتها بالخيوط المنبثقة هنا وهنالك في حياة الفرد ونشاطه كانت شخصيته أقوى لأنها أكثر تجمعاً وكانت خطواته أهدى

لأنها أوحد طریقاً ، والعقيدة التي تتسع لكل ألوان النشاط الإنساني هي عقيدة أفضل وأكمل من العقيدة التي تنظم بعض ألوان النشاط وتقتصر عن بعضها ، وكلما ثاب الفرد في نشاطه كله إلى عقيدة واحدة كان ذلك أفضل له وأيسر من أن يرجع في ألوان نشاطه إلى عقائد متفرقة . إن وحدة العقيدة هي تتحقق وحدة الشخصية دون أن تجور على ألوان نشاطه المتعددة ودون أن تضيق مجال النشاط أو تحده ودون أن تمزقها طرائق قددا<sup>(١)</sup> وتوقع بينها الاضطراب أبداً والعقيدة الروحية التي لا رأي لها في السلوك الاجتماعي والعلاقات الاقتصادية والنظم العالمية كالنظرية الاجتماعية التي لا رأي لھو في الاعتقاد الروحي والتنظيم الدولي كالفكرة الفنية التي لا علاقة لها بالسلوك أو الاعتقاد أو النظام كلها محاولات ناقصة لا تملك أن تنظم للإنسانية حياتها كاملة ولا أن تتحقق للشخصية الإنسانية التماسک والاتساق ، إن الفرد كالجماعة في حاجة ملحة إلى عقيدة تتسع لكل ألوان النشاط الحية وتهيمن على اتجاهاتها جميعاً لتدفع بها كلها في طريق الإنشاء والبناء والنمو والفترات التي يهتدي فيها الفرد أو تهتدي فيها الجماعة إلى مثل هذه العقيدة و تستجيب لها استجابة كاملة و تتحققها في واقع الحياة... هي الفترات التي تتحقق فيها البشرية ما يبدو بأنه معجزات وما يصعب تفسيره إلا على ضوء الوحدة التي تجمع الطاقة وتصونها عن التبدد والتمزق وتدفع بها كلها في اتجاه واحد كالتيار الجارف وكالسيل الجبار.

والعقيدة الإسلامية هي المثال الواحد الذي عرفته الإنسانية في تاريخها الطويل في هذا المجال إنها العقيدة التي تتسع فتشمل كل نشاط الإنسان في كل حقول الحياة فلا تقتصر مهمتها على حقل دون حقل ولا على اتجاه دون اتجاه إنها لا تدع ما لقيصر لقيصر ، وما لله الله ، فما لقيصر وقيصر

(١) جمع قِدَة بكسر القاف وهي الفرقـة.

ذاته في العقيدة الإسلامية كله الله وما لقيصر حق ليس للفرد من رعاياه وأنها لا تتولى روح الفرد وتهمل عقله وجسده أو تتولى شعائره وتهمل شرائعه ، أو تتولى ضميره وتهمل سلوكه وأنها لا تتولاه فرداً وتهمله جماعة ولا تتولاه في حياته الشخصية وتهمل نظام حكمه أو علاقات دولته .

إنها الفكرة الكاملة الشاملة التي تمتد خيوطها في الحياة الإنسانية امتداد الشريين في الكائن الحي وامتداد الأعصاب<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

---

(١) الإسلام والسلام العالمي .

# عالِم

## للأستاذ علي الطنطاوي<sup>(١)</sup>

حدثني بعض مشايخي عمن رأى بعينه وسمع بأذنه . قال :

وَقَعَتِ الصِّيَحَةُ فِي « حَيِّ الْمَيْدَانِ » أَجْلَ أَحْيَاءِ دَمْشَقَ وَأَكْبَرُهَا ، صِبَحَةُ  
 يَوْمِ مِنْ أَيَّامِ سَنَةِ ١٨٣١ بِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ باشا قَادِمٌ لِزِيَارَةِ عَالَمِ الشَّامِ الشَّيْخِ  
 سَعِيدَ<sup>(٢)</sup> الْحَلَبِيِّ فِي مَسْجِدِهِ وَإِبْرَاهِيمَ باشا مَنْ قَدْ عَلِمَتْ فِي بَطْشِهِ  
 وَجَبْرُوتِهِ . وَمَنْ يَدْعُ إِلَى السَّيفِ أَسْرَعُ مِنْ لِسانِهِ إِلَى القَوْلِ وَعَيْنِهِ إِلَى  
 النَّظَرِ . . . وَمَنْ كَانَ جَبَارًا سُورِيًّا وَفَاتَحَهَا وَسَيَدَهَا ، فَطَارَ الْفَزْعُ بِالْبَابِ  
 الْمَيْدَانِيِّينَ ، وَهُمْ فَرَسَانُ دَمْشَقَ وَحَمَاتِهَا ، وَأَقْبَلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضِ  
 يَتَسَاءَلُونَ مَاذَا يَصْنَعُونَ؟ إِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ الشَّيْخَ لَا يَقِيمُ وَزَنًا لِأَحَدٍ مِنْ أَبْنَاءِ  
 الدِّينِ ، فَلَا يَبْجُلُ<sup>(٣)</sup> سُلْطَانًا لِسُلْطَانِهِ ، وَلَا يُوقِرُ غَنِيًّا لِغَنَاهُ ، وَلَا يَقِيسُ  
 النَّاسَ بِمَا عَلَى جَسُومِهِمْ مِنْ ثِيَابٍ ، وَلَا بِمَا فِي صَنَادِيقِهِمْ مِنْ مَالٍ ،  
 وَلَا بِمَا يَبْتَزُونَ<sup>(٤)</sup> مِنْ أَمْوَالِ الدُّولَةِ . وَلَكِنَّ يَقِيسُهُمْ بِمَا فِي نَفْوِهِمْ مِنْ  
 فَضَائِلٍ ، وَمَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ إِيمَانٍ ، وَمَا فِي رُؤُوسِهِمْ مِنْ عِلْمٍ ، وَإِذَا نَظَرَ

(١) تقدمت ترجمته في الجزء الأول.

(٢) كان عالم الشام قبل طبقة الشيخ محمود الحمزاوي والشيخ محمد طنطاوي والشيخ بكر العطار وأصحابهم.

(٣) لا يوقر.

(٤) يستلبون.

الناس من خارج فرأوا الطليل سميناً عظيماً ، نظر من داخل فرآه حالياً حقيراً . . .

وكانوا يخشون أن يسوء ذلك من شأنه البasha ، ويودون لو رجوا البasha ، ولكن كيف يصلون إليه وهو في قصره ، حوله الحجاب والأغوان ، والجند بالسلاح ، ومن حوله الموت ألواناً وأشكالاً ، يحمي حماه ، ويحرس أبوابه . . . ويتمون لو رجوا الشيخ ، ولكن الشيخ أعز من مئة ملك جبار ، تحميته هيبة ، ويحرسه تقواه ، وتحف به الملائكة واضعة له أجنحتها .

ولم يكونوا يخافون أن ينال الشيخ سوء فهذا شيء تحيله عقولهم لما استقر فيها من إجلال الشيخ وإكباره ولا تراه أبصارهم ، لأنهم يقضون عن آخرهم قبل أن تراه أبصارهم ولكنهم كانوا يخشون الشيخ على البasha ، ويخشون البasha على نفوسهم .

ومضوا يقيمون معالم الزينة ، ويبنون أقواس النصر ، ويرفعون الرایات على طريق البطل الفاتح ، ويقطفون<sup>(١)</sup> أزهى أزهار الغوطة ليشروها عليه . . . فما كان الأصيل<sup>(٢)</sup> حتى تم كل شيء ، وأقبل البasha في الموكب<sup>(٣)</sup> الفخم ، والجند والسلاح والدببة . . . حتى انتهى إلى باب المسجد وكان باباً صغيراً ، فاعتراض البasha كأنه يقول له : ارجع أو ارجع دنياك . إنك تدخل بيت الله بشرأً خاضعاً ، أما أن تكون تزوير إله . . . بألف عبد ، وألف ثوب ، فلا إله لا يجتمع ميراث النبوة التي جاءت بالتوحيد والمساواة ، ببقايا الجاهلية التي قامت على الشرك والتمييز بين الناس ، إلا محى أحدهما . . . فانظر هل محا باطل حقاً؟

(١) يجنون.

(٢) الوقت بين العصر والمغرب.

(٣) الجماعة مشاة وركباناً.

قال الراوي : وتردد البasha هنيهة<sup>(١)</sup> يفكر ، ثم أبعد أعوانه وترجل ودخل المسجد منفرداً ، وكان الشيخ جالساً على حصير قد وضعت فوقه حشية وكان ماداً رجله فسمعته يقول :

... والمرء إذا خاف الله ، وصدق في مخافته ، خافه كل شيء ، لأنه لا يرى كبيراً إلا صغره عنده أن الله أكبر... الله أكبر. إن لهذه الكلمة سرألهياً ولكن المسلمين استعجموا فلا يرددون منها إلا حروفها فارغة من المعنى ، وما فرض الله على المسلم أن يقولها كل يوم (٨٥) مرة<sup>(٢)</sup> أقل ما يقولها ويسمعها من المنارة ثلاثين مرة<sup>(٣)</sup> ... إلا ليعلم أنه لا كبير في الدنيا وأن من كان مع الله لم يبال شيئاً: لا الملك ولا المرض ولا الوحش ، فلو أن المسلم عرف معنى هذه الكلمة وهو يقولها ما عرف الذل ولا الجبن ولا الكسل.

قال رجل من طرف الحلقة :

فإن قتله الملك يا سيد الشيخ ، أو أماته المرض؟

فقال الشيخ: سبحان الله! وهل يهاب المسلم القتل؟ أو يبغض الموت؟ إن الموت شديد لأنه انقطاع اللذات ، وخسران الدنيا ، ولكنه لا يكون بهذا المعنى إلا عند الكافر الذي يعيش في الدنيا ، ويستمتع بملاذها ، أما من كان يتهيأ فيها للعيشة الخالدة ويقيم فيها كالمستعد للسفر ، ويرقب ساعته كما يرقب المسافر ساعة القطار ، ويراه حين يمضي ليلقى ربه، كالآيب إلى وطنه حين يذهب ليلقى أهله وصحابه.... من كان هذا شأنه لا يرى في الموت موتاً ، وإنما يرى فيه

(١) ساعة يسيرة.

(٢) إن صلى الصلوات المفروضة ١٧ ركعة كل يوم وذلك ما لا يكون المسلم مسلماً إلا به.

(٣) في كل أذان ست مرات.

ولادة جديدة ، وابتداء حياة ، وقد حفظنا من مشايخنا: أن أفضل الشهداء  
رجل يقول كلمة حق عند إمام جائز فيقتله بها... .

وكان البasha قد وقف على الحلقة متخفياً ، مصعراً خده ، شامخاً  
بأنفه ، ونظر إليه الشيخ رحمة الله فلم يتغير ولم يبدُ عليه أنه رأى فيه أكثر  
من رجل وأشار إليه أن اجلس كما كان يفعل بغيره ، فلم يتمالك البasha أن  
جلس... . ونظر في الحاضرين يقلب فيهم بصره ، يفتش عن شيء أضاعه  
فيهم عن الخصوص والإكبار للذين تعود أن يراهما حوله دائماً ، ينتظر أن  
يقوموا له ، وأن يقفوا بين يديه صفاً ، ولم يدر أن القوم كانوا في غير هذا.  
لم يدر أن الشيخ قد علا بهم ، حتى جعلهم يطلون<sup>(١)</sup> على الدنيا من شرفة  
طiarة ، أو من قطع السحاب فيرون الأرض كلها كمحض قطة<sup>(٢)</sup> ،  
ولا يرون في البasha العظيم إلا نملة... . فمن ذا الذي يحفل بنملة... .

وأجال البasha نظره فيهم حتى علق برجل الشيخ ، وكانت ممدودة  
نحوه ، فأثار مراها كبراءه وسلطانه ، ورأى فيها علامه تعجب أضيفت  
إلى عظمته وجلاله ، إضافة سخرية وتهكم ورأها كبيرة في عينه ، وحسن  
كأنما هي في عينه ، ونظر في الحاضرين ألم يجرد واحد منهم سيفه يتقرب  
إلى البasha بقطّها<sup>(٣)</sup>? وكان البasha ينظر بعين بصره المادية لم تفتح بعد عين  
بصيرته المعنية ، فيفضل بين قصره وسريره ، ومكان الشيخ وحصيره ،  
وبين جنده وأعوانه ، وتلاميذ الشيخ وإخوانه ، فيوقن أن دنيا الشيخ كلها  
لا تثبت لحظة لسيفه الذي لم تثبت له دنيا الخليفة العثماني (إمبراطور  
الشرق)... .

وكان كالأسد الذي زعموا أنه مر على قبليه من القنابل

(١) يشرفون.

(٢) الموضع الذي تفحص القطة التراب عنه لتبيض فيه.

(٣) بقطّها.

المدمرة<sup>(١)</sup>... ملقاء في أجمته فعجب منها وحقرها وقال: ويحك أي حيوان أنت؟ يا للضعف والمهانة! أين الأناب؟ أين المخالف؟ أين... أين...؟ يا للهوان ماذا يصنع بأهله؟ قالوا ثم ركلها<sup>(٢)</sup> برجله ، فانفجرت القنبلة وانفجرت القنبلة من فم الشيخ فرجع يتكلم.

قال: ومن عجيب صنع الله في الإنسان أن خلقه حيواناً كالحيوان ، ولكنه وضع فيه ملكاً ووضع فيه شيطاناً ، فمن كان همه من دنياه لذاته بطنه وفرجه ، وابتغاهما من حل ولم يعرف غيرهما لم يكن فيه إلا الحيوان ، فهو يرتع كما يرتع الحمار ، ويتبعد غريزته كما يتبع . ومن كان همه اللذة من حل وحرمة ومن كان لا يبالي ما اجترح من السيئات لم يكن فيه إلا الشيطان ، وكان العقرب والخنساء<sup>(٣)</sup> خيراً منه ، لأن مصيرهما إلى التراب ومصيره إلى النار . ومن كان همه أن يعيش في هذه الحياة كما يعيش في مدرسة يتلقى فيها أساليب الكمال ، ليعيش من بعد في أساليب الكمال ، فهو الإنسان حقاً....

ومن عجيب صنع الله في الإنسان أنه وضع في نفسه الملك ، فلا يحتاج مهما كان ضالاً فاسقاً ظالماً إلا إلى تنبية الملك في نفسه ، ليطرد الشيطان ، ويقود الحيوان ، فلست أنت الذي يعظه ولكنه يعظ حينئذ نفسه ، وهذا معنى قولهم: [من السريع]

لا تنتهي النفس عن غيها    مالم يكن منها لها زاجر وذلك ثوابه في الجنة ، والجنة لا تكون بالتشهي والأمل ، ولكن بالجد والعمل . ولو أن تلميذاً أمضى عامه في لعبه ولهوه ، ثم تمنى النجاح ، أكان ينجح؟ ولو أن صياداً ألقى بندقيته فلم يضرب بها ورمى شبكته<sup>(٤)</sup> فلم

(١) المهلكة.

(٢) ضربها برجله.

(٣) دوبية سوداء أصغر من الجعل كريهة الرائحة.

(٤) شركة الصياد.

ينصبها ، ثم حلم بالقنيصة ، أكانت أحلامه تudo في أثر الغزال حتى تأتي به مكتوفاً؟ أم كانت السمكة تأتيه وحدها وعلى ظهرها الملح والفلفل تقول له : كُلني؟

قال رجل : ولكن القلوب قست يا سيدِي الشیخ ! فما علاجها؟

قال : إن الشیطان لا يأتي إلا من إشعاره الكمال ، فأشعر نفسك النقض ، وذکرها في الصحة المرض ، وفي الحياة الموت ، ولقد أدركنا من مشايخنا إذا قسا قلبه أم المستشفى أو قصد المقبرة ، فخوف نفسه المرض وذکرها الموت . والمؤمن لا يزال بخير ما زال بين الخوف والرجاء ، فإن لم يخف أو لم يرج فقد هوى . . . ولقد سمعنا أن منهم من كان يدْنِي يده من المصباح ويقول : يا نفس ! إن لم تصبر على هذا فكيف وبحك تصبرين على نار جهنم ؟ وإن المؤمن ما ثارت في نفسه شهوة إلا أطفأها بأنهار الجنة ، أو أحرقها ب النار جهنم فاستراح منها . . . .

وما الإنسان لولا العقل ؟ وكيف يكون العقل إن لم يكن معه الإيمان ؟ إنه لا يكون إذن إلا كما قالوا : أوله نطفة مذرة<sup>(١)</sup> ، وآخره جيفة قدرة ، وإن للسلطان لسكرة فيمن أسكنه سلطانه وعزته على الناس ، فليذكر هوانه على الله ، وأن الله أهلك أشد الملوك : النمرود ، بأضعف الخلق : البعض .

فيما مَنْ أصله من التراب ، لا تنس أن نهايتك إلى التراب .

وكان الباشا يشعر والشيخ يتكلم ، كأنه كان محبوساً في صندوق ، ثم فتح عينيه فشقق<sup>(٢)</sup> الهواء الطلق<sup>(٣)</sup> أو كأنه كان في ظلمة فاحمة<sup>(٤)</sup> فطلع

(١) أي خبيثة وفاسدة .

(٢) شم .

(٣) أي صاف خال عن الغبار .

(٤) السوداء أي الشديدة .

الشيخ عليه شمساً نيرة فتضاءل<sup>(١)</sup> حتى جلس على ركبتيه ، ورأى نفسه دون هؤلاء كلهم ، لأنهم ألقى منه بالشيخ وأدنى إليه ، ولم يعد يزعجه مرأى الشيخ وهو ماد رجله .. بل كان يراه الغريق ويراها خشبة النجاة وكان يبصرها غالياً كجناح النسر المحلق<sup>(٢)</sup> ، ثم لم يعد يرى فيها شيئاً ، لقد استحال الشيخ في نظره إلى فكرة .. . . لم يعد يرى فيه إلا الحقيقة تمثلت إنساناً.

قال الراوي : فلما ذهب البasha ، بعث إلى الشيخ بكيس فيه ألف دينار من الذهب العين . فلما جاءه به الرسول وألقاه بين يديه تبسم الشيخ رحمه الله ورده إليه ، وقال له : سلم على سيدك وقل له : إن من يمد رجله لا يمد يده .. . . <sup>(٣)</sup>

\* \* \*

(١) صُفْرٌ وضُعْفٌ .

(٢) الذي يرتفع في طيرانه ويستدير كالحلقة .

(٣) تقصص من التاريخ .



## **الفهارس الحامة**

- فهرس الآيات الكريمة
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة
- فهرس القبائل
- فهرس الأماكن
- فهرس الأعلام
- فهرس الموضوعات

## فهرس الآيات الكريمة

الآية	رقم الآية	رقم الجزء / الصفحة
(٢) سورة البقرة		
﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ ﴾		
١٢٦/٢      ١٩٠		
(٣) سورة آل عمران		
﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُعْبُدُونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ﴾		
﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾		
﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَنْجُذُوا الْمُلْكَةَ وَالنِّسَكَ ﴾		
١٢٨/٢      ٣١		
١٢٨/٢      ٦٩		
٣٧/٢      ٨٠		
(٤) سورة النساء		
﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾		
٦٢/٢      ١٦٥		
(٥) سورة المائدة		
﴿ يَأَيُّهَا الرَّسُولُ يَلْعَنَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ ﴾		
﴿ يُمْهِدُونَكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ ﴾		
٦٥/٢      ٥		
١٢٨/٢      ٥٤		
(٦) سورة الأنعام		
﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ يَعَايِثُونَ اللَّهَ ﴾		
٦٤/٢      ٣٣		
(٨) سورة الأنفال		
﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَقًّا لَا تَكُونُ فِتْنَةً ﴾		
١٥٧/٢      ٣٩		

(٩) سورة التوبة		
١٢٦/٢	٤١	﴿أَنْفَرُوا خَفَافًا وَثِقَالًا وَجَهْدًا وَأَمْوَالَكُمْ﴾
١٢٧/٢	١١١	﴿إِنَّ اللَّهَ أَشَرَّى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفَسَهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ﴾
(١١) سورة هود		
٨٨/٢	٤٤	﴿وَقَيلَ يَكْأَرْضُ أَبْلَعِي مَاءً لِي وَنَسَمَاءً﴾
(١٣) سورة الرعد		
٧/٢	٥ - ١	﴿الْمَرْتَلَكَ مَا يَنْتَهِ الْكِتَبُ وَالَّذِي أُنْزَلَ﴾
٨/٢	١٦ - ٦	﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ...﴾
٩/٢	٢٢ - ١٧	﴿أُنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُ...﴾
(٣٣) سورة الأحزاب		
١٠/٢	١٦ - ٩	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نُعْمَةَ اللَّهِ...﴾
١١/٢	٢٧ - ١٧	﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ...﴾
(٣٧) سورة الصافات		
٦٤/٢	١٧٣	﴿وَلَنَ جُنَاحَنَّا لَهُمُ الْغَنَائِلُونَ﴾
(٤٠) سورة غافر		
١٢٣/٢	٦١	﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَيْلَلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾
(٤٨) سورة الفتح		
٢٩/٢	٢٤	﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَ أَيْدِيهِمْ عَنْكُمْ﴾
(٥٢) سورة الطور		
١٢١/٢	١٥	﴿أَفَسِرْحُ هَذَا مَأْنَتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾
(٦٠) سورة المتحنة		
٢٨/٢	١٠	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَهُمُ الْمُؤْمِنَاتُ﴾

٣٠/٢      ١١      ﴿ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَنْوَارِنَا كُمْ إِلَى الْكُفَّارِ ﴾

٦١) سورة الصاف

١٢٧/٢	١٠	﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدْلَكُمْ ﴾
١٢٧/٢	١١	﴿ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمُجَاهِدُونَ ﴾
١٢٧/٢	١٢	﴿ يَقْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبُكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّتِ ﴾
١٢٧/٢	١٣	﴿ وَآخَرَى تُحِبُّونَهَا ﴾

(٨٨) سورة الغاشية

١٣٨/٢	١٧	﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْأَيْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾
-------	----	---

\* \* \*

## فهرس الآثار والأحاديث النبوية الشريفة

الصفحة / رقم الجزء	طرف الحديث أو الأثر
-أ-	
١٦٨ / ٢ ..... إنما نجىء لقتال أحد ..... انتدب الله لمن خرج في سبيله ..... أيما عبد من عبادي خرج مجاهدا .....	أشيروا إليها الناس علىيَّ
-غ-	
١٣٠ / ٢ ..... غدوة في سبيل الله أو روحه خير .....	غدوة في سبيل الله أو روحه خير .....
-ك-	
١٥ / ٢ ..... كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان .....	كان دائم البشر ، سهل الخلق .....
-ل-	
٢٦ / ٢ ..... لم يكن فاحشاً متفحشاً ولا صخباً .....	لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله .....

ما خلأه القصواه وما ذاك لها بخلق ..... ٢٢ / ٢  
 مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم ..... ١٣٠ / ٢

- و -

ويل أمه مسرع حرب ..... ٢٩ / ٢

- ي -

يا عماه لو وضعوا الشمس في يميني والقمر ..... ١٥٥ / ٢



## فهرس الأمم والقبائل

القبيلة	رقم الجزء / الصفحة
آل الفرات .....	٩٨/٢
أسد .....	٧٧/٢
الأندلسيون .....	١٣٢/٢
- آ -	
البصريون .....	١٣٢/٢
البغداديون .....	١٣٢/٢
بني كنانة .....	٢٥/٢
بني هاشم .....	٦٣/٢
- ب -	
تميم .....	٧٧/٢
- خ -	
خراء .....	٢٢/٢
- ر -	
ربيعة .....	٧٧/٢

الروماني ..... ١٦٠/٢

-ع-

عذرة ..... ٧٧/٢  
العرب .. ٧٨ ، ٧٧ ، ٦٦ ، ٦٥ ، ٦٤ ، ٦٣ ، ٥٦ ، ٢٦ ، ٢٤/٢  
١٦٥ ، ١٦٢ ، ١٦١ ، ١٦٠ ، ١٥٩ ، ١٥٣ ، ١٥٢ ، ١٤٢ ، ١٣٨

-غ-

غامد ..... ٤١/٢

-ق-

قريش ..... ١٦٨ ، ١٥٥ ، ٦٣ ، ٤٢ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ٢٣ ، ٢١/٢

-ك-

كعب ..... ٧٧/٢  
كلاب ..... ٧٧/٢  
الكافيون ..... ١٣٢/٢

-م-

المصريون ..... ١٤٧/٢

-ن-

نمير ..... ٧٧/٢

-ي-

اليهود ..... ١٤٧/٢

## فهرس الأماكن والبلدان

المكان	رقم الجزء / الصفحة
أحد	١٢٨/٢ .....
اسبانيا	١٦١/٢ .....
اشبيلية	١٦٠/٢ .....
إفريقية	١٤٨/٢ .....
الأنبار	٤١ ، ٤٠/٢ .....
الأندلس	١٦١ ، ١٦٠ ، ١٥٩ ، ١٥٨ ، ٤٩/٢ .....
الأهواز	٥٢/٢ .....
أوربا	١٤٦/٢ .....
أوسترليتن	١٤٩/٢ .....
- ب -	
باريس	١٤٨/٢ .....
البحر المتوسط	١٦٠/٢ .....
بدر	١٦٨/٢ .....
البصرة	٩٢/٢ .....
بغداد	١٤٧ ، ١٢٤ ، ١٠١ ، ٩٥ ، ٩٣/٢ .....

- ت -

٢٣/٢ ..... تهامة

- ث -

١٤٨/٢ ..... ثيبة

- ج -

١٨/٢ ..... الجاية

١٠٠/٢ ..... جرجان

- ح -

٢٣ ، ٢٢ ، ٢١/٢ ..... الحديبية

- د -

١٨١/٢ ..... دمشق

٥٢/٢ ..... دير الجمامجم

- ذ -

٢٨/٢ ..... ذو الحليفة

- ر -

١٦٩/٢ ..... الروم

١٤٨/٢ ..... رومة

- ز -

٥٢/٢ ..... الزاوية

١٠٥ ، ١٠٤/٢ ..... زبيد

- س -

١٨١/٢ ..... سوريا

١٤٨/٢ ..... سويسرة

-ش-

الشام ..... ٢٩/٢ ، ٥٣ ، ٩٩ ، ١٧٥ ، ١٧٩ ، ١٨١

-ط-

طليطلة ..... ١٧٠/٢

-ع-

العراق ..... ٥٣ ، ٥١/٢ ، ٩٩

عكا ..... ٢٣/٢

عمورية ..... ١٤٨/٢

-غ-

غار ثور ..... ١٧٢/٢

غار حراء ..... ١٧٢ ، ١٧٠/٢

غرناطة ..... ١٦٠/٢

الغوطة ..... ١٨٢/٢

-ف-

فارس ..... ١٦٩/٢

الفرات ..... ١٠٠/٢

فينيقيا ..... ١٤٨/٢

-ق-

القادسية ..... ١٤٨/٢

قرطبة ..... ١٦٠ ، ١٤٧/٢

-ك-

الковة ..... ٤٧/٢

- ل -

لـكـهـنـوـ ..... ٦/٢ .....

- م -

المـدـيـنـةـ الـمـنـورـةـ ..... ١٥٢ ، ١٥١ ، ١٢٤ ، ٢٩ ، ٢٨/٢ .....

مـصـرـ ..... ١٤٩ ، ١٣٢/٢ .....

الـمـغـرـبـ ..... ١٦٠ ، ١٣٢/٢ .....

مـكـةـ الـمـكـرـمـةـ ..... ١٥٢ ، ١٥١ ، ١٢٤ ، ٢٧/٢ .....

- ن -

نيـويـورـكـ ..... ١٤٨/٢ .....

- ه -

الـهـنـدـ ..... ١٣٨/٢ .....

- ي -

اليـمـنـ ..... ١٦٥ ، ٧٧/٢ .....

اليـونـانـ ..... ١٦٠/٢ .....

## فهرس الأعلام

الاسم	رقم الجزء/الصفحة
-	-
إبراهيم باشا .....	١٨١ / ٢ .....
إبراهيم عليه السلام .....	١٦٥ / ٢ .....
ابن أبي طالب .....	٤٢ / ٢ .....
ابن بشير .....	١٣١ / ٢ .....
ابن بلكا .....	٧٩ / ٢ .....
ابن جبير الأندلسي .....	١٢٠ / ٢ .....
ابن جني .....	١٣٢ / ٢ .....
ابن الجوزي .....	١٢٠ / ٢ .....
ابن الحاجب .....	١٣٢ ، ١٣١ / ٢ .....
ابن خلدون .....	١٣١ / ٢ .....
ابن رشد .....	١٥٠ / ٢ .....
ابن عائشة .....	٤٠ / ٢ .....
ابن العميد .....	٨٤ ، ٧٩ / ٢ .....
ابن القيم .....	١٢٦ / ٢ .....
ابن مالك .....	١٣٣ ، ١٣٢ / ٢ .....
ابن هشام .....	١٣٢ / ٢ .....

- ابن يونس ..... ١٣١ / ٢  
 أبو إسحاق بن محمد البصري ..... ٩٦ / ٢  
 أبو بصير ..... ٣٠ ، ٢٩ ، ٢٨ / ٢  
 أبو بكر الصديق ..... ١٦٤ و ١٦٣ ، ١٥١ ، ٣٤ ، ٣١ ، ٢٧ ، ٢٤ / ٢  
 ١٦٩ ، ١٦٨ ، ١٦٦ ، ١٦٥  
 أبو تمام ..... ٨٩ / ٢  
 أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف ..... ٢٩ ، ٢٧ / ٢  
 أبو جهم ..... ٣٠ / ٢  
 أبو الحسن ..... ٢٠ / ٢  
 أبو الحسن ، علي الحسني الندوبي ..... ٦ / ٢  
 أبو حية ..... ٩٠ / ٢  
 أبو زيد ..... ١١٥ ، ١١٤ / ٢  
 أبو سليمان ..... ٩٦ / ٢  
 أبو صالح ..... ١٩ / ٢  
 أبو طالب ..... ١٥٥ / ٢  
 أبو العباس ..... ٩٩ / ٢  
 أبو عمران الحصيري ..... ٩٨ / ٢  
 أبو الفتح الاسكندراني ..... ١٠٣ ، ١٠١ ، ٩٣ ، ٩٢ / ٢  
 أبو الفرج الأصفهاني ..... ٧٥ / ٢  
 أحمد حسن الزيات ..... ١٧٠ / ٢  
 الأخنس بن شريق ..... ٣٠ / ٢  
 أسامة بن زيد ..... ١٦٨ ، ١٦٦ / ٢  
 إسماعيل عليه السلام ..... ١٦٥ / ٢  
 أم سلمة ..... ٢٨ / ٢  
 أيوب ..... ٢٦ / ٢

-ب-

- باكون ..... ١٤٨/٢  
 البحترى ..... ٨٩/٢  
 بديع الزمان الهمذانى ..... ٩٢/٢  
 بديل بن ورقاء الخزاعي ..... ٢٤ ، ٢٣ ، ٢٢/٢  
 بلال الحبشي ..... ١٥١/٢  
 بلوخر ..... ١٤٨/٢  
 بنان ..... ١٦٩/٢  
 بونابرت ..... ١٤٩/٢

-ج-

- جابر ..... ١٢٨/٢  
 الجاحظ ..... ٦٧/٢  
 جرول الخزاعي ..... ٣٠/٢  
 جرير ..... ٧٨ ، ٧٧/٢

-ح-

- الحارث بن همام ..... ١١٧ ، ١١٤ ، ١١١ ، ١٠٤/٢  
 الحجاج بن يوسف الثقفي ..... ٥١/٢  
 الحريري ..... ١٠٤/٢  
 حسان بن ثابت ..... ٤١ ، ٤٠/٢

-خ-

- خالد بن الوليد ..... ١٤٨ ، ٢١/٢  
 خديجة بنت خويلد ..... ١٥١/٢  
 الخولنجي ..... ١٣٣/٢

## - د -

- داروين ..... ١٤٩/٢  
 داود ..... ١٦٥/٢  
 ديكارت ..... ١٤٩/٢

## - ر -

- رسو ..... ١٤٨/٢  
 الرشيد ..... ١٥٧ ، ٦٢/٢  
 ركن الدولة ..... ٧٩/٢

## - ز -

- الزهري ..... ٣٠ ، ٢٨ ، ٢٦/٢  
 زياد بن أبيه ..... ٤٥/٢

## - س -

- سبنر ..... ١٤٨/٢  
 سعد بن أبي وقاص ..... ١٤٨/٢  
 سعيد الحلبي ..... ١٨١/٢  
 سهيل بن عمرو ..... ٢٧ ، ٢٦/٢  
 سيبويه ..... ١٣٢/٢  
 سيد قطب ..... ١٧٥/٢  
 سيف الدولة ..... ١٤١/٢

## - ش -

- شكسبير ..... ١٥٠/٢

## - ص -

- الصاحب بن عباد ..... ٨٤/٢  
 صفوان بن أمية ..... ٢٨/٢

١٤٨/٢ .....	صلاح الدين
-	
٢٠ ، ١٩/٢ .....	ضرار بن ضمرة
-	
٤٩/٢ .....	طارق بن زياد
٣٦/٢ .....	طلحة بن معدان
-	
-	
٢٣/٢ .....	عامر بن لوي
٣٠/٢ .....	عائشة أم المؤمنين
١٦٣/٢ .....	عباس محمود العقاد
٦/٢ .....	عبد الحفيظ البلياوي
٥٧/٢ .....	عبد الحميد الكاتب
٨٧/٢ .....	عبد القاهر الجرجاني
١١٨/٢ .....	عبد الكريم
٣٨/٢ .....	عبد الله بن قيس
٧٨ ، ٧٧ ، ٧٥/٢ .....	عبد الملك بن مروان
٣٠/٢ .....	عروة
٢٥ ، ٢٤ ، ٢٣/٢ .....	عروة بن مسعود
١٦٩/٢ .....	عقبة بن عامر
٢٦/٢ .....	عكرمة
١١٨/٢ .....	علم الدين بن النحاس
١٥١ ، ٤٣ ، ٤٠ ، ١٩/٢ .....	علي بن أبي طالب
١٨١/٢ .....	علي الطنطاوي
٩٠/٢ .....	عمر بن أبي ربيعة
١٦٦ ، ١٤٧ ، ٣٨ ، ٣٦ ، ٣٠ ، ٢٨ ، ٢٧ ، ١٧/٢ .....	عمر بن الخطاب

- ٥٤/٢ ..... عمر بن عبد العزيز  
 ٩٦/٢ ..... عمران الطرائفي  
 ١٦٩ ، ١٤٩/٢ ..... عمرو بن العاص  
 ١٠٣ ، ٩٢/٢ ..... عيسى بن هشام

## -غ-

- ١٤٩/٢ ..... الغزالى

## -ق-

- ١١٨/٢ ..... القاضي الفاضل  
 ٣٠/٢ ..... قريبة بنت أبي أمية  
 ٦٢/٢ ..... قسطنطين  
 ٢٥/٢ ..... قيسر

## -ك-

- ١٠٧/٢٥/٢ ..... كسرى  
 ٢٣/٢ ..... كعب بن لؤي  
 ٦٧/٢ ..... الكندي

## -ل-

- ١٣١/٢ ..... اللخمي

## -م-

- ١٢٥/٢ ..... مالك  
 ١٥٠ ، ١٤٣ ، ٩٠/٢ ..... المتنبي  
 ٦٢/٢ ..... محمد بن الليث  
 ٦/٢ ..... محمد الرابع الحسني  
 ١٥٨/٢ ..... محمد كرد علي  
 ١٣٧/٢ ..... محمود بن محمد الجونفوري

٢١/٢ .....	مروان .....
٢١/٢ .....	المسور بن مخرمة .....
١٥١/٢ .....	مصطففي صادق الرافعي .....
١٤٤/٢ .....	مصطففي لطفي المنفلوطي .....
٣٠/٢ .....	معاوية .....
٩٣ ، ٤٠ ، ٢٨ ، ٢٠ ، ١٩/٢ .....	معاوية بن أبي سفيان .....
٦٧/٢ .....	معبد .....
١٥٠/٢ .....	المعري .....
٢٦/٢ .....	معمر .....
٢٤/٢ .....	المغيرة بن شعبة .....
٢٧ ، ٢٦/٢ .....	مكرز بن حفص .....
٥٤/٢ .....	منصور بن غالب .....
١٦٦/٢ .....	المهاجر بن أبي أمية المخزومي .....
١٤٨/٢ .....	موسى بن نصیر .....

-ن-

١٤٨/٢ .....	نابليون .....
٢٥/٢ .....	النجاشي .....
١٤٨/٢ .....	نسن .....
١٤٨/٢ .....	نيوتن .....

--هـ--

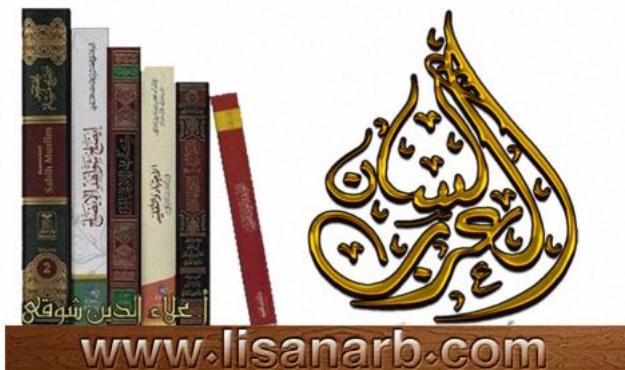
١٥٠/٢ .....	هوجو .....
-------------	------------

-و-

١٤٨/٢ .....	واشنطن .....
١٦٥/٢ .....	ورقة بن نوفل .....

ولنجيتون .....	١٤٨ / ٢
الوليد بن عبد الملك .....	٥٠ / ٢
- ي -	
يوسف .....	١١٣ ، ١٠٨ / ٢

\* \* \*



## فهرس الموضوعات

النحوص	أصحاب النصوص	الصفحة
تعريف بمؤلف الكتاب	بقلم تلميذه عبد الماجد الغوري ..... أ-ح	
مقدمة الجزء الثاني	المؤلف ..... ٥	
الآيات	القرآن ..... ٧	
الثبات	القرآن ..... ١٠	
صفة رسول الله ﷺ	حسن بن علي (رضي الله عنهم) . ١٢	
صفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -	ابن الجوزي ..... ١٧	
صفة علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -	ابن الجوزي ..... ١٩	
صلح الحديبية	المسور بن مخرمة ومروان ..... ٢١	
على وفاة الرسول ﷺ	أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) .. ٣١	
شقاوة الملوك	أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) .. ٣٤	
خطبة عمر في الحكم	عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) . ٣٦	
منشور القضاء	عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) . ٣٨	
الأصحاب الحاضرون	علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) .. ٤٠	
الإخوان الذاهبون	علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) .. ٤٣	
خطبة زياد بن أبيه	زياد بن أبيه .. ٤٥	
خطبة طارق بن زياد	طارق بن زياد ..... ٤٩	
خطبة الحجاج	الحجاج بن يوسف ..... ٥١	
عهد عمر بن عبد العزيز	عمر بن عبد العزيز ..... ٥٤	
وصف الصيد	عبد الحميد الكاتب .. ٥٧	

محمد بن الليث .....	٥٦	البعثة المحمدية
الجاحظ .....	٦٧	بخيل حكيم
أبو الفرج الأصفهاني .....	٧٥	أطيب طعام وأشعر بيت
ابن العميد .....	٧٩	كتاب ينوب عن كتائب
الصاحب بن عباد .....	٨٤	البحر
عبد القاهر الجرجاني .....	٨٧	كيف تتفضل الكلمات
بديع الزمان الهمذاني .....	٩٢	المقامة المضيرية
الحريري .....	١٠٤	المقامة الزيدية
القاضي الفاضل .....	١١٨	عتاب وتأنيب
ابن جبير الأندلسى .....	١٢٠	وصف مجالس ابن الجوزي
ابن القيم .....	١٢٦	مهر المحبة الجنة
ابن خلدون .....	١٣١	آراء في التعليم
محمود بن محمد الجونفوري ..	١٣٧	تأثير البيئة والصناعة في الأدب
مصطفى لطفي المنفلوطى ..	١٤٤	المدنية الغربية
مصطفى صادق الرافعى ..	١٥١	وحى الهجرة
محمد كرد علي ..	١٥٨	تحية الأندلس
عباس محمود العقاد ..	١٦٣	الصديق
أحمد حسن الزيات ..	١٧٠	ذكرى المولد
سيد قطب ..	١٧٥	العقيدة والحياة
علي الطنطاوى ..	١٨١	عالِم
	١٨٩	الفهارس العامة ..
	١٩٠	فهرس الآيات الكريمة ..
	١٩٣	فهرس الآثار والأحاديث الشريفة ..
	١٩٥	فهرس الأمم والقبائل ..
	١٩٧	فهرس الأماكن والبلدان ..
	٢٠١	فهرس الأعلام ..
	٢٠٩	فهرس الموضوعات ..